سورة الشورى

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ
ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن
وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ
فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ
﴿١٢﴾) [الشورى: ١-١٢]

س: - اذكر معنى ما يلي:

(حمٓ . عٓسٓقٓ - كَذَٰلِكَ - ٱلۡعَلِيُّ - ٱلۡعَظِيمُ - يَتَفَطَّرۡنَ - أَوۡلِيَآءَ - ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ - بِوَكِيلٖ - أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ - يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ - لَا رَيۡبَ فِيهِۚ - ٱلسَّعِيرِ - أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ - فِي رَحۡمَتِهِۦۚ - وَلِيّٖ - نَصِيرٍ - فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ - ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي - تَوَكَّلۡتُ - أُنِيبُ - فَاطِرُ - ٱلۡأَنۡعَٰمِ - يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ - لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ - يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ - وَيَقۡدِرُۚ).

ج:

الكلمة	معناها
(حمٓ . عٓسٓقٓ)	أحرف مُقطعة بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(كَذَٰلِكَ)	هكذا
(ٱلۡعَلِيُّ)	ذو العلو والارتفاع على كل شيء
(ٱلۡعَظِيمُ)	ذو العظمة والكبرياء والجبروت
(يَتَفَطَّرۡنَ)	يتشققن
(أَوۡلِيَآءَ)	آلهة (يتولونها ويعبدونها)
(ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ)	الله مُحصي أعمالهم مُسطرها عليهم
(بِوَكِيلٖ)	حفيظ (تحفظ أعمالهم وتسجلها)
(أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ)	هي مكة المكرمة
(يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ)	يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين
(لَا رَيۡبَ فِيهِۚ)	لا شك في مجيئه وتحققه ووقوعه
(ٱلسَّعِيرِ)	النار المستعرة التي أوقدت واشتدت
(أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ)	ملة واحدة - أهل دين واحد

(فِي رَحۡمَتِهِۦۚ)	في دين الحق - في طاعته التي بها يرحمهم
(وَلِيّٖ)	شخص يتولاهم ويتولى الدفاع عنهم
(نَصِيرٍ)	شخص ينصرهم
(فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)	مرد الأمر فيه إلى الله يفصل فيه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة يفصل فيه بين العباد
(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي)	هذا هو الله ربي
(تَوَكَّلۡتُ)	اعتمدت عليه وفوَّضت أمري إليه، وبه وثقت
(أُنِيبُ)	أرجع إليه (في كل أموري وشؤوني)
(فَاطِرُ)	خالق (على غير مثالٍ سابق)
(ٱلۡأَنۡعَٰمِ)	هي الأنعام الثمانية (الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والجدي والعنز)
(يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ)	يخلقكم فيه - يُعيشكم فيه (نسلكم يكون في بطون أمهاتكم - في بطون أزواجكم) ونسل الأنعام يكون في بطون إناثها
(لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)	مفاتيح خزائن السموات والأرض
(يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ)	يوسع الرزق
(وَيَقۡدِرُۚ)	يضيق - يُقتِّر



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هكذا يوحي إليك وإلى الأنبياء من قبلك الله ذو العزة الحكيم في تدبيره وفي شرعه وفي كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يوحي إليك يا محمد وإلى الذين من قبلك من أنبيائه. وقيل: إن (حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢) أوحيت إلى كل نبي بعث، كما أوحيت إلى نبينا ﷺ، ولذلك قيل: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه.



س: أين الله؟ الجواب باختصار؟

ج: الله ﷻ في السماء مستوٍ على العرش، وقد قدمنا الأدلة على ذلك باستفاضة.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ له ملك ما في السموات وما في الأرض، وهو العلي المتعال على كل شيء ذو العلو والارتفاع على كل شيء وهو في سماواته مستوٍ على عرشه ذو العظمة والكبرياء والجبروت.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لله ملك ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الأشياء كلها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ يقول: وهو ذو علو وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه، لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي له العظمة والكبرياء والجبرية.



س: اذكر بعض الآيات في إثبات اسم العلي لله ﷻ أو إثبات معناه.

ج: من ذلك قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ **[سبأ: ٢٣]**.

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ **[الرعد: ٩]**.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤﴾ **[الشورى: ٤]**.

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ **[الأعلى: ١]**.



س: ما السبب الذي من أجله كادت السموات أن تتفطر؟

ج: قال بعض العلماء: تكاد السموات أن تتفطر من عظمة الرحمن وجلاله، صح ذلك عن قتادة عند الطبري، وروي بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى، وكذا نقل عن غير واحد من العلماء.

وهناك سبب آخر لتفطر السماء: وهو تشققها سقوطًا على الكفار لكفرهم ولكبير افترائهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ

شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ...﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

ووجه ثالث: أنها تتفطر لعظم ما يحدث يوم القيامة قال تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾) [المزمل: ١٧-١٨]، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أضواء البيان»:

واعلم أن سبب مقاربة السماوات للتفطر، في هذه الآية الكريمة، فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له قرآن:

الوجه الأول: أن المعنى تكاد السماوات يتفطرن خوفا من الله، وهيبة وإجلالا، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى قبله (وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾) [الشورى: ٤]، لأن علوه وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر.

وعلى هذا الوجه فقوله بعده: (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ) مناسبته لما قبله واضحة؛ لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة فهم (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفا منه وهيبة وإجلالا، كما قال تعالى: (وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ) [الرعد:١٣]، وقال تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾) [النحل: ٤٩-٥٠].

فهم لشدة خوفهم من الله، وإجلالهم له يسبحون بحمد ربهم، ويخافون

على أهل الأرض، ولذا يستغفرون لهم خوفا عليهم من سخط الله، وعقابه، ويستأنس لهذا الوجه بقوله تعالى: (إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) إلى قوله: (وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا) [الأحزاب:٧٢]، لأن الإشفاق الخوف.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ) يعني لخصوص الذين آمنوا منهم وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله، كما أوضحه تعالى بقوله: (ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ).

[غافر:٧]

فقوله: (لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ) يوضح المراد من قوله: (لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ).

ويزيد ذلك إيضاحًا قوله تعالى عنهم إنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين: (فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ) [غافر:٧]؛ لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار.

الوجه الثاني: أن المعنى (تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ) من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض جل وعلا، من كونه اتخذ ولدا، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وهذا الوجه جاء موضحا في سورة مريم، في قوله تعالى: (وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾) [مريم:٨٨-٩١]، كما قدمنا إيضاحه.

وغاية ما في هذا الوجه أن آية شورى هذه فيها إجمال في سبب تفطر السماوات، وقد جاء ذلك موضحًا في آية مريم المذكورة. وكلا الوجهين حق.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: والملائكة ينزهون ربهم ﷻ عن ما يصفه به الواصفون المشركون فيقولون سبحانك اللهم وبحمدك.

الثاني: والملائكة يُصلُّون لله ربهم يركعون ويسجدون وتسبيحهم هذا من فضل الله عليهم.

الثالث: أن الملائكة يسبحون له من عظمته فيقولون سبحانك ربنا ما أعظمك.

الرابع: أن الملائكة يسبحون تعجبًا من جرأة المشركين وافترائهم على الله وتعريض أنفسهم لسخط الله.

* **أما قوله:** (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) فقد قيل في معناها: بأمر ربهم، وقيل: يمزجون التسبيح بالحمد فيقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، وقيل: إن تسبيحهم من توفيق الله لهم.



س: هل الملائكة يستغفرون لكل من في الأرض؟

ج: يستغفرون لأهل الإيمان فقط.

قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟

سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾) [غافر: ٧].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها ويطلبون نصرتها وعونها وتفريجها الهموم والغموم وكشف الكربات، ويسجدون لها ويتقربون إليها، فهؤلاء الذين عبدوا هذه الآلهة مع الله وجعلوها بزعمهم شريكة لله ﷻ، وكذا الذين عبدوها وتركوا بسببها عبادة الله، هؤلاء الذين يصنعون ذلك لن يتركوا، فالله ﷻ يكتب أعمالهم التي يعملوها ويحصيها ويأمر ملائكته بذلك بكتابة الأعمال وإحصائها وحفظها في كتاب، وأما أنت يا رسول الله فلست بموكل بحفظ أعمال هؤلاء ولا بإحصائها.

*** قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟) يا محمد من مشركي قومك (مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ) آلهة يتولونها ويعبدونها (ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ) يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾).

يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.



س: قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ) لماذا اتخذوا الأولياء؟

ج: اتخذوهم أولياء لعبادتهم ولطلب النصرة منهم وكشف الضرِّ وجلب النفع لهم بزعمهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أشركوا معه شركاء يعبدونهم من دونه، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر:٣].

س: ما الأولياء الذين اتخذهم الكفار؟

ج: هم الأصنام والشياطين، وكل ما عُبد من دون الله ﷻ.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥]، أي يخوفكم أولياءه. وقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ [النساء:٧٦].

وقد وبخهم تعالى على اتخاذهم الشيطان وذريته أولياء من دونه تعالى في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

[الكهف:٥٠]

وقد أمر جل وعلا باتباع هذا القرآن العظيم، ناهيا عن اتباع الأولياء المتخذين من دونه تعالى، في أول سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ

مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣].

وقد علمت من الآيات المذكورة أن أولياء الكفار الذين اتخذوهم وعبدوهم من دون الله نوعان:

الأول منهما: الشياطين، ومعنى عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما يزين لهم، من الكفر والمعاصي، فشركهم به شرك طاعة، والآيات الدالة على عبادتهم للشياطين بالمعنى المذكور كثيرة كقوله تعالى: (﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يس:٦٠]، وقوله تعالى عن إبراهيم (يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ) [مريم:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾) [النساء: ١١٧]، أي وما يعبدون إلا شيطانًا مريدًا، وقوله تعالى: (قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾) [سبأ:٤١]، وقوله تعالى: (إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾) [النحل: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١]، إلى غير ذلك من الآيات.

والنوع الثاني هو: الأوثان، كما بين ذلك تعالى بقوله: (مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ) [الزمر:٣].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وهكذا يا رسول الله أوحينا إليك هذا القرآن كما أوحينا إلى من كانوا قبلك من الأنبياء والمرسلين. أوحينا إليك

قرآنًا عربيًّا بلسان قومك حتى يفهموا قولك ويعقلوا عنك المراد، أوحينا إليك هذا القرآن إنذارًا وتحذيرًا لأهل مكة ومن حولهم إنذارًا وتحذيرًا من عذاب الله الكائن يوم الجمع، جمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ذلكم اليوم الذي لا شك في وقوعه وتحققه، فهنالك ينقسم القوم فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وهكذا ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ بلسان العرب، لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، لأنا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه، ليبين لهم ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ وهي مكة ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ يقول: ومن حول أم القرى من سائر الناس.

ثم قال:

وقوله: ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ يقول عَزَّ وَجَلَّ: وتنذر عقاب الله يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض. وقيل: وتنذر يوم الجمع، والمعنى: وتنذرهم يوم الجمع، كما قيل: يخوف أولياءه، والمعنى: يخوفكم أولياءه.

وقال كذلك: وقوله: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله ﴿وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ يقول: ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيًّا بيناه بلغة العرب قيل : أي أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ يعني مكة وقيل لمكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ من سائر الخلق ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي بيوم الجمع وهو يوم القيامة ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ لا شك فيه : ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ ابتداء وخبر وأجاز الكسائي النصب على تقدير : لتنذر فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير.



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرُه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال :«أتدرون ما هذان الكتابان؟». قال: قلنا: لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله. قال للذي في يده اليُمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا». ثم قال للذي في يساره: «هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذًا نعمل إن كان هذا أمرًا قد فُرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «سدّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل النار، وإن عمل أيّ عمل». ثم قال بيديه فقبضهما، ثم قال: «فرغ ربكم -

ﷻ - من العباد». ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: «فريق في الجنة»، ونبذ باليسرى فقال: «فريق في السعير»[(١)].

ج: الحديث سنده صحيح.



س: هل رسول الله ﷺ أوحى إليه القرآن لينذر أهل مكة ومن حولها فقط؟

ج: كلا بل لينذر الثقلين (الإنس والجن).

* قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾. [الفرقان: ١]

* وفي الآية الكريمة: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. [الأعراف: ١٥٨]

* وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

س: اذكر بعض الآيات المذكِّرة بيوم القيامة المحذرة منه ومما فيه؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

* وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

* وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾. [الحشر: ١٨]

* وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧﴾.

---

(١) أحمد (١٦٧/٢)، والترمذي (٢١٤١)، والنسائي (١١٤٧٣)، وغيرهم، من طرق عن أبي قُبيل عن شُفي عن عبد الله بن عمرو، وهذا إسناد صحيح مع غرابة متنه.

[المزمل: ١٧]

* وقوله تعالى: (وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ) [غافر: ١٨].

* وقوله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥).

[المطففين: ٤-٥]



س: نفى الله ﷻ الشك عن وقوع يوم القيامة في عدة آيات. اذكر بعضها.

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ).

* وقوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ).

[النساء: ٨٧]

* وقوله تعالى: (فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ) [آل عمران: ٢٥].

* وقوله تعالى: (وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا) [الحج: ٧].

* وقوله تعالى: (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ) [النحل: ١].

* وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ).

[الجاثية: ٣٢]



س: لماذا أطلق على يوم القيامة يوم الجمع؟

ج: لأن الله ﷻ يجمع فيه الأولين والآخرين، والإنس والجن، بل والدواب كذلك.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

وإنما سمي يوم القيامة يوم الجمع، لأن الله يجمع فيه جميع الخلائق، والآيات الموضحة لهذا المعنى، كثيرة كقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٥٠﴾ [الواقعة:٤٩-٥٠]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾ [المرسلات:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [النساء:٨٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن:٩]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ۝١٠٣﴾ [هود:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٥﴾ [آل عمران:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ۝٤٧﴾ [الكهف:٤٧].

وقد بيَّن تعالى شمول ذلك الجمع لجميع الدواب والطير في قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام:٣٨].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ الآية.

ج: المعني، والله تعالى أعلم، ولو شاء الله لجعل عباده أهل ملةٍ واحدةٍ

وأهل دينٍ واحدٍ إما على الإسلام وإما على الكفر، ولكن جرت حكمته سبحانه وتعالى ومضت سنته، وقدَّر قدره الذي يريده بأن جعل من الناس برحمته من هو مؤمن وجعل من الناس من هو كافرٌ وقضى لأهل الإيمان - جعلنا الله منهم - بفسيح الجنان وقضى على أهل الكفر - عياذًا بالله - بالسعير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، و﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يقول: أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد ولكن يدخل من يشاء في رحمته.

يقول: لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة، ولكن يدخل من يشاء من عباده في رحمته، يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمدا ﷺ ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨﴾.

يقول: والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتص لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله ﷺ تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه، وأمرا له بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلاما له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كل أحد سواه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً) أي: إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من شاء إلى الحق، وأضل من شاء عنه، وله الحكمة والحجة البالغة؛ ولهذا قال: (وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ

وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨).



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أم[١] اتخذ هؤلاء المشركون أولياء غير الله يطلبون نصرتهم ويعبدونهم ويسجدون لهم فليعلم هؤلاء أن الله ﷻ هو الإله الحق، هو الذي ينصر ويكشف الضر ويجيب المضطر فليتخذوه وليًّا فهو الذي يحيي ويُميت وهو على كل شيءٍ قدير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله[٢] يتولونهم. ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ يقول: فالله هو ولي أوليائه، وإياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان، ولا ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا. ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ يقول: والله يحيي الموتى من بعد مماتهم، فيحشرهم يوم القيامة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾ يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كل شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ أي: بل اتخذوا. ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ﴾ يعني: أصنامًا. ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ أي: وليك يا محمد وليّ من اتبعك، لا وليَّ سواه. ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ يريد عند البعث. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وغيره من الأولياء لا يقدر على شيء.

---

(١) ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿أَمِ﴾ بمعنى (بل).

(٢) وقوله: (من دون الله) يحتمل معنيين أحدهما: غير الله، والثاني: مع الله، وهذا وذاك إلحادٌ وضلال وشرك.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾.

ج: هذه تحتمل معانٍ، منها:

وأي شيء تتنازعون فيه وتختلفون فردوه إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ) **[النساء: ٥٩]**.

وكما قال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥) **[النساء: ٦٥]**.

* **والوجه الثاني:** وأي شيء تختلفون فيه في الدنيا وتتنازعون وجوه الحق فيه فالله ﷻ يقضي بينكم فيه يوم القيامة فيظهر للمصيب أنه مُصيب، ويظهر ويتبين للمخطئ خطؤه. والله أعلم.

وبنحو هذا جاءت الأقوال عن أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) يقول تعالى ذكره: وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله. يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ) حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين أي وما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين فقولوا لهم حكمه إلى الله لا إليكم وقد حكم أن الدين هو الإسلام لا

غيره وأمور الشرائع إنما تتلقى من بيان الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء، (فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) أي: هو الحاكم فيه بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، كقوله: (فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ) [النساء:٥٩].

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي) أي: الحاكم في كل شيء، (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾) أي: أرجع في جميع الأمور.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ).

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحا في آيات كثيرة.

فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه: (وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾) [الكهف:٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: ﴿**وَلا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أحداً**﴾ بصيغة النهي.

وقال في الإشراك به في عبادته: (فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾) [الكهف:١١٠]، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله.

وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لا نزاع فيه.

وقد دل القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع

تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ [يوسف:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ﴾ [يوسف:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام:٥٧]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[القصص:٧٠]

وقال الشنقيطي أيضًا:

وأما الآيات الدالة على أن اتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جدًّا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل:١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام:١٢١]، وقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ﴾ الآية [يس:٦٠]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا، كما تقدم إيضاحه في الكهف.

وقال الشنقيطي أيضًا في «أضواء البيان»(١):

مسألة

اعلم أن الله جلَّ وعلا بين في آيات كثيرة، صفات من يستحق أن يكون الحكم له، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة، التي

(١) أضواء البيان (١٦٣/٧).

سنوضحها الآن إن شاء الله، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع.

سبحان الله وتعالى عن ذلك.

فإن كانت تنطبق عليهم ولن تكون، فليتبع تشريعهم.

وإن ظهر يقينًا أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند حدهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية.

سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه.

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، ثم قال مبينًا صفات من له الحكم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشورى:١٠-١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض أي خالقهما ومخترعهما، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجا، وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٣]، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأنه له مقاليد السماوات والأرض، وأنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم.

فعليكم أيها المسلمون أن تتفهموا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعا من كافر خسيس حقير جاهل.

ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ **[النساء:٥٩]**، فقوله فيها: (فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ) كقوله في هذه: (فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ).

وقد عجب نبيه بعد قوله: (فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ) من الذين يدعون الإيمان مع أنهم يريدون المحاكمة، إلى من لم يتصف بصفات من له الحكم، المعبر عنه في الآية بالطاغوت، وكل تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت، وذلك في قوله تعالى: (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾) **[النساء:٦٠]**.

فالكفر بالطاغوت، الذي صرح الله بأنه أمرهم به في هذه الآية، شرط في الإيمان كما بينه تعالى في قوله: (فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ) **[البقرة:٢٥٦]**.

فيفهم منه أن من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يستمسك بها فهو مترد مع الهالكين.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾) **[الكهف:٢٦]**.

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟

سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟

تبارك ربنا وتعاظم وتقدس أن يوصف أخس خلقه بصفاته.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر:١٢].

فهل في الكفرة الفجرة المشرعين النظم الشيطانية، من يستحق أن يوصف في أعظم كتاب سماوي، بأنه العلي الكبير؟

سبحانك ربنا وتعاليت عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص:٧٠-٧٣].

فهل في مشرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبينا بذلك كمال قدرته وعظمة إنعامه على خلقه؟

سبحان خالق السماوات والأرض، جل وعلا أن يكون له شريك في

حكمه أو عبادته، أو ملكه.

ومن الآيات الدالة على ذلك قولـه تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ **[يوسف:٤٠]**.

فهل في أولئك من يستحق أن يوصف بأنه هو الإله المعبود وحده، وأن عبادته وحده هي الدين القيم؟

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ **[يوسف:٦٧]**.

فهل فيهم من يستحق أن يتوكل عليه، وتفوض الأمور إليه؟

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[المائدة:٤٩-٥٠]

فهل في أولئك المشرعين من يستحق أن يوصف بأن حكمه بما أنزل الله وأنه مخالف لاتباع الهوى؟ وأن من تولى عنه أصابه الله ببعض ذنوبه؟ لأن الذنوب لا يؤاخذ بجميعها إلا في الآخرة؟ وأنه لا حكم أحسن من حكمه لقوم يوقنون؟

سبحان ربنا وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[الأنعام:٥٧]

فهل فيهم من يستحق أن يوصف بأنه يقص الحق، وأنه خير

الفاصلين؟

ومنها قوله تعالى: (أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ) [الأنعام:١١٤-١١٥].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي أنزل هذا الكتاب مفصلا، الذي يشهد أهل الكتاب أنه منزل من ربك بالحق، وبأنه تمت كلماته صدقا وعدلا أي صدقا في الأخبار، وعدلا في الأحكام، وأنه لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم؟

سبحان ربنا ما أعظمه وما أجل شأنه.

ومنها قوله تعالى: (قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾) [يونس:٥٩].

فهل في أولئك المذكورين من يستحق أن يوصف بأنه هو الذي ينزل الرزق للخلائق، وأنه لا يمكن أن يكون تحليل ولا تحريم إلا بإذنه؟ لأن من الضروري أن من خلق الرزق وأنزله هو الذي له التصرف فيه بالتحليل والتحريم؟

سبحانه جل وعلا أن يكون له شريك في التحليل والتحريم.

ومنها قوله تعالى: (وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾). [المائدة:٤٤]

فهل فيهم من يستحق الوصف بذلك؟

سبحان ربنا وتعالى عن ذلك.

ومنها قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾) [النحل:١١٦-١١٧].

فقد أوضحت الآية أن المشرعين غير ما شرعه الله إنما تصف ألسنتهم الكذب، لأجل أن يفتروه على الله، وأنهم لا يفلحون وأنهم يمتعون قليلا ثم يعذبون العذاب الأليم، وذلك واضح في بعد صفاتهم من صفات من له أن يحلل ويحرم.

ومنها قوله تعالى: (قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ) [الأنعام:١٥٠].

فقوله: (هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ) صيغة تعجيز، فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم، وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم، ولما كان التشريع وجميع الأحكام، شرعية كانت أو كونية قدرية، من خصائص الربوبية، كما دلت عليه الآيات المذكورة كان كل من اتبع تشريعا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع ربا، وأشركه مع الله. إلى آخر ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



س: وضح معنى قوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، هذا هو الله ربي ﷻ الذي تُرد إليه الأمور عند التنازع، والذي يقضي بين العباد يوم القيامة، الذي له الخلق والأمر، هو ربي ﷻ اعتمدت عليه في أموري كلها وفي شؤوني كلها، وإليه مرجعي ومصيري، وإليه أتوب وأرجع عن ذنوبي.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) يقول لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي، لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدر على شيء (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) في أموري، وإليه فوضت أسبابي، وبه وثقت (وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠) يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي) أي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وفيه إضمار : أي قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيى الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) اعتمدت (وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠) أرجع.



س: كثيرًا ما تُذكَّر في كتاب الله ﷻ بأحوال أهل الإيمان التي منها أنهم يتوجهون إليه بقلوبهم وأعمالهم ويعتمدون عليه في أمورهم. دلّل على ذلك.

ج: ذكر ذلك العلامة السعدي في تفسيره «تيسير الكلام الرحمن» فقال:

وقوله: (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ) أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار، واثقا به تعالى في الإسعاف بذلك. (وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠) أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته.

وهذان الأصلان، كثيرا ما يذكرهما اللـه في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله

تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، جعل الله ﷻ لكم يابني آدم من أنفسكم أزواجًا نساءً، وكذا جعل من الأنعام أنعامًا أزواجًا ذكرانًا وإناثًا، فجعل الجمل والناقة، وجعل الثور والبقرة، وجعل الكبش والنعجة، وجعل الجدي والعنز، وهكذا، كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

* أما قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ فقد قال بعض أهل العلم إن معناه يخلقكم فيه، أن يخلقكم في بطون الأزواج والمعنى يخلق أبناءكم في بطون أزواجكم ويُعيشهم فيها برهةً من الزمن إلى أن تلد الأم ولدها، وكذا يخلق ويعيش الأنعام في بطون إناثها وأمهاتها برهة من الزمن إلى أن تضع الأنثى وليدها وبنحو هذا جاءت الأقوال عن أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يقول تعالى ذكره: زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجًا. وإنما قال جل ثناؤه: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنه خلق حواء من ضلع آدم، فهو من الرجال ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ يقول جل ثناؤه: وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكورا وإناثا، ومن كل جنس من ذلك. ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم

فيما جعل لكم من الأنعام. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: يخلقكم فيه.

ثم قال الطبري: وقال آخرون: بل معناه يُعيشكم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا. وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: خالقهما وما بينهما، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ أي: من جنسكم وشكلكم، منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى، ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾ أي: خلق لكم في الأنعام ثمانية أزواج.

وقوله: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: يخلقكم فيه، أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورًا وإناثا، خلقًا من بعد خلق، وجيلًا بعد جيل، ونسلًا بعد نسل، من الناس والأنعام.

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: في هذا الوجه من الخلقة.

قال مجاهد: ونسلا بعد نسل من الناس والأنعام.

وقيل: (في) بمعنى (الباء)، أي: يذرؤكم به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بـالرفع علـى النعت لاسم الله أو على تقدير هو فـاطر ويجوز النصب علـى النداء والجر علـى البدل من الهاء في «عَلَيْهِ» والفاطر : المبدع والخـالق وقد تقدم ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قيل معناه إناثا وإنما قال : ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنه خلق حواء من ضلع آدم وقـال مجاهد : نسـلا بعد نسل ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ يعنـي الثمانيـة التـي ذكرها في (الأنعام) ذكور الإبل والبقر والضـأن والمعز وإناثها ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يخلقكم وينشئكم ﴿فِيهِ﴾ أي: فـي الـرحم وقيـل : فـي البطن وقـال الفـراء وابـن كيسـان : ﴿فِيهِ﴾ بمعنــى بــه وكـذلك قـال الزجـاج : معنــى ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ يكثـركم بـه أي يكثـركم يجعلكم أزواجـا أي حلائـل لأنهن سـبب النسـل وقيـل : إن الهـاء فـي ﴿فِيهِ﴾ للجعـل ودل عليـه ﴿جَعَلَ﴾ فكأنـه قال : يخلقكم ويكثركم فـي الجعل ابـن قتيبـة : ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي فـي الـزوج أي يخلقكم في بطون الإناث وقال : ويكون ﴿فِيهِ﴾ فـي الـرحم وفيـه بعد لأن الرحم مؤنثة ولم يتقدم لها ذكر.

منهج في الصفات

س: قولـه تعـالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾. يوضـح منهجًا في الصفات اذكره بإيضاح مع إيضاح معنى الآية الكريمة.

ج: أما عن معنى الآية الكريمة فحاصله ليس كربنا سبحانه وتعالى شيء أي أنه ﷻ لا يشبهه شيءٌ، ومع ذلك فهو سميع بصير، سميع لما ينطق به الخلق، بصير بأعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف، وهما بمعنى واحد، كما قيل:

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه

فأدخل على «ما» وهي حرف جحد «إن» وهي أيضًا حرف جحد، لاختلاف اللفظ بهما، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام، وكما قال أوس بن حجر:

وقتلى كمثل جذوع النخيل ... تغشاهم مسبل منهمر

ومعنى ذلك: كجذوع النخيل، وكما قال الآخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم في الناس من أحد

والآخر: أن يكون معناه: ليس مثل شيء، وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام، كقول الراجز:

وصاليات كَكَمَا يُؤَثفَيْن

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه، وكما قال الآخر:

تنفـي الغيـاديق علـى الطريـق قلـص عـن كبيضـة فـي نيـق

فأدخل الكاف مع «عن»، وقد بينا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح، فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محص صغيره وكبيره ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ **[الجاثية: ٢٢]** من خير أو شر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ يرى دبيب النملة السوداء، في

الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، وفيها رد على المشبهة في قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) وعلى المعطلة في قوله: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾) قيل : إن الكاف زائدة للتوكيد أي ليس مثله شيء قال :

وصاليات كَكُمَا يُؤْثَفَيْنْ

فأدخل على الكاف كافا تأكيدا للتشبيه وقيل : المثل زائدة للتوكيد وهو قول ثعلب كهو شيء نحو قوله تعالى : (فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟) [البقرة : ١٣٧] وفي حرف ابن مسعود: (**فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا**) قال أوس بن حجر :

وقتلى كمثل جذوع النخـ ـيل يغشاهم مطر منهمر

*** أما عن المنهج الذي توضحه الآية في باب الصفات فحاصله:**

أننا نثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ مع نفي المشابهة، أي: لا نشبهه سبحانه وتعالى بخلقه.

فنعتقد أن لله ﷻ يدٌ ولكنها ليست كيد خلقه.

قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ **[المائدة: ٦٤]**.

وكذا نعتقد أن الله ﷻ سميع يسمع وبصير يرى، ولكن ليس سمعه كسمعنا وليس بصره كبصرنا.

فنحن البشر نرى مَن أمامنا ولا نرى من خلفنا، ولا من عن يميننا ولا من عن يسارنا ولا من فوقنا، ونرى لأمدٍ محددٍ لا تتجاوزه أبصارنان لكن ربنا يرى الخلائق أجمع، ويرى ما هو ظاهر لنا، وما هو خفي علينا، وهكذا يرى من في السموات ومن في الأرض، وكذا يسمع ولكن سمعه ليس كسمعنا فنحن نسمع إذا تكلم أمامنا شخصٌ أما إذا تكلم شخصان أشكل علينا السماع شيئًا ما.

أما إذا تكلم أمامنا عشرة أشخاص في آنٍ واحد فيستحيل أن نفهم مراد كل واحد منهم، فكيف إذا تكلم ألف وكيف إذا تكلم مليون وكيف إذا تكلمت الخلائق أجمع؟!

إن ربي ﷻ يسمع كل هؤلاء وإن تكلموا في آنٍ واحد، فالله يسمع، لكن سمعه ليس كسمع خلقه.

قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ **[الشورى: ١١]**، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، له مفاتيح خزائن السموات والأرض يوسع على من يشاء من عباده ويضيق على من يشاء إنه بكل شيء عليم، عليم بمن

يصلحه المال وبمن يُطغيه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره. ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١٢﴾ يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقتيره على من يقتر، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يصلحه التقتير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره، من صلاح تدبير خلقه.

يقول تعالى ذكره: فإلى من له مقاليد السموات والأرض الذي صفته ما وصفت لكم في هذه الآيات أيها الناس فارغبوا، وإياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام، التي لا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في «سورة الزمر»، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١٢﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ : له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وقوله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء.

والله تعالى هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ **[فاطر: ٢]**.

ولهذا قال هنا: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، ﴿وَيَقْدِرُ ۚ﴾ أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئته.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

مقاليد السموات والأرض هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها إقليد، وجمعها مقاليد على غير قياس، والإقليد المفتاح. وقيل: واحدها مقليد، وهو قول غير معروف في اللغة.

وكونه جلَّ وعلا ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيحهما كناية عن كونه جلَّ وعلا هو وحده المالك لخزائن السماوات والأرض لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها.

وقد ذكر جلَّ وعلا مثل هذا في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ

كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

وما دلت عليه آية الشورى هذه وآية الزمر المذكورتان من أنه جلَّ وعلا هو مالك خزائن السماوات والأرض، جاء موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى: (وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾) [المنافقون:٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾) [الحجر:٢١].

وبيَّن في مواضع أخر أن خزائن رحمته لا يمكن أن تكون لغيره، كقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾) [ص:٩]، وقوله تعالى: (أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾) [الطور:٣٧]، وقوله تعالى: (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا)[الإسراء: ١٠٠].

وقوله في هذه الآية الكريمة: (يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ) جاء معناه موضحًا في آيات أخر كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓۚ) [سبأ: ٣٩]. وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) [سبأ:٣٦]، وقوله تعالى: (ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) [الرعد:٢٦]، وقوله تعالى: (وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ) [النحل:٧١]، وقوله تعالى: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ) [الزخرف:٣٢]، وقوله تعالى: (إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا) [النساء:١٣٥]، وقوله تعالى: (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ) [الطلاق:٧]، وقوله تعالى: (وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ) [الطلاق:٧] أي ضيق عليه رزقه لقلته،

وكذلك قوله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ في الآيات المذكورة.

أي يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ويقدر، أي يضيق الرزق على من يشاء تضييقه عليه كما أوضحناه في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وقد بيَّن جلَّ وعلا في بعض الآيات حكمة تضييقه للرزق على من ضيقه عليه.

وذكر أن من حكم ذلك أن بسط الرزق للإنسان، قد يحمله على البغي والطغيان كقوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٦-٧]

قال الله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى
ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ
وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن
كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾
وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا
ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

[الشورى: ١٣-١٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿شَرَعَ –وَصَّىٰ –أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ –كَبُرَ –يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ –يُنِيبُ –بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ –مُرِيبٖ – فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ –لَا حُجَّةَ –يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ –حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ –وَٱلۡمِيزَانَۗ –مُشۡفِقُونَ – يُمَارُونَ –ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(شَرَعَ)	سنَّ - فرض
(وَصَّىٰ)	أمر
(أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ)	اعملوا بما ألزمكم الله به
(كَبُرَ)	شقَّ - عَظُمَ - اشتد
(يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ)	يختار
(يُنِيبُ)	يرجع (إلى ربِّه) يُقبل على طاعة الله ويرجع إليها
(بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ)	حسدًا وعداوة وتعديًا (من بعضهم على بعض)
(مُرِيبٖ)	مُحيِّر
(فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ)	فإلى الدِّين الذي أوصى الله به من كانوا قبلك فادع
(لَا حُجَّةَ)	لا خصومة
(يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ)	يجادلون في الله ﷻ وفي الدين الذي أرسل به الرسل عليهم صلوات الله وسلامه

(حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ)	خصومتهم باطلة - ما يحتجون به باطل ذاهب ليس بمقبول وليس بمجدٍ
(وَٱلْمِيزَانَ)	العدل
(مُشْفِقُونَ)	ودلون من مجيئها - خائفون
(يُمَارُونَ)	يخاصمون - يجادلون
(ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ)	بُعد وجور عن طريق الحق بعيدون عن الصواب

س: ما الذي وصى به ربُّنا ﷻ نوحًا والأنبياء المذكورين عليهم السلام.

ج: هو الذي ذكره الله ﷻ في الآية الكريمة (أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ)

أي: اعملوا بتعاليم دينكم واثبتوا على توحيد ربكم ﷻ.

ومما وصى الله به وأمر توحيده ﷻ كما قال تعالى:

* (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾). **[الأنبياء: ٢٥]**

* **وكما قال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ **[النحل: ٣٦]**.

* **وكما قال تعالى:** (ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾) **[النحل: ١٢٣]**.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا .. ﴾).

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ ربكم أيها الناس ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ أن يعمله ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ يقول: شرع لكم من الدين، أن أقيموا الدين (فأن) إذ كان ذلك معنى الكلام، في موضع نصب على الترجمة بها عن ﴿مَا﴾ التي في قوله: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾. ويجوز أن تكون في موضع خفض ردًّا على الهاء التي في قوله: ﴿بِهِۦ﴾، وتفسيرًا عنها، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. وجائز أن تكون في موضع رفع على الاستئناف، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: شرع لكم من الدين ما وصى به، وهو أن أقيموا الدين. وإذ كان معنى الكلام ما وصفت، فمعلوم أن الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق، ولا تتفرقوا فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية «الأحزاب» عليهم في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ الآية [الأحزاب:٧]. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥]. وفي الحديث:

«**نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**» أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي: وصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء، عليهم السلام، بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ فيه مسألتان :

الأولى : قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ أي الذي له مقاليد السموات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك بقوله تعالى : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] وقد تقدم القول فيه ومعنى (شرع) أي نهج وأوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سنَّ والشارع : الطريق الأعظم وقد شرع المنزل إذا كان على طريق نافذ وشرعت الإبل إذا أمكنتها من الشريعة وشرعت الأديم إذا سلخته وقال يعقوب : إذا شققت ما بين الرجلين قال : وسمعته من أم الحمارس البكرية وشرعت في هذا الأمر شروعا أي خضت : ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ (أَنْ) في محل رفع على تقدير والذي وصى به نوحًا أن أقيموا الدين ويوقف على هذا الوجه على (عيسى) وقيل : هو نصب أي شرع لكم إقامة الدين وقيل : هو جر بدلا من الهاء

في (به) كأنه قال : به أقيموا الدين ولا يوقف على (عيسى) على هذين الوجهين ويجوز أن تكون (أن) مفسرة مثل : أن امشوا فلا يكون لها محل من الإعراب.

الثانية : قال القاضي أبو بكر بن العربي : ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الكبير المشهور : «**ولكن ائتوا نوحًا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحًا فيقولون له: أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض...**» وهذا صحيح لا إشكال فيه كما أن آدم أول نبي بغير إشكال لأن آدم لم يكن معه إلا بنوه ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وإنما كان تنبيهًا على بعض الأمور واقتصارًا على ضرورات المعاش وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء واستقر المدى إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء صلوات الله عليهم واحدًا بعد واحد وشريعة إثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد ﷺ فكان المعنى: أوصيناك يا محمد ونوحًا دينًا واحدًا يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح الأعمال والزلف إليه بما يرد القلب والجارحة إليه والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنى والأذية للخلق كيفما تصرفت والاعتداء على الحيوان كيفما دار واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروءات فهذا كله مشروع دينًا واحدًا وملة متحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلف أعدادهم وذلك

قولـه تعـالى : ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ أي اجعلـوه قائمـا يريـد دائمًـا مستمرًّا محفوظًا مستقرًّا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفَّـى بـذلك ومـنهم مـن نكـث ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح : ١٠] واختلفـت الشـرائع وراء هـذا فـي معـانٍ حسـبما أراده الله ممـا اقتضـت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم قال مجاهد : لـم يبعـث الله نبيًّـا قـط إلا وصـاه بإقامـة الصـلاة وإيتـاء الزكـاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقاله الوالبي عن ابن عباس وهو قول الكلبي وقال قتادة : يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم : تحريم الأمهات والأخوات والبنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الأقوال ويزيد عليها وخصَّ نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى بالذكر؛ لأنهم أرباب الشرائع.



س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ولا تختلفوا في أمور دينكم كما اختلف مـن كـان قبلكم، والحمـد لله فـنحن كمسـلمين نـدين لله ﷻ وحـده بالإلهيـة والربوبية وبأنـه ربُّ النـاس ملك النـاس إلـه النـاس، ولا نجعل لـه شـريكًا، كـذلك بأننـا نـؤمن بالكتـب التـي أنزلهـا الله جميعهـا وكـذلك بكـل رسـل الله وأنبيائه.

وفي الآية حثٌّ على الاجتماع وتحذير من الفرقة والاختلاف.

كمـا قـال تعـالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ يقول: ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم.



س: اذكر بعض الوارد في النهي عن الفرقة والاختلاف.

ج: قد قدمت شيئًا من ذلك في تفسير سورة آل عمران، وقال الشنقيطي هاهنا في «أضواء البيان» عند تفسيره لسورة الشورى:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾.

الضمير في قوله: ﴿فِيهِۚ﴾، راجع إلى الدين في قوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الافتراق في الدين، جاء مبينا في غير هذا الموضع، وقد بين تعالى أنه وصى خلقه بذلك، فمن الآيات الدالة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ الآية [آل عمران:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقد بين تعالى في بعض المواضع أن بعض الناس- لا يجتنبون هذا النهي، وعددهم على ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام:١٥٩]؛ لأن قوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ إلى قوله: ﴿يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ فيه تهديد عظيم لهم.

وقوله تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾ [المؤمنون:٥٢-٥٤].

فقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: إن هذه شريعتكم شريعة واحدة ودينكم دين واحد، وربُّكم واحد فلا تتفرقوا في الدين.

وقوله جلَّ وعلا: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ﴾ دليل على أنهم لم يجتنبوا ما نهوا عنه من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾ فيه تهديد لهم ووعيد عظيم على ذلك. ونظير ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾ [الأنبياء: ٩٢-٩٣]، فقوله تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣﴾ فيه أيضًا تهديد لهم ووعيد على ذلك وقد أوضحنا تفسير هذه الآيات في آخر سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ الآية.

وقد جاء في الحديث المشهور: افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأن الناجية منها واحدة، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: شقَّ وصعب على أهل الشرك أن يقولوا لا إله إلا الله وأن يعتقدوا ذلك فقد قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص: ٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد

□: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي عظم عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ورفض الأوثان. قال قتادة : كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز و جل إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناوأها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

بين جل وعلا أنه ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه □ من عبادة الله تعالى وحده، وطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولعظم ذلك ومشقته عليهم، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجتهدون في عدم

سماعه لشدة كراهتهم له، بل يكادون يبطشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراهتهم لها.

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ.

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم نوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى: (۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ) [يونس:٧١]، وقوله تعالى عن نوح: (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾) [نوح:٧]، فقوله تعالى: (جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ) يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراهتهم لما يدعوهم إليه نوح، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به.

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمدا ﷺ في آيات من كتابه كقوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ) [الحج:٧٢]، فقوله تعالى: (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ ۖ)الآية، يدل دلالة واضحة، على شدة بغضهم وكراهيتهم لسماع تلك الآيات.

وكقوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ) [فصلت:٢٦].
وقوله تعالى في الزخرف: (لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾) [الزخرف: ٧٨]، وقوله تعالى في قد أفلح المؤمنون: (أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾) [المؤمنون:٧٠]، وقوله تعالى في القتال:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد:٩]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية:٦-٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان:٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

واعلم أن هؤلاء الذين يكرهون ما أنزل الله، يجب على كل مسلم أن يحذر كل الحذر من أن يطيعهم في بعض أمرهم؛ لأن ذلك يستلزم نتائج سيئة متناهية في السوء، كما أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝٢٤ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝٢٦ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٢٨﴾ [محمد:٢٤-٢٨]، فعلى كل مسلم أن يحذر ثم يحذر ثم يحذر كل الحذر، من أن يقول للذين كفروا، الذين يكرهون ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر؛ لأن ذلك يسبب له ما ذكره الله في الآيات المذكورة، ويكفيه زجرًا وردعًا عن ذلك قوله ربه تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝٢٧﴾ إلى قوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٢٨﴾ [محمد:٢٧-٢٨].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: أن الله ﷻ يختار من عباده للإسلام من يشاء ومن يحب، ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما أرسل به نبيه ﷺ من أقبل على طاعة الله ورجع إلى التوبة بعد المعصية.

أي: أن من يسلك سبيل الهداية يوفقه الله لها وييسرها عليه كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكما قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧﴾ [الليل: ٥-٧].

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحب.

وقال ابن كثير رحمه الله:

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ أي: هو الذي يُقَدِّر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد.

وقال القرطبي رحمه الله:

ثم قال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يختار. والاجتباء: الاختيار؛ أي: يختار للتوحيد من يشاء. ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ أي: يستخلص لدينه من رجع

إليه.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب.

ولهذا قال: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابًا، وتكونون شيعًا يعادي بعضكم بعضًا مع اتفاقكم على أصل دينكم.

ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا

بالاجتماع لها وعدم التفرق.

(كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) أي: شق عليهم غاية المشقة؛ حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: (وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾) [الزمر: ٤٥]. وقولهم: (أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾) [ص: ٥].

(ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ) أي: يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها.

(وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾) هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدًا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: (يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ).

[المائدة: ١٦]



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما تفرق أهل الكفر فصاروا شيعًا وأحزابًا إلا من بعد ما جاءهم العلم الذي جاءتهم به رسلهم، والوحي الذي

أوحاه الله إلى أنبيائه، وهذا التفرق منهم كان حسدًا من بعضهم لبعض وكراهية من بعضهم لبعض.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابًا، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحًا، هو إقامة الدين الحق، وأن لا تتفرقوا فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ) قال ابن عباس : يعني قريشًا (إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ) محمد ﷺ وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر : (وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٌ) [فاطر : ٤٢] نبيًّا وقال في سورة البقرة : (فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ) [البقرة : ٨٩] على ما تقدم بيانه هناك وقيل: أمم الأنبياء المتقدمين فإنهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فآمن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس أيضًا: يعني أهل الكتاب دليله في سورة المنفكين : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤) [البينة: ٤]، فالمشركون قالوا : لم خص بالنبوة ! واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى (بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ) أي: بغيًا من بعضهم على بعض طلبًا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: (وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ) أي: إنما كان مخالفتهم



للحق بعد بلوغه إليهم، وقيام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغيُ والعنادُ والمشاقة.

س: هل العلم يسبب التفرق والاختلاف؟

ج: نعم قد يُحدث العلم اختلافًا، بل يحدثه في كثير من الأحيان، وذلك على سبيل المثال أن يكون الناس كلهم على ضلالٍ فيأتيهم أحدهم بشيءٍ من أمر الله ﷻ أو أمر رسوله ﷺ فيتبعه أقوامٌ ويأبى آخرون، إذ الله قال: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ [الشورى: ٧]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، فحينئذٍ، وبعد مجيء البينات والعلم تحدث الفرقة والاختلاف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ٤﴾ [البينة: ٤]، وكما قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]، وكما قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، والله أعلم.



س: ما المراد بالكلمة التي سبقت من ربك؟

ج: المراد بالكلمة هنا هي كلمة الله ﷻ التي قضى بها وقدَّر، فقد كتبت المقادير وقُدِّرت قبل أن نُخلق.

والكلمة هنا تحتمل أمرين، وكذا الأجل المسمى:

أحدهما: ولولا أن الله قضى عليهم في الدنيا أن يعيشوا زمانًا إلى أن تأتيهم آجالهم التي سماها الله وحدَّدها لهم لأنزل الله عليهم عذابه وبأسه

ولحكم للمحق بأنه محق وأكرمه، ولحكم على المبطل بأنه مبطل وعذبه عاجلًا غير آجل.

الثاني: ولولا أن الله ﷻ قضى وقدَّر أن يكون الحساب يوم القيامة، وكذا فصل القضاء لعجل بعقوبتهم في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول جلَّ ثناؤه: ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى، وذلك الأجل المسمى فيما ذكر: يوم القيامة.

وقوله: ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحًا من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحق عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العقاب عن هؤلاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل : القيامة لقوله تعالى : ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ **[القمر : ٤٦]**، وقيل : إلى الأجل الذي قضى فيه بعذابهم ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين من آمن وبين من كفر بنزول العذاب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعًا.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: بتأخير العذاب القاضي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ولكن حكمته وحلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفًا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ١٤﴾ أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكًا وارتيابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم.



س: في الآية دليلٌ على أن الأمور مقدرة، وضح ذلك.

ج: نعم دلَّت الآية الكريمة على أن الأمور مقدرة، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ مفاده أن الله عَزَّوَجَلَّ قضى أمورًا تحدث في أوقات حدَّدها وسماها قبل أن يخلق الخلق ولولا هذا لفُصل بين العباد في الدنيا، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى الذين جاءوا من بعد القرون المختلفة في دينها، لفي شكٍ من الدين الذي أوصى الله به نوحًا والأنبياء من بعده، في شك مُحير. وقيل: لفي شك من الكتاب الذي أنزله الله مُريب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحق كتابه التوراة والإنجيل. ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ يقول: لفي شك من الدين الذي وصى الله به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مريب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد المختلفين في الحق ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ من الذي أوصى به الأنبياء والكتاب هنا التوراة والإنجيل وقيل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قريش ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد اليهود والنصارى ﴿لَفِى شَكٍّ﴾ من القرآن أو من محمد وقال مجاهد: معنى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة وهو اليهود والنصارى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذّب للحق ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ أي: ليسوا على يقين

من أمرهم، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا بُرهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب، وشقاق بعيد.



س: معلوم أن رسول الله ﷺ كان على طريق مستقيم، فلماذا قيل له: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، اثبت على طريق الاستقامة الذي أنت عليه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ بنفسك ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.



س: ما المراد بـ (الكتاب) في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾؟

ج: المراد: جنس الكتب التي أنزلها الله، أي عموم الكتب كصحف إبراهيم وموسى، وكالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن، وعموم ما أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾.

ج: المعنى، أن الله ﷻ أمرني بالعدل بينكم إذا حكمت فلا أحابي ضعيفًا لضعفه ولا غنيًّا لغناه.

أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قال: أمر نبي الله □ أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه.



س: وضح معنى قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، لنا ثواب أعمالنا التي عملناها ولكم جزاء أعمالكم، فالكل سيجازى بعمله.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ...﴾.

ج: أوجز الحافظ ابن كثير رحمه الله القول في هذه الآية وركَّزه إذ قال:

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حكم برأسه-قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضًا عشرة فصول كهذه.

فقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ أي: فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به

جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم، فادعُ الناس إليه.

وقوله: (وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ) أي: واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله، كما أمرك الله ﷻ.

وقوله: (وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ) يعني: المشركين فيما اختلقوه، وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان.

وقوله: (وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ) أي: صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم.

وقوله: (وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ) أي: في الحكم كما أمرني الله.

وقوله: (ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ) أي: هو المعبود، لا إله غيره، فنحن نقر بذلك اختيارًا، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارا، فله يسجد من في العالمين طوعًا واختيارًا.

وقوله: (لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ) أي: نحن براء منكم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٤١﴾ [يونس:٤١].

وقوله: (لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ) قال مجاهد: أي لا خصومة. قال السدي: وذلك قبل نزول آية السيف. وهذا مُتَّجَهٌ لأن هذه الآية مكية، وآية السيف بعد الهجرة.

وقوله: (ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ) أي: يوم القيامة، كقوله: (قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦) [سبأ:٢٦].

وقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ أي: المرجع والمآب يوم الحساب.

ونحوه ذكره الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قبل الحافظ ابن كثير.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم، ووصى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزغ عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع، والمعنى: فإلى ذلك، فوضعت اللام موضع إلى، كما قيل: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ **[الزلزلة: ٥]**، وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك، في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ﴾ إلى معنى هذا، ويقول: معنى الكلام: فإلى هذا القرآن فادع واستقم. والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه، غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام، لأنه في سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد ﷺ بإقامته، ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه إلى غيره.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكوا في الحق الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه.

﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف

إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض.

وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه.

وقال أيضًا:

واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: معناها: كي، وأمرت كي أعدل؛ وقال غيره: معنى الكلام: وأمرت بالعدل، والأمر واقع على ما بعده، وليست اللام التي في لأعدل بشرط؛ قال: ﴿وَأُمِرْتُ﴾ تقع على (أن) وعلى (كي) واللام أمرت أن أعبد، وكي أعبد، ولأعبد. قال: وكذلك كل من طالب الاستقبال، ففيه هذه الأوجه الثلاثة.

والصواب من القول في ذلك عندي أن الأمر عامل في معنى لأعدل، لأن معناه: وأمرت بالعدل بينكم.

وقوله: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ﴾ يقول: الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والإنجيل.

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ﴾.

يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها.

وقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ﴾ يقول: لا خصومة بيننا وبينكم

ثم قال: وقوله: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ﴾ يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة،

فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.



س: من هؤلاء الذين حاجوا في الله من بعد ما استجيب له؟ وما صورة هذه المحاجة؟

ج: هم أهل الشرك، وكذا اليهود والنصارى، وقد كان قومٌ قبل هؤلاء حاجوا في الله أيضًا.

قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ **[الأنعام: ٨٠]**.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ **[البقرة: ٢٥٨]**.

أما أهل الشرك فحاجوا رسول الله ﷺ في الله وجادلوا في وحدانيته وقضائه وقدره وأنكروا بعثه للعباد يوم المعاد، وكذا اليهود والنصارى حاجوا في الله، فمنهم من ادعى لله الولد ومنهم من قال كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم..

أما قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: من بعد ما آمن الناس وأسلموا، أراد أهل الكفر أن يرجع المسلمون عن دينهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدًا ☐ من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

ونقل بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ)..... الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبي الله ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ) رجع إلى المشركين (مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ) قال مجاهد : من بعد ما أسلم الناس قال : وهؤلاء قد توهموا أن الجاهلية تعود وقال قتادة : الذين يحاجون في الله اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وأنهم أولاد الأنبياء وكان المشركون يقولون : (أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾) [مريم : ٧٣]، فقال الله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى -متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به-: (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ) أي: يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى، (حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ) أي: باطلة عند الله، (وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ) أي: منه، (وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾) أي: يوم القيامة.

س: وضح معنى قوله تعالى: (حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن ما يحتجون به باطل وذاهب وليس له

وجه ولا أساس ولا ثواب عند الله يوم القيامة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي لا ثبات لها كالشيء الذي يزل عن موضعه والهاء في (لَهُۥ) يجوز أن يكون لله عز و جل أي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له بالوحدانية ويجوز أن يكون للنبي ﷺ أي من بعد ما استجيب محمد ﷺ في دعوته من أهل بدر ونصر الله المؤمنين يقال : دحضت حجته دحوضًا بطلت وأدحضها الله والإدحاض : الإزلاق ومكان دَحْض ودَحَض أيضًا (بالتحريك) أي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت (وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ) يريد في الدنيا (وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾) يريد في الآخرة عذاب دائم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ).

ج: المعنى، والله أعلم، الله الذي أنزل عموم الكتب (منها صحف إبراهيم وصحف موسى والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن)، وكذا عموم الكتب، أنزلها الله محتوية على الحق متضمنةً له، وكذا فإنزالها من عند الله بالحق، وليست للهو ولا للعبث ولا للعب، وكذا فإنه سبحانه أنزل الميزان كما قال تعالى: (لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ) [الحديد: ٢٥].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ) هذا (ٱلۡكِتَٰبَ) يعني: القرآن (بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ) يقول: وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإنصاف،

ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ) يعني القرآن وسائر الكتب المنزلة ﴿بِٱلْحَقِّ) أي: بالصدق (وَٱلْمِيزَانَ) أي العدل قاله ابن عباس وأكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل وقيل : الميزان ما بين في الكتب مما يجب على الإنسان أن يعمل به وقال قتادة : الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وهذه الأقوال متقاربة المعنى وقيل : هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل : إنه الميزان نفسه الذي يوزن به أنزله من السماء وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس قال الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥] قال مجاهد : وهو الذي يوزن به ومعنى أنزل الميزان هو إلهامه للخلق أن يعملوه ويعملوا به وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: (ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ) يعني: الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (وَٱلْمِيزَانَ) ، وهو: العدل والإنصاف، قاله مجاهد، وقتادة. وهذه كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ) [الحديد:٢٥]، وقوله: (وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩) [الرحمن:٧-٩].

وقولـه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧﴾ فيـه ترغيـب فيهـا، وترهيـب منها، وتزهيد في الدنيا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ ﴾.

بيَّن جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي أنزل الكتاب في حال كونه متلبسًا بالحق الذي هو ضد الباطل، وقوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية.

وقد أوضحنا في سورة الحج أن المفرد الذي هو اسم الجنس يطلق مرادًا به الجمع، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك مع الشواهد العربية.

وقوله تعالى في هذه الآيـة الكريمـة: ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ ﴾ يعنـي أن الله جل وعلا هو الذي أنزل الميزان، والمراد به العدل والإنصاف.

وقال بعض أهل العلم: الميزان في الآية: هو آلة الوزن المعروفة.

ومما يؤيد ذلك أن الميزان مفعال، والمفعال قياسي في اسم الآلة.

وعلـى التفسير الأول وهو أن الميـزان العـدل والإنصـاف، فـالميزان الـذي هـو آلـة الـوزن المعروفـة داخـل فيـه، لأن إقامـة الـوزن بالقسـط مـن العدل والإنصاف.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله تعالى هو الذي أنـزل الكتـاب والميزان أوضحه في غير هذا الموضع كقولـه تعالى فـي سورة الحديـد: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾. [الحديد:٢٥]

فصرح تعالى بأنه أنزل مع رسله بالكتاب والميزان لأجل أن يقوم

الناس بالقسط، وهو العدل والإنصاف. وكقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن:٧-٩].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أن الميزان في سورة الشورى وسورة الحديد هو العدل والإنصاف، كما قاله غير واحد من المفسرين.

وأن الميزان في سورة الرحمن هو الميزان المعروف أعني آلة الوزن التي يوزن بها بعض المبيعات.

ومما يدل على ذلك أنه في سورة الشورى وسورة الحديد عبر بإنزال الميزان لا بوضعه، وقال في سورة الشورى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾، وقال في الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥].

وأما في سورة الرحمن فقد عبر بالوضع لا الإنزال، قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن:٧]، ثم أتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن المعروفة، وذلك في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن:٩]، لأن الميزان الذي نهوا عن إخساره هو أخو المكيال، كما قال تعالى: ﴿۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۝١٨١ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الشعراء:١٨١-١٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين:١-٣]، وقال تعالى عن نبيه شعيب: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ الآية [هود:٨٤]، وقال تعالى عنه أيضا: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الأعراف:٨٥]، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَوْفُواْ

ﭐلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ) [الأنعام:١٥٢]، وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: (وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾) [الإسراء:٣٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾) ولماذا قيل: ﴿قَرِيبٞ﴾ ولم يقل: (قريبة)؟

ج: المعنى، وما يُعلمك لعل وقت قيام الساعة يكون قريبًا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾) فلم يخبره بها يحضه على العمل بالكتاب والعدل والسوية والعمل بالشرائع قل أن يفاجئ اليوم الذي يكون فيه المحاسبة ووزن الأعمال فيوفى لمن أوفى ويطفف لمن طفف فـ(لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾) أي منك وأنت لا تدري وقال: (قَرِيبٞ ﴿١٧﴾) ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي لأنها كالوقت قاله الزجاج، والمعنى: لعل البعث أو لعل مجيء الساعة قريب وقال الكسائي: (قَرِيبٞ ﴿١٧﴾) نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد قال الله تعالى: (إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾) [الأعراف: ٥٦] قال الشاعر:

وكنا قريبا والديار بعيدة ... فلما وصلنا نصب أعينهم غبنا

س: وضح معنى قوله تعالى: (يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم يطلب أهل الشرك الذين يقولون: لا بعث - على سبيل التحدي والتعنت والاستبعاد والاستنكار - يطلبون قيام الساعة وتعجيل وقوعها كما ذكر تعالى: (وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾)

[ص: ١٦]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨]، وكذا ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي: يقولون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سبأ:٢٩]، وإنما يقولون ذلك تكذيبًا واستبعادًا، وكفرًا وعنادًا.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ظنًّا منهم أنها غير جائية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وأهل الإيمان والتصديق خائفون من الساعة ومما فيها من الأهوال العظام، وقد أيقنوا أن قيامها ومجيئها حق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يقول: والذين صدقوا بمجيئها، ووعد الله إياهم الحشر فيها، ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ يقول: وجلون من مجيئها، خائفون من قيامها؛ لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ يقول: ويوقنون أن مجيئها الحق اليقين، لا يمترون في مجيئها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنۡهَا﴾ أي: خائفون وجلون لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد في الطاعة؛ كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]. ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ أي: التي لا شك فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنۡهَا﴾ أي: خائفون وجلون من وقوعها ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ أي: كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها.

وقد رُوي من طرق تبلغ درجة التواتر، في الصحاح والحسان، والسنن والمسانيد، وفي بعض ألفاظه؛ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ بصوت جَهْوَرِيّ، وهو في بعض أسفاره فناداه فقال: يا محمد. فقال له النبي ﷺ نحوًا من صوته: «**هاؤم**». فقال: متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**ويحك، إنها كائنة، فما أعددت لها؟**» فقال: حُب الله ورسوله. فقال: «**أنت مع من أحببت**»(١).

فقوله في الحديث: «**المرء مع من أحب**»، هذا متواتر لا محالة، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة، بل أمره بالاستعداد لها.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ألا إن الذين يجادلون في قيام الساعة وفي وقوعها لفي تيهٍ وبعد عن الحق شديد.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٤٠).

(أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) يقول تعالى ذكره: ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه (لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) يقول: لفي جور عن طريق الهدى، وزيغ عن سبيل الحق والرشاد، بعيد من الصواب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) أي يشكون ويخاصمون في قيام الساعة (لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) أي عن الحق وطريق الاعتبار إذ لو تذكروا لعلموا أن الذي أنشأهم من ترب ثم من نطفة إلى أن بلغوا ما بلغوا قادر على أن يبعثهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) أي: يحاجّون في وجودها ويدفعون وقوعها، (لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾) أي: في جهل بين؛ لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى، كما قال: (وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ) [الروم:٢٧] .

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ) عنادا وتكذيبا، وتعجيزا لربهم. (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا) أي: خائفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفتهم بربهم، أن لا تكون أعمالهم منجية لهم ولا مسعدة، ولهذا قال: (وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ) الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه (أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ) أي: بعد ما امتروا فيها،

ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ في غاية البعد عن الحق، وأيُّ بعد أبعد ممن كذب بالدار التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمد، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل وتركها، وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار.

فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولًا وأغزرهم علمًا، وأعظمهم فطنة وفهمًا.



قال الله تعالى:

(ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا
نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ
شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ
لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ
لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ
ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا
تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾) [الشورى: ١٩-٢٦].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ - حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ - حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا - شَرَعُواْ - مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ - كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ - مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ - وَاقِعُۢ - رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ - يَقۡتَرِفۡ - يَخۡتِمۡ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾	رحيم بهم - رفيق بهم - بارٌّ بهم، ذو لطفٍ بهم
﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	ثواب الآخرة
﴿حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾	الأجر الدنيوي - ثواب الدنيا
﴿مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾	ما لم يشرعه الله، وما لم يأذن لهم في فعله ولا في ابتداعه
﴿كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ﴾	الكلمة التي قضاها الله والقضاء الذي قدره أنه يؤخر حسابهم ليوم الفصل يوم القيامة
﴿مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾	خائفين من الجزاء على أعمالهم السيئة التي عملوها
﴿وَاقِعُۢ﴾	نازل بهم - حالٌ بهم
﴿رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ﴾	المنتزه كثير الخضرة - الأماكن الفسيحة الخضراء
﴿يَقۡتَرِفۡ﴾	يعمل
﴿يَخۡتِمۡ﴾	يطبع

س: اذكر بمزيدٍ من الايضاح معنى قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله ذو لطفٍ بعباده وذو رحمةٍ بهم، ومن لطفه بهم ورفقه بهم ورحمته بهم في الدنيا أنه يرزقهم وإن كانوا كفارًا، وكذا لا يعاجلهم بالعقوبة بل يلتطف لهم بالإنذار والتحذير ويسوق إليهم العبر والبينات والدلالات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم. (وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ) الذي لا يغلبه ذو أيد لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته (ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾) في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم، لا ينسى أحدًا منهم، سواء في رزقه البرّ والفاجر، كقوله تعالى: (۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾) [هود:٦] ولها نظائر كثيرة.

وقوله: (يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ) أي: يوسع على من يشاء، (وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾) أي: لا يعجزه شيء.

أما القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد استفاض في ذلك:

قوله تعالى : (ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ) قال ابن عباس : حفي بهم وقال عكرمة : بار بهم وقال السدي : رفيق بهم وقال مقاتل : لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم وقال القرظي : لطيف بهم في

العرض والمحاسبة قال :

غدا عند مولى الخلق للخلق موقف يسـائلهم فيـه الجليـل ويلطـف

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين : يلطف بهم في الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني : أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل : لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد : لطيف بأوليائه حتى عرفوه ولو لطف بأعدائه لما جحدوه وقال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا يئس من الخلق توكل ورجع إليه فحينئذٍ يقلبه ويقبل عليه وجاء في حديث النبي ﷺ : «**إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول جل وعز: أمحت آثارهم واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف عنهم العذاب**» قال أبو علي الثقفي رضي الله عنه :

أمـر بأفنـاء القبـور كـأنني أخـو فطنـة والثـوب فيـه نحيـف

ومـن شـق فـاه الله قـدر رزقـه وربـي بمـن يلجـأ إليـه لطيـف

وقيل : اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى هذا قال النبي ﷺ: «**يا من أظهر الجميل وستر القبيح**» وقيل : هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل : هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير وقيل : هو الذي لا يخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله وقيل : هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ [لقمان : ٢٠]، وقال :

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحـج : ٧٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النســاء : ٢٨]، وقيل : هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل : هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل : هو الذي لا يرد سائله ولا يوئس آمله وقيل : هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل : هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل : هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجًا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجًا وقد مضى في (الأنعام) قول أبو العالية والجنيد أيضًا وقد ذكرنا جميع هذا في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ ويحرم من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض إلى البعض : كما قال : ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الزخرف : ٣٢]، فكان هذا لطفا بالعباد وأيضا ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال : ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفرقان : ٢٠] على ما تقدم بيانه.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى أنه ﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده -وخصوصًا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون.

فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين،

ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعيا لاتباعه.

ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض.

ومن لطفه، أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصيته صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: (يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ) بحسب اقتضاء حكمته ولطفه (وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩) الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء.



س: وضح معنى قوله تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، من كان يريد بعمله ثواب الله ﷻ له في الآخرة نكثر له من الثواب ونعظم له من الأجر ونعينه في الدنيا على صالح العمل ما دام يبتغي به وجه الله ﷻ، ومن كان يريد بعمله الدنيا فحسب ولا يرغب في ثواب الله ولا يرجوه فيأخذ من الدنيا ما كتبه الله له فيها وليس له في الآخرة من أجرٍ على عمله الذي عمله يبتغي به الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ) يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة نزد له في حرثه: يقول: نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا) يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها. (وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾) يقول: وليس لمن طلب بعمله الدنيا، ولم يرد الله به في ثواب الله لأهل الأعمال التي أرادوه بأعمالهم في الدنيا حظّ.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا)... الآية، يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبًا في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئًا إلا رزقًا قد فرغ منه وقسم له.

وعن ابن زيد بإسناد صحيح قال: من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عمله ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا)... إلى آخر الآية، قال: من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها، ولم نجعل له في الآخرة من نصيب، الحرث العمل، من عمل للآخرة أعطاه الله، ومن عمل للدنيا أعطاه الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ) أي: عمل الآخرة (نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ) أي: نقويه ونعينه على ما هو بصدده، ونكثر نماءه، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ

مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾) أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همَّة البتة بالكلية، حَرَمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة.

والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مقيدة بالآية التي في «سبحان» وهي قوله تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾) [الإسراء:١٨-٢١] .

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ) الحرث العمل والكسب ومنه قول عبد الله بن عمر: واحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا والمعنى : أي من طلب بما رزقناه حرثا لآخرته فأدى حقوق الله وأنفق في إعزاز الدين فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرا إلى سبعمائة فأكثر (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا) أي طلب بالمال الذي آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل إلى المحظورات فإنا لا نحرمه الرزق أصلا ولكن لا حظ له في الآخرة من ماله قال الله تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسـراء : ١٨ - ١٩] وقيـل : ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ نوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل : حرث الآخرة الطاعة أي من أطاع فله الثواب قيل :﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ أي نعطه الدنيا مع الآخرة وقيل : الآية في الغزو أي من أراد بغزوه الآخرة أوتي الثواب ومن أراد بغزوه الغنيمة أوتي منها قال القشيري : والظاهر أن الآية في الكافر يوسع له في الدنيا أي لا ينبغي له أن يغتر بذلك لأن الدنيا لا تبقى.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق، وسعى لها سعيها ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافا كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩]، ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾ بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ نصيبه الذي قسم له، ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾ قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها.

وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥﴾ [هود: ١٥].



س: هل كل من يريد حرث الدنيا يؤته الله منها؟

ج: ليس كل من أراد الدنيا أعطي ما يريده منها، بل الأمر راجع إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه الآية الكريمة ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ موضحة بقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨﴾ **[الإسراء: ١٨]**، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ألهؤلاء المشركين آلهة غير الله شرعت لهم الشرك، وشرعت لهم الحلال والحرام، فأحلت ما حرمه الله، وحرمت ما أحله الله؟!!

إذا كان لهؤلاء آلهة على النحو المذكور، وأنها شريكة لله فأين هؤلاء الشركاء، فالحمد لله ليس لله شريك إنما هو إله واحد فمن أين أتى هؤلاء بباطلهم وبافتراءتهم، وإنما أتوا بذلك من قبل شياطين الإنس والجن التي عبدوها مع الله واتخذوها آلهة من دون الله.

هذا ولأن الله قدَّر عليهم أن يحاسبوا على صنيعهم يوم القيامة وقضى بذلك فلولا ذلك لعوجلوا بالعقوبة على شركهم وافترائهم، وعلى كلٍّ فالظالمون المشركون المفترون لهم عذاب يوم القيامة مؤلم مُوجع.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم ﴿ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ يقول : ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره : ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا وأنه مضى من قيله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم في الدنيا ولكن لهم في الآخرة من العذاب الأليم كما قال جل ثناؤه : ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ يقول : وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت **عمرو بن لُحَيّ بن قمَعَة يَجُر قُصْبَه في النار**»(١) لأنه أول من سيب السوائب. وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حَمَلَ قريشا على عبادة الأصنام، لعنه الله وقبحه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا

(١) البخاري (٤٩٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ ﴾ أي: لعوجلوا بالعقوبة، لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ أي: شديد موجع في جهنم وبئس المصير.

ثم قال تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: في عرصات القيامة، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ ﴾ أي: الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة، هذا حالهم يوم معادهم، وهم في هذا الخوف والوجل، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ﴾ فأين هذا من هذا: أين من هو في العَرَصَات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه، ممن هو في روضات الجنات، فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ، فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ أي ألهم ! والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ **[الشورى: ١٣]** قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَۗ ﴾ **[الشورى : ١٧]** كانوا لا يؤمنون به فهل لهم آلهة شرعوا لهم الشرك الذي لم يأذن به الله ! وإذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن أين يدينون به ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة حيث قال : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ **[القمر: ٤٦]**، ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ في الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة وأثاب الطائع ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ في الدنيا القتل والأسر والقهر وفي الآخرة عذاب النار وقرأ ابن هرمز: **(وأن)** بفتح الهمزة على العطف على ﴿وَلَوْلَا

كَلِمَةٌ) والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب (وَلَوْلَا) جائز ويجوز أن يكون موضع (أن) رفعًا على تقدير : وجب أن الظالمين لهم عذاب أليم فيكون منقطعا مما قبله كقراءة الكسر فاعلمه.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر (شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ) من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم.

مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئا ما جاء عن الله ولا عن رسوله، فكيف بهؤلاء الفسقة المشتركين هم وآباؤهم على الكفر.

(وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ) أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلا بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ ...).

ج: المعنى، والله أعلم، ترى أيها الناظر يوم القيامة أهل الكفر أهل الشرك أهل الظلم خائفين يوم القيامة مما اكتسبوه وفعلوه في دنياهم من سيئ الأعمال وجزائها السيئ والعذاب عليها، وهو لا محالة واقعٌ بهم أما

أهل الإيمان والعمل الصالح فهم في فسيح الجنات وروضات البساتين لهم ما يتمنونه وما يشتهونه، ذلك هو التفضل الكبير من الله عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة (مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ) يقول: وجلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة. (وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ) يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة.

وقوله: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ) يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة. ويعني بالروضات: جمع روضة، وهي المكان الذي يكثر نبته، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار رياض؛ ومنه قول أبي النجم:

والنغض مثل الأجرب المدجل حدائق الروض التي لم تحلل

يعني بالروض: جمع روضة. وإنما عنى جل ثناؤه بذلك: الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم.

وقوله: (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ) يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم، ذلك هو الفضل الكبير، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم، وهذه الكرامة في الآخرة: هو الفضل من الله عليهم، الكبير الذي يفضل كل نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولــه تعـالى : (تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ) أي خـائفين (مِمَّا كَسَبُواْ) أي من جزاء ما كسبوا والظالمون هاهنا الكافرون بدليل التقسيم بين المؤمن والكافر ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ) أي نازل بهم (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ) الروضة : الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى في (الروم) (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ) أي من النعيم والثواب الجزيل (ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٢) أي لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى كنه صفته لأن الحق إذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره.



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال أقواها وأشهرها وعليها أكثر العلماء قول من قال:

قل يا رسول الله لأهل الشرك لا أسألكم على الإيمان والإسلام والقرآن واتباعي أجرًا وإنما أسألكم - إن لم تؤمنوا بي - ألا تؤذوني بل تصلوا القرابة والرحم التي بيني وبينكم فأنتم قومي وأقربائي فاحفظوا هذه القرابة ولا تؤذوني.

وقد أخرج البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سُئل عن قوله: (إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰۗ) فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت إن النبي ﷺلم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال:

إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة [(١)].

وأخرجه الطبري من طرقٍ متعددة عن ابن عباس رضي الله عنهما منها طريق الشعبي عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ قال: لك يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة، فقال: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح عن طاوس قال: سأل رجل ابن عباس المعنى عن قول الله ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ابن عباس: عجلت إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يكن بطن من قريش إلا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم قرابة فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ - إلا ان تصلوا قرابة ما بيني وبينكم [(٢)].

إلا أن البخاري أخرج هذا الحديث بدون ذِكر سبب النزول.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعته فيها. ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة

---

(١) البخاري (٤٨١٨).

(٢) أحمد (٢٢٩/١).

من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم ثوابا وجزاء، وعوضا من أموالكم تعطونني (إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ).

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ). فقال بعضهم: معناه: إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم.

القول الثاني: ذكره الطبري فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تؤدُّوا قرابتي(١).

والثالث: ذكره الطبري أيضًا فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودَّدوا لى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة.

والقول الرابع: ذكره الطبري أيضًا فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلا أن تصلوا قرابتكم.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الأول فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبههما بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرًا يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

---

(١) المراد: حق قرابتي.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة.

وأورد جملة أقوال ثم قال:

والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام حَبرُ الأمة، وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس، كما رواه عنه البخاري، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذويه، رضي الله عنهم أجمعين.



فضائل آل بيت الرسول ﷺ

س: اذكر شيئًا من الوارد في فضل آل بيت رسول الله ﷺ.

ج: من ذلك ما يلي:

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وما أخرجه مسلم[(١)] في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: خرج

---

(١) مسلم: (٢٤٢٤).

النبي ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود فجاء الحسن بن عليٍّ فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٣٣]».

وما أخرجه أحمد(١) بسندٍ صحيح لشواهده من حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت: قتلوه قتلهم الله غروه وذلوه لعنهم الله فإني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحمله في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: «**أين ابن عمك؟**». قالت هو في البيت. قال «**فاذهبي فادعيه وائتني بابنيه**». قالت فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعلي يمشي في إثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره قالت أم سلمة: فاجتبذ من تحتي كساء خيبريا كان بساطًا لنا على المنامة في المدينة فلفه النبي ﷺ عليهم جميعا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه ﷻ قال: «**اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**». قلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: « **بلى فادخلي في الكساء** ». قالت: فدخلت في الكساء بعدما

---

(١) أحمد (٦/٢٩٨).

قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم.

وما أخرجه الترمذي[١] بسندٍ صحيح، وهو عند مسلم مطولٌ واللفظ للترمذي من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه لما أنزل الله هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**».

وعند مسلم من طريق يزيد بن حيان[٢] قال: انطلقتُ أنا وحصين بن سَبْرَةَ وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرْقم فلما جلسنا إليه قال له حُصين: لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا؛ رأيتَ رسول الله ﷺ، وسمعتَ حديثه، وغزوتَ معه، وصليتَ خلفه، لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي لقد كَبِرتْ سِنِّي وقَدُمَ عهدي ونسيتُ بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثْتُكم فاقبلوا، وما لا فلا تُكَلِّفونيه ثم قال: قام رسولُ الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يُدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّرَ ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأُجيب وأنا تاركٌ فيكم ثقلَين: أولُهما كتابُ الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيدُ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بَعْدَه قال: ومن هُم؟ قال: هم آل عليٍّ وآلُ عقيلٍ وآل جعفرٍ

---

(١) الترمذي حديث (٢٩٩٩)، وهو عند مسلم مطول (صـ ١٨٧١).

(٢) مسلم (٢٤٠٨).

وآل عباسٍ. قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم.

وأخرج الإمام أحمد بسندٍ صحيح لغيره عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض جميعًا**»(١).

* ومن فضائل آل بيت رسول الله ﷺ أننا نصلي عليهم في صلاتنا، والأحاديث بذلك كثيرة جدًّا أذكر منها فقط حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، وقد لقي عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال له: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(٢).

* **وقد صح عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه** (٣) **أنه قال:** «ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته».

وصح عنه أيضًا أنه قال: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»(٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: الظاهر، والله أعلم، أن معناها، ومن يعمل حسنة نضاعف له

(١) أحمد (١٨٩/٥).
(٢) البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).
(٣) البخاري (٣٧١٣).
(٤) البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩).

أجرها أضعافًا كثيرة، ونغفر لهم ذنوبهم فإن الله غفور يغفر لعباده زلاتهم وذنوبهم، شكور يشكر لهم طاعتهم إذا هم أطاعوه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يعمل حسنة، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ يقول: نضاعف عمله ذلك الحسن، فنجعل له مكان الواحد عشرًا إلى ما شئنا من الجزاء والثواب.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه.

وأورد عن ابن زيد، بإسناد صحيح قال: غفر لهم الذنوب، وشكر لهم نعما هو أعطاهم إياها، وجعلها فيهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: ومن يعمل حسنة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: أجرًا وثوابًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠] .

وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة(السيئة) بعدها.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أيقول هؤلاء الكفار على رسول الله ﷺ وينسبون إليه الكذب ويزعمون أنه افترى على الله كذبًا؛ فقل لهؤلاء: إن الله قادر إن فعلت ذلك أن يختم على قلبي وبعد ذلك يمح الباطل المفترى المتقول ويثبت الحق بما ينزله من كتاب، قادرٌ ربي على ذلك وعالم بما يدور في صدري إن فكرت في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: ﴿افْتَرَىٰ﴾ محمد ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقًا من قبل نفسه. وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ﴾ يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك.

وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ التي أنزلها إليك يا محمد فيثبته.

وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ في موضع رفع بالابتداء، ولكنه حذفت منه الواو في المصحف، كما حذفت من قوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٨]، ومن قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١]، وليس بجزم على العطف على يختم.

وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما في صدور خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم، لا يخفى عليه من أمورهم

شيء، يقول لنبيه ﷺ: لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا، لطبعت على قلبك، وأذهبت الذي أتيتك من وحيي، لأني أمحو الباطل فأذهبه، وأحق الحق، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به، الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) أي: لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) أي: لطَبَعَ على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن، كقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾) [الحاقة:٤٤-٤٧] أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

وقوله: (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ) ليس معطوفا على قوله: (يَخْتِمْ) فيكون مجزوما، بل هو مرفوع على الابتداء، قاله ابن جرير، قال: وحذفت من كتابته (الواو) في رسم المصحف الإمام، كما حذفت من قوله: (سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾) [العلق: ١٨]، وقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء:١١] .

وقوله: (وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ) معطوف على (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ) أي: يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته، أي: بحججه وبراهينه، (إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: بما تكنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنـى، والله تعـالى أعلـم، والله سـبحانه وتعـالى هـو الـذي يقبـل رجوع عبده إليه بعد أن كان العبد بعيدًا عن طريقه مُذنبًا مقترفًا للذنوب والآثام فإذا رجع فأبواب التوبة له مفتوحة والله يفرح برجوعه هذا، وكذا فإنه يعفوا عن سيئات من تاب وأذنب، وتختم الآية الكريمة بتحذير بقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: لا تتمادوا فيما أنتم فيه من شر فالله يعلم جميع ما تفعلونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يقول: ويعفو أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال، وهي معاصيه التي تاب منها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة **(يفعلون)** بالياء، بمعنى: ويعلم ما يفعل عباده، وقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بالتاء على وجه الخطاب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الياء أعجب إلي، لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر، وذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ ويعني جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ويعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه، فاتقوا الله في أنفسكم، واحذروا

أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه: أنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، كقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ **[النساء: ١١٠]**.

وأورد بعض الأحاديث ثم قال:

وقوله: ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه.



بعض الوارد في الحث على التوبة

س: اذكر بعض الأحاديث المرغبة في التوبة وكذا التي مفادها أن الله ﷻ يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه، وكذا بعض الآيات.

ج: من الآيات ما يلي:

قولـه تعـالى: (﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) [الزمر: ٥٣].

وقـال تعـالى: (وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: (فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ) [فصلت: ٦].

وقال سبحانه: (وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾) [البقرة: ١٩٩].

* **وينادي الله - سبحانه وتعالى - عباده كما في الحديث القدسي:** «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

وقـال تعـالى: (أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) [إبراهيم: ١٠].

* **ولما قال الشيطان:** بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: «**فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...**» الحديث، وفيه القدر المذكور (حديث ٢٥٧٧).

استغفروني»(١).

* وينادي الله ﷻ عباده في الثلث الأخير من الليل: «من يستغفرني فأغفر له»(٢).

* وحث الله عباده على التوبة النصوح بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

* وحثهم على المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه، فقال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* وبيَّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يريد التوبة على عباده: فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾ [التوبة: ١٠٤].

* وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾. [الشورى: ٢٥].

فرح الله ﷻ بتوبة العبد

قال النبي ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا

(١) أحمد (٢٩/٣).
(٢) البخاري مع «الفتح» (١٢٨/١١)، ومسلم (٣٦/٦).

وجدها»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام[٢] أيضًا: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دَوِّيَّة[٣] مَهلَكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

وفي الصحيحين[٤] من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاةٍ».

وفي لفظ لمسلم[٥]: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٢١٠٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعًا، وأشار إليه البخاري (٦٣٠٨).

(٣) الدَّوِّيَّة: هي الأرض القفر والفلاة الخالية.

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص ٢١٠٥).

(٥) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٧).

مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾).

ج: في ذلك وجهان مشهوران:

أحدهما: أنه يستجيب بمعنى يُجيب كقوله تعالى: (فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ ...﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فيكون المعنى: ويجيب الله ﷻ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى ما سألوه فيعطيهم ما سألوه وفوق ما سألوه.

فعلى سبيل المثال غاية ما كانت تتمناه أم موسى عليه السلام وهي حامل في ولدها أن يحفظ الله ولدها من شفار الذباحين من الفراعنة، فسلم الله لها ولدها وجعله يتربى تحت عينيها وبين ثدييها في بيت فرعون، فتشفع فيمن شاءت وتُهدى إليها الهدايا بسبب موسى عليه السلام.

الثاني: أن يستجيب عائدةٌ على أهل الإيمان، أي: أنهم يستجيبوا لربهم إذا أمرهم فإذا فعلوا ذلك زادهم الله من فضله كأن يشفعهم في مؤمنين، وكأن يُريهم وجهه الكريم يوم القيامة.

أما أهل الكفر فقد أُعد لهم العذاب الشديد، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض.

ثم قال:

وقوله: (وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ) يقول تعالى ذكره: ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه، بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي

ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه، هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم، فشفعوا فيهم.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦﴾ يقول جل ثناؤه: والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به.

واختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فقال بعضهم: أي استجاب فجعلهم هم الفاعلين، فالذين في قوله رفع والفعل لهم. وتأويل الكلام على هذا المذهب: واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم إلى الإيمان به، والعمل بطاعته إذا دعاهم إلى ذلك.

وقال آخر منهم: بل معنى ذلك: ويجيب الذين آمنوا. وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما الرفع، بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا. والآخر ما قاله صاحب القول الذي ذكرنا.

وقال بعض نحويي الكوفة: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع نصب بمعنى: ويجيب الله الذين آمنوا. وقد جاء في التنزيل ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، والمعنى: فأجاب لهم ربهم، إلا أنك إذا قلت استجاب، أدخلت اللام في المفعول؛ وإذا قلت أجاب حذفت اللام، ويكون استجابهم بمعنى: استجاب لهم، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ والمعنى والله أعلم: وإذا كالوا لهم، أو وزنوا لهم ﴿يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطففين: ٣]. قال: ويكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضع رفع إن يجعل الفعل لهم، أي الذين آمنوا يستجيبون لله، ويزيدهم على إجابتهم، والتصديق به من فضله.

وقد بينا الصواب في ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه.



قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا
يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ
وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩ وَمَآ
أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠
وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ
٣١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ
رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا
كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ
٣٥ ﴾ [الشورى: ٢٧-٣٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَسَطَ –لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ –ٱلۡغَيۡثَ –قَنَطُواْ –وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ –ٱلۡوَلِيُّ –ٱلۡحَمِيدُ –بَثَّ – دَآبَّةٖ – بِمُعۡجِزِينَ –ٱلۡجَوَارِ –يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ –رَوَاكِدَ – صَبَّارٖ – شَكُورٍ – يُوبِقۡهُنَّ –بِمَا كَسَبُواْ – يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا –مَّحِيصٖ).

ج:

الكلمة	معناها
(بَسَطَ)	وسَّع
(لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)	لَظَلَمَ بعضهم بعضًا ولتعدى بعضهم على بعض
(ٱلۡغَيۡثَ)	المطر
(قَنَطُواْ)	يئسوا
(وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ)	يُعم فضله على البلاد، وقيل: الرحمة هنا المطر، وهذا أصح. وقيل: إنها ظهور الشمس بعد اختفائها
(ٱلۡوَلِيُّ)	الذي يتولى أمور الناس فيحسن إليهم ويتفضل عليهم ويتولى أهل الإيمان بعفوه ورحمته ونصره
(ٱلۡحَمِيدُ)	الذي تحمده الخلائق، والمحمود في السراء والضراء
(بَثَّ)	فرَّق - نشر - خلق
(دَآبَّةٖ)	كل ما يدب في السماء والأرض، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وعموم الحيوانات والمخلوقات
(بِمُعۡجِزِينَ)	بفائتين - بغالبين - لن يعجز ربكم عن إدراككم

(ٱلْجَوَارِ)	السفن الجارية في البحر
(يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ)	يجعلها ساكنة لا تتحرك
(رَوَاكِدَ)	ساكنة لا تتحرك ـ مستقرة
(صَبَّارٍ)	ذو صبر على طاعة الله وعلى بلائه واختباره
(شَكُورٍ)	ذو شكر لنعم الله
(يُوبِقْهُنَّ)	يُهلكهن
(بِمَا كَسَبُوا۟)	بسبب كسبهم السيئ ومعاصيهم
(يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا)	يخاصمون في الدلائل والمعجزات وينكرونها ويكذبون بها
(مَّحِيصٍ)	محيد ـ مهرب ـ مفر



س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولو وسع الله على العباد في الأرزاق فأعطاهم فوق احتياجاتهم لبغى بعضهم على بعض، لتطاول بعضهم على بعض ولظلم بعضهم بعضًا ولكنه سبحانه ينزل من الأرزاق في كثيرٍ من الأحيان ما تستقيم به أمورهم وتسمو به أخلاقهم إنه سبحانه ذو بصر بعباده وذو خبرةٍ بهم، يراهم ويعلم ما يدور في نفوسهم وما تؤول إليه أمورهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو بسط الله الرزق لعباده، فوسعه وكثره عندهم لبغوا، فتجاوزوا الحد الذي حده الله لهم إلى غير الذي حده لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم، ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم، ذو خبرة، وعلم، بصير بتدبيرهم، وصرفهم فيما فيه صلاحهم.



س: هل صح لهذه الآية الكريمة: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الطبري بسندٍ صحيح إلى أبي هانئ، وهو حميد بن هانئ الخولاني قال:

سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا.



الغنى في كثير من الأحيان يسبب الطغيان

س: اذكر بعض الآيات في معنى الآية الكريمة: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

ج: من الآيات التي في معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ **[العلق: ٦-٧]**.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ **[الإسراء: ٨٣]**.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ **[الزمر: ٨]**.

بعض صور البغي

س: هل صور البغي التي يقع فيها الناس بسبب بسط الرزق محصورة في تعدي بعضهم على بعض وظلم بعضهم لبعض؟

ج: هي أوسع من ذلك:

فمن صور بغيهم: تعدي بعضهم على بعض وتطاول بعضهم على بعضهم وانتهاك بعضهم لحرمة بعض.

ومن صور بغيهم: تركهم سؤال الله ﷻ واستغناؤهم عنه.

ومن صور بغيهم: أن الرجل إذا وسع عليه حسده الآخرون وتسلطوا عليه.

ومن صور بغيهم: أن بعضهم لن ينقاد لبعض وحينئذ إذا لم ينقاد بعضهم لبعض تتعطل مصالح العباد.

ومن صور بغيهم: طلبهم أكثر وأكثر فيطلبون دابة بعد دابة ومركبًا بعد مركب وملبسًا بعد ملبس ومسكنًا بعد مسكن، فلو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر وأكثر كما في الحديث: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا**»(١).

ومن صور بغيهم: تنافسهم في الدنيا وانشغالهم عن الذكر.

---

(١) البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (٧٢٥).

ومن صور بغيهم: ارتكابهم المعاصي والكبائر بما معهم من أموال إلى غير ذلك من صور البغي، والله أعلم.



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ **[الحجر: ٢١]**.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل المطر من السماء لنفع البلاد والعباد بعد قطعه عنهم زمانًا حتى يئسوا من نزوله كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ **[الروم: ٤٩]**.

فيتفضل الله عليهم بإنزاله ويعمم إنزاله فيشمل المطر البلاد عمومًا فيعم الخير، فهو الذي يتولى عباده بإحسانه وتفضله عليهم ورحمته بهم وهو المحمود في كل حال وبكل لسان وفي كل مقام.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ يقول: من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه. ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ يقول: وينشر في خلقه رحمته، ويعني بالرحمة: الغيث الذي ينزله من السماء.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾) يقـول: وهـو الـذي يلـيكم بإحسانه وفضله،الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه.



س: اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته على البعث وإحياء الأنفس بعد موتها خلقه سبحانه وتعالى للسموات والأرض وما فرَّق بينهما ونشر من مخلوقات، فالذي خلق ذلك قادرٌ على جمعهم يوم القيامة بلا شك، فكما قال تعالى: (لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) [غافر: ٥٧].

وكما قال سبحانه: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ).

[الروم: ٢٧]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، (خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ)، يعني وما فرق في السموات والأرض من دابة.

وقال أيضًا: (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾) يقول: وهو على جمع ما بث فيهما من دابة إذا شاء جمعه، ذو قدرة لا يتعذر عليه، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه، يقول تعالى ذكره: فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم في القبور.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ) الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا) أي: ذرأ فيهما، أي: في السموات والأرض، ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسموات، (وَهُوَ)مع هذا كله (عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾) أي: يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾).

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، وما أصبتم به أيها الناس من مصائب فسببها ما فعلتموه من المعاصي وما ارتكبتموه من الآثام ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يؤاخذكم بكل ما يصدر منكم، بل يتجاوز لكم عن كثير من ذنوبكم ومعاصيكم لا يؤاخذكم بها، وإلا فلو آخذكم لأهلككم جميعًا.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم

ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا:

وقال آخرون: بل عني بذلك: وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحد حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يقول: فيما عملتم من معصية الله ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ فلا يوجب عليكم فيها حدًّا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥]

وفي الحديث الصحيح: «**والذي نفسي بيده، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب ولا هم ولا حزَن، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه، حتى الشوكة يشاكها**»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥] وليس إهمالًا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزًا.

---

(١) البخاري (٥٦٤٠)، و(٥٦٤١)، و(٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣)، (٢٥٧٤) وغيرهما، بنحوه وله طرق.



بعض صور المصائب - عافانا الله -

س: اذكر بعض صور تلك المصائب.

ج: من هذه المصائب ـ عافانا الله منها ـ ما يلي:

* الضُّرُّ في الأبدان كالأمراض والأسقام والجروح والأوجاع التي يصاب بها العباد.

* قلة الأموال كالتضييق في الأرزاق، والخسارة في التجارات، والحريق الذي يلتهم كل شيء ونحو ذلك.

* الحدود التي تقام على العباد من جراء كبائرهم التي ارتكبوها وجرائمهم التي اجترموها.

* اختلاف العقول وقلة الأفهام وذهاب العلم.

* الفضائح التي يفتضح بها أقوام في الناس.

* تسلط الأعداء والشراذم على الشخص.

* تمرد الأبناء والبنات والزوجات.

* الهموم والأحزان والغموم التي تصيب البشر.

* نسيان القرآن وفقدان الرفقة الصالحة والحرمان من فعل الخير.

* استحواذ الشيطان على الشخص وتغير القلوب وانتكاسها إلى غير ذلك من المصائب ـ عافانا الله والمسلمين منها.



س: هل تلك الابتلاءات التي تحل بالصالحين تكون بذنوب ارتكبوها، وهل ما أصاب الأنبياء عليهم السلام كأيوبَ وسائر الأنبياء كان بذنوبٍ ارتكبت؟ وإلا فكيف الجمع بين ما حدث لهم وبين الآية الكريمة (وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ)؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن هذه الابتلاءات التي يُبتلى بها الصالحون إنما ابتلوا بها لرفعة درجاتهم وعلوم منزلتهم.

قال تعالى: (وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾).

[محمد: ٣١]

وقال رسول الله ﷺ وقد سئل عن أشد الناس بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه**»(١).

وقال ابن مسعود لرسول الله ﷺ**:** إنك لتوعك وعكًا شديدًا. قال: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**»، قلت: إن ذلك بأن لك أجرين؟ قال: «**أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر**»(٢).



س: هل هذه المصائب كفارات للذنوب أم لا؟

ج: من هذه الأدلة ما يلي:

---

(١) الترمذي (٢٣٩٨)، وله شواهد يصح بها.

(٢) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

ما أخرجه البخاري(١) **من حديث عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **زوج النبي □ قالت:** قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنها، حتى الشوكة يشاكها**».

وأخرج(٢) **أيضًا عن أبي سعيد الخدريِّ وعن أبي هريرة عن النبي □ قال:** «**ما يُصيبُ المسلم من نَصب ولا وَصَب ولا همٍّ ولا حَزَن ولا أذًى ولا غَمٍّ ـ حتى الشوكة يُشاكها ـ إلا كفَّر الله بها من خطاياه**».

وأخرج(٣) **أيضًا من حديث كعب بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي □ قال:** «**مثل المؤمن كالخامة من الزرع: تفيؤها الريح مرة، وتعدلها مرة. ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة**».

ونحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله □:** «**مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع: من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء. والفاجر كالأرزة صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء**»(٤).

فالأمراض والابتلاءات إذن علامة خير، قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يُصب منه**»(٥).

* **وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** لما نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ **[النساء: ١٢٣]**، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة**

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢).
(٢) البخاري (حديث ٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).
(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٣).
(٤) البخاري (حديث ٥٦٤٤).
(٥) البخاري (حديث ٥٦٤٥).

ينكبها، أو الشوكة يشاكها»(١).

* وأخرج أيضًا(٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ دَخَلَ على أم السائب - أو أم المسيب - فقال: «**ما لك يا أم السائب - أو يا أم المسيب - تزفزفين**»(٣). قالت: الحمى، لا بارك الله فيها: فقال: «**لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد**».

وأخرج مسلم(٤) من طريقه:

عن الأسود، قال: دخل شباب من قريش على عائشة، وهي بمنى، وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرَّ على طُنُب(٥) فسطاط، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا: فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**».

أخرج البخاري(٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يَعودُه، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مريض يعوده قال له: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» قال: قلتَ: طهور؟ كلا، بل هي حُمى تفور - أو تثور- على شيخ كبير، تُزيرُه القبور، فقال النبي ﷺ: «**فنَعَم إذًا**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٤).
(٢) مسلم (حديث ٢٥٧٥).
(٣) تزفزفين: أي ترعدين.
(٤) مسلم (حديث ٢٥٧٢).
(٥) الطنب: هو الحبل الذي يربط به الفسطاط.
(٦) البخاري (٥٦٥٦).

وفي حديث عبد الله بن مسعود[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه - وهو يوعك وعكًا شديدًا، وقلت: إنك لتوعك وعكًا شديدًا، قال: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين. قال: «أجل، ما من مسلم يُصيبه أذًى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتُّ ورق الشجر».



معرفة ما إذا كان الابتلاء عقوبة أو رفعة للدرجات

س: كيف يعرف الشخص الذي يُبتلى أن ما حلَّ به إنما حلَّ به لذنوبه أو إنما حلَّ به لرفعة درجاته؟

ج: هذا لا يتأتى إلا بالنظر إلى سيرته العامة فإن كان غالب أمره الصلاح وأداء حدود الله والبعد عن مساخطه فالغالب حينئذٍ أن المصائب ابتلاءات لرفعة الدرجات.

أما إذا كان مغمورًا في المعاصي مسرفًا على نفسه بالذنوب، فالغالب أن يكون هذا الذي حلَّ به إنما حلَّ به من جراء ذنوبه ومعاصيه، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما أنتم معشر البشر بمستطيعي الهرب من ربكم في أي مكان في الأرض، فربكم لن يعجز عن إحلال أمره فيكم،

(١) البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١).

وإنزال بأسه - إن أراد بكم في أي مكان كنتم، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكما قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، ففي أي مكان كنتم لن تعجزوا ربكم ﷻ بل الله عليكم قادر، وليس لكم من دون الله من يتولاكم ولا من ينصركم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هربا في الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ يقول: ولا لكم من دونه نصير ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به.



س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى إجمالًا، والله أعلم، ومن آيات الله ﷻ الدالة على قدرته وعلى وحدانيته هذه السفن العظيمة الهائلة التي هي كالجبال تلك التي ألهمكم صنعها وتسييرها، فإنه سبحانه يسيرها وإياكم في البحر بما يسخره لها من الرياح، وإلا فربي قادر على أن يجعل الريح ساكنة لا

تتحرك، فالرياح مسخرة بتسخير الله لها، فإذا سكنت الريح ولم تتحرك ظلّت السفن راكدة على ظهر البحر ساكنة هي الأخرى، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في تسكين الريح وتحريكها وتسيير السفن وإيقافها لدلالات واضحات على قدرتنا ووحدانيتنا يتعقلها ويتفهمها ويستدل بها على قدرتنا ووحدانيتنا كل ذي صبر على أوامرنا يمتثلها ويعمل بها، وكل ذي صبر عن محارمنا يجتنبها، وكل ذي صبر على قضائنا وقدرنا، وكذا ففيها آية لكل شكور لنعمائنا، مقرٌّ بفضلنا وإحساننا، وإن يشأ الله ﷻ يغرق هذه السفن بمن فيها بسبب عملهم السيئ وكسبهم الخبيث واقترافهم المآثم، ولكنه سبحانه يعفو عن كثير من الذنوب والخطايا، وبنحو هذا جاءت أقوال المفسرين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. والجواري: جمع جارية، وهي السائرة في البحر.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ يعني كالجبال: واحدها علم؛ ومنه قول الشاعر:

.... كأنه علم في رأسه نار

يعني: جبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال كذلك:

وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ يقول تعالى ذكره: إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح

التي تجري بها فيه، فثبتن في موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري، فلا تتقدم ولا تتأخر.

ثم قال: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) يقول: إن في جري هذه الجواري في البحر بقدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء لكل ذي صبر على طاعة الله شكور لنعمه وأياديه عنده.

يقول تعالى ذكره: أو يوبق هذه الجواري في البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب، واجترموا من الآثام، وجزم يوبقهن، عطفا على (يُسْكِنِ الرِّيحَ) ومعنى الكلام إن يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره، (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) ويعني بقوله: (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) أو يهلكهن بالغرق.

وقال:

وقوله: (وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾) يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها.

وقوله: (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا) يقول جلَّ ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا ﷺ من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده.

وقال:

وقوله: (مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾) يقول تعالى ذكره: ما لهم من محيص من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم، وكفرهم به، ولا لهم منه ملجأ.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾) أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية،

أو ردع نفسه عند المصائب عن التسخط، ﴿شَكُورٍ ٣٣﴾ في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله.

وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام، أي: كالجبال، قاله مجاهد، والحسن، والسدي، والضحاك، أي: هي في البحر كالجبال في البر.

﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ أي: التي تسير بالسفن، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على ظهره، أي: على وجه الماء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ أي: في الشدائد ﴿شَكُورٍ ٣٣﴾ أي: إن في تسخيره البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، لدلالات على نعمه تعالى على خلقه ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ أي: في الشدائد، ﴿شَكُورٍ ٣٣﴾ في الرخاء.

وقوله: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها ﴿وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤﴾ أي: من ذنوبهم. ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر.

وقال بعض علماء التفسير: معنى قوله: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها

المستقيم، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال، آبقة لا تسير على طريق، ولا إلى جهة مقصد.

وهذا القول هو يتضمن هلاكها، وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت. ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة، كما يرسل المطر بقدر الكفاية، ولو أنزله كثيرًا جدًّا لهدم البنيان، أو قليلًا لما أنبت الزرع والثمار، حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيحًا من أرض أخرى غيرها؛ لأنهم لا يحتاجون إلى مطر، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم، وأسقط جدرانهم.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا، فإنهم مقهورون بقدرتنا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي: يغرقهن بذنوب أهلها وقيل : يوبق أهل السفن ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ من أهلها فلا يغرقهم معها حكاه الماوردي وقيل : ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ أي: ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك.

قال القشيري: والقراءة الفاشية ﴿وَيَعْفُ﴾ بالجزم وفيها إشكال لأن المعنى : إن يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ﴿وَيَعْفُ﴾ على هذا لأنه يصير المعنى : إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو إذًا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ﴿ويعفو﴾ بالرفع وهي جيدة في المعنى ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم

مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾) يعني الكفار أي إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة.

قال الله تعالى:

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾
وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا
ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن
نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا
ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى: ٣٦-٤٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَمَتَٰعُ - يَتَوَكَّلُونَ - ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ - وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ - ٱلۡبَغۡيُ - يَنتَصِرُونَ - مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ - وَيَبۡغُونَ - وَغَفَرَ - عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ - يُضۡلِلِ ٱللَّهُ - هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ - يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا - خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ - يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ - عَذَابٖ مُّقِيمٖ - فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ - ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم - لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ - مَّلۡجَإٖ - نَّكِيرٖ - أَعۡرَضُواْ - حَفِيظًاۖ - إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ - رَحۡمَةٗ - سَيِّئَةُۢ - بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ - كَفُورٞ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَمَتَٰعُ)	شيءٌ يستمتع به ويفنى بعد ذلك ويزول
(يَتَوَكَّلُونَ)	يعتمدون - يثقون بربهم ﷻ
(ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ)	أجابوه - سمعوا له وأطاعوا
(وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ)	يتشاورون في أمورهم العامة
(ٱلۡبَغۡيُ)	التعدي من غيرهم عليهم
(يَنتَصِرُونَ)	يأخذون حقهم ممن ظلمهم
(مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ)	ليس هناك طريق ولا سبب لتعذيبهم ولا للومهم، وقيل: المراد ما عليهم من عنت ولا مشقة ولا عذاب
(وَيَبۡغُونَ)	يتعدون على العباد
(وَغَفَرَ)	تجاوز عمن ظلموه - ستر السيئة فلم يُؤاخِذ المسيء بإساءته من الأمور العظيمة التي أمر الله بها
(عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ)	من الأمور العظيمة التي أمر الله بها
(يُضۡلِلِ ٱللَّهُ)	يخذله الله ويصرفه عن الطاعة

(هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ)	هل من طريق للرجوع إلى الحياة الدنيا
(يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا)	يرونها ويشاهدونها
﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾	خاضعين بسبب الذل الذي أصابهم خاضعين والذلُّ يعتريهم
﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾	ينظرون بعينٍ ذليلةٍ منكسرة لا يستطيعون رفع أبصارهم من شدة الذل الذي يعتريهم ومن العذاب الذي يرونه، وقيل: يسارقون النظر، وقيل: وهو راجع إلى المعنى الأول: ينظرون بجزء من أعينهم، نظرة الذليل المنكسر
(عَذَابٖ مُّقِيمٖ)	عذاب دائم لا يتحول ولا يزول
(فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ)	فما له من طريق لهدايته ولا من طريق لفراره ولا من طريق لإنقاذه
(ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم)	أجيبوا داعي ربكم الذي يدعوكم إلى طريق الله
﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾	لا مانع له ولا رادَّ لوقوعه
(مَّلۡجَإٖ)	ملتجأ تلتجئون إليه - مكان تعتصمون فيه
(نَّكِيرٖ)	نصير - عُزوة تعتزون بها - من يُنكر ما يحلّ بكم من العذاب

﴿أَعۡرَضُواْ﴾	انصرفوا عن الإيمان
﴿حَفِيظًاۖ﴾	الحفيظ من يحفظ الأعمال ويكتبها ويسجلها
﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾	ما عليك إلا تبليغ ما أوحي إليك
﴿رَحۡمَةٗ﴾	نعمة من مالٍ وولدٍ ونحو ذلك
﴿سَيِّئَةُۢ﴾	فقرٌ وفاقة ومرضٌ ونحو ذلك
﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾	بسبب ما عملوه من الأعمال السيئة والذنوب والمعاصي والشرك
﴿كَفُورٞ﴾	جحود لنعم الله ﷻ (ينسى النعم ويذكر العقوبة والبلاء فقط)



س: اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ...﴾.

ج: من الآيات الواردة في معناها ما يلي:

* **قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ **[القصص: ٦٠]**.

* **وقوله تعالى:** ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾.

[الأعلى: ١٦-١٧]



س: هل الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ...﴾ للمشركين أم هو عامٌّ؟

ج: بل هو عام، فليس هناك ما يدعو إلى تقييده. والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومهما أوتيتم في هذه الدنيا من شيءٍ فمتاعٌ زائلٌ وفانٍ، تُتزين به في الحياة الدنيا ثم هو ذاهب ومُنتهٍ وما أعده الله ﷻ في الآخرة لأهل الإيمان وأهل التوكل عليه والاعتماد عليه والثقة به خيرٌ وأبقى، لا يزول ولا يتحول كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش الدنيا من المال والبنين، فمتاع الحياة الدنيا، يقول تعالى ذكره: فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا، وليس من دار الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة، خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى؛ لأن ما أوتيتم في الدنيا فإنه نافد، وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باقٍ غير نافذ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أوتيتموه

من متاع الحياة الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى محقرًا بشأن الحياة الدنيا وزينتها، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني، بقوله: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ أي: وثواب الله خير من الدنيا، وهو باقٍ سرمدي، فلا تقدموا الفاني على الباقي؛ ولهذا قال: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ أي: ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا أغضبهم شخص بفعل شيء يضايقهم ويؤذيهم تجاوزوا عنه وصفحوا عنه، فسجيتهم وطبيعتهم تقتضي العفو عن الناس، وليس من سجيتهم الانتقام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في «سورة الأعراف» ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس.

وقد ثبت في الصحيح(١): أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط، إلا أن

(١) البخاري (٣٥٦٠)، و(٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

تنتهك حرمات الله.

وفي حديث آخر[١]: كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «**ما له؟ تربت جبينه**» .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن زائدة، عن منصور ، عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا[٢] .



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين أجابوا ربهم ﷻ فيما دعاهم إليه فامتثلوا أمره واجتنبوا ما نهاهم عنه، وحافظوا على صلاتهم في أوقاتها ودواموا عليها، ولا يقطع واحدٌ منهم أمرًا مما يخص جماعة المسلمين إلا وشاور المسلمين فيه، ثم هم منفقون من أموالهم، باذلون لها في طاعة الله ﷻ ومرضاته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) يقول تعالى ذكره: والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) المفروضة بحدودها في أوقاتها، (وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ) يقول: وإذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم، (وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

(١) البخاري (٦٠٣١).
(٢) السند الظاهر صحيح.

يُنفِقُونَ) يقول: ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله، ويؤدّون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليهم نفقته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ) أي: اتبعوا رسله وأطاعوا أمره، واجتنبوا زجره، (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) وهي أعظم العبادات لله ﷻ، (وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ) أي: لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تعالى: (وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ) [آل عمران: ١٥٩] ولهذا كان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يشاورهم في الحروب ونحوها، ليطيب بذلك قلوبهم. وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب الوفاة حين طعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ (وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨) وذلك بالإحسان إلى خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ) أي: يتشاورون في الأمور والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى ونحوه، فكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إليهم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش وقال الحسن : أي: إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم، متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم. قال الحسن : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم وقال الضحاك : هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له وقيل : تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخبر دون بعض وقال ابن العربي : الشورى ألفة

للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وقد قال الحكيم :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو مشورة حازم

(ولا تجعل الشورى عليك ... فإن الخوافي قوة للقوادم

فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الآراء كثير ولم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام فأما الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون بالأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فإن النبي ﷺ لم ينص عليها حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار ما سبق بيانه وقال عمر رضي الله عنه : نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال وتشاوروا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله ﷺ في الحروب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلمًا في المغازي فقال له الهرمزان : مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناحان ورجلان فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس وإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس وإن شدخ الرأس ذهب الرجلان والجناحان والرأس كسرى والجناح الواحد قيصر والآخر فارس فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى وذكر

الحديث. وقال بعض العقلاء: ما أخطأت قط! إذا حزبني أمر شاورت قومي ففعلت الذي يرون فإن أصبت فهم المصيبون وإن أخطأت فهم المخطئون.

قلت (مصطفى):

وهذا مزيدٌ من المواطن التي استشار فيها النبي ﷺ أصحابه:

* استشار النبي ﷺ عليًّا وبريرة وزينب وأسامة في حديث الإفك.

* واستشار النبي ﷺ أصحابه وخاصة الأنصار يوم بدر.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَأَمۡرُهُمۡ) الديني والدنيوي (شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ) أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعًا عن اجتماعهم وتوالفهم وتواددهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمرًا من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيرهما، وكالبحث في المسائل الدينية عمومًا، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ **).**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والذين إذا بغى عليهم باغ وتسلط عليهم متسلط بالاعتداء انتصروا منه ولم يستضعفوا أمامه ولم يذلوا ولم يهنوا من غير أن يعتدوا ولا أن يتجاوزوا الحد في الاقتصاص، وأورد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى قولين في ذكر الباغي الذي يُنتصر منه:

القول الأول: أنه الباغي المشرك.

والقول الثاني: أنه كل باغٍ مُعتدٍ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب؛ لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كل منتصر بحق ممن بُغي عليه.

فإن قال قائل: وما في الانتصار من المدح؟ قيل: إن في إقامة الظالم على سبيل الحق وعقوبته بما هو له أهل تقويمًا له، وفي ذلك أعظم المدح.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا وعفوا، كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢]، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية، ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم عفا عنهم مع قدرته على الانتقام.

وأورد وقائع أخر عفا فيها النبي ﷺ عمن ظلموه مع قدرته على الانتقام والاقتصاص منهم.



س: قال تعالى مُثنيًا على قوم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾، وقال تعالى مُثنيًا أيضًا عليهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾، فالآية الأولى تضمنت ثناءً على من يقتصون ممن ظلمهم، والثانية تضمنت ثناءً على العافين عن الناس الغافرين لهم، وعلى شاكلتها آيات أُخر، فكيف الجمع والتوفيق بين الثناء على العافين الغافرين للناس، والأُخرى التي فيها ثناءٌ على المُقتصين ممن بغى عليهم؟

ج: وجه الجواب أن يُقال: إن العفو له مواطن والمؤاخذة لها مواطن، فإذا صدرت من شخص زلة قدمٍ وأخطأ في حق شخصٍ آخر وصدرت من لسانه فلتاته أو من تصرفاته هناتٌ، ثم تاب وندم فهذا يُستحب في حقه العفو عنه والصفح عما بدر منه من زلات.

أما إذا كان الشخص متماديًا في الغيِّ مُستمرًا في الظلم، يتباهى ويفتخر بظلمه للعباد ويُنصح فلا يقبل النصح ويُذكَّر بالله فلا يقبل التذكير، فهذا الانتصار منه أولى وأنفع له وللمسلمين ولم ارتكب في حقهم من الجرائم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح.

فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

فالمقامات تختلف وتتنوع.

هذا، وهناك اتجاهٌ ضعيف للجمع بين الآيات وهو الحكم بالنسخ نسخ

آيات العفو والصفح، ولكن الجمع أولى، والنسخ لا يُصار إليه إلا عند تعذر الجمع، والجمع هاهنا ممكنٌ والحمد لله.

هذا وقد قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن العربي : ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعًا للآخر واحتمل أن يكون ذلك راجعًا إلى حالتين إحداهما: أن يكون الباغي معلنًا بالفجور وقحًا في الجمهور مؤذيًا للصغير والكبير، فيكون الانتقام منه أفضل وفي مثله قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق.

الثانية: أن تكون الفلتة أو يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسأل المغفرة فالعفو هاهنا أفضل وفي مثله نزلت : (وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ) [البقرة : ٢٣٧]، وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥ﴾ [المائدة : ٤٥]، وقوله : (وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ﴾ [النور : ٢٢].

قلت: هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في أحكامه قال : قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾) يدل على ظاهره على أن الانتصار في هذا الموضع أفضل، ألا ترى أنه قرنه إلى ذكر الاستجابة لله سبحانه وتعالى وإقام الصلاة وهو محمول على ما ذكر إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق، فهذا فيمن تعدى وأصر على ذلك والموضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادمًا مقلعًا وقد قال عقيب هذه الآية : (وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن

سَبِيلٍ (٤١)) ويقتضي ذلك إباحة الانتصار لا الأمر به وقد عقَّبه بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ) وهو محمول على الغفران عن غير المُصِرِّ، فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الأنتصار منه بدلالة التي قبلها، وقيل : أي إذا أصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه عنهم ويدفعوه، قاله ابن بحر وهو راجع إلى العموم على ما ذكرنا.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن أراد الانتصار ممن ظلموه فله أن ينتصر وليس له أن يتعدى، فإذا ظُلم مظلمة وأراد الاقتصاص فله أن يقتص بقدر مظلمته، كما قال تعالى: (۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ) [الحج: ٦٠]، وكما قال تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ...... وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكما قال تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ) [النحل: ١٢٦].

وكما قال تعالى: (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ).

[البقرة: ١٩٤]

وكما قال النبي ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادي فيهما ما لم يعتد المظلوم» (١).

وكما قال ﷺ لهند: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (٢).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) مسلم حديث (٢٥٨٧).

(٢) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

وقولـه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ وقد بينـا فيمـا مضـى معنـى ذلـك، وأن معناه: وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبـه الله عليـه، فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه، فهي مساءة لـه. والسيئة: إنما هي الفعلة من السوء، وذلك نظير قول الله ﷻ: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقد قيل: إن معنى ذلك: أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولــه تعــالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ كقولــه تعــالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقـرة:١٩٤]، وكقولــه: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحـل:١٢٦]، فشـرع العدل وهو القصـاص، ونـدب إلـى الفضـل وهو العفو، كقولـه: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة:٤٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الثانيـة : قولـه تعـالى : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ قـال العلمـاء : جعل الله المؤمنين صنفين؛ صنف يعفون عن الظالم، فبدأ بذكرهم في قولـه : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ وصــنف ينتصــرون مــن ظــالمهم، ثــم بــيَّن حـد الانتصار بقولـه : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ فينتصـر ممن ظلمـه من غير أن يعتدي، قال مقاتل وهشام بن حجير: هذا في المجروح ينتقم من الجـارح بالقصاص دون غيره من سبٍّ أو شتم وقالـه الشـافعي وأبو حنيفة وسفيان قال سفيان: وكان ابن شبرمة يقول : ليس بمكة مثل هشام، وتأول الشـافعي في هذه الآية أن للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل مـا خانـه من غير

علمه واستشهد في ذلك بقول النبي ﷺ لهند زوج أبي سفيان: «**خذي من ماله ما يكفيك وولدك**» فأجاز لها أخذ ذلك بغير إذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في (البقرة) وقال ابن أبي نجيح: إنه محمول على المقابلة في الجراح وإذا قال: أخزاه الله أو لعنه الله أن يقول مثله ولا يقابل القذف بقذف، ولا الكذب بكذب وقال السدي: إنما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعني كما كانت العرب تفعله، وسمي الجزاء سيئة؛ لأنه في مقابلتها فالأول ساء هذا في مال أو بدن وهذا الاقتصاص يسوءه بمثل ذلك أيضًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فمن تجاوز عمن ظلمه ولم يقابل السيئة بالسيئة، فأجره عند الله عزَّ وجل مُدخر ولن يضيع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ) يقول جل ثناؤه: فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه. (إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) يقول: إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال هاهنا: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ) أي: لا يضيع ذلك عند الله

كما صح في الحديث: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا**» وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ أي: المعتدين، وهو المبتدئ بالسيئة.



س: اذكر بعض الوارد في الحث على العفو عن الناس.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* **قال الله تبارك وتعالى:** ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ **[فصلت: ٣٤-٣٥]**.

فإذا قذفك شخص بمسبةٍ فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

قول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ **[آل عمران: ١٣٤]**.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾. **[التغابن: ١٤]**

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ **[الشورى: ٤٠]**

* **وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم**(١) **من حديث أبي هريرة** رضي الله عنه **قال:** «**ما نقصت صدقة من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

* وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم..»(١).

* وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله ﷻ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»(٢).

والعفو والإحسان من شيم رسول الله ﷺ:

* أخرج البخاري(٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.

* وفي «سنن الترمذي»(٤) من طريق أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح».

(١) أخرجه أحمد (٢/١٦٥، ٢١٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٣٨٠)، والحديث صحيح لشواهده.

(٢) أحمد في «المسند» (٢/١٢٨) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وابن ماجه =

= (٤١٨٩)، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ٤٨٣٨).

(٤) صحيح وله شواهد، وقد أخرجه الترمذي (٢٠٨٥ مع تحفة الأحوذي) وسيأتي لهذا مزيد في ثنايا هذا الكتاب.



العدل والفضل

وقد أمر الله سبحانه بالعدل وأرشد إلى العفو والإحسان في جملة مواطن، قال الله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٠-٤٣].

* **فقوله تعالى:** ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾: عدل.

* **وقوله تعالى:** ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾: إرشاد إلى الإحسان والعفو.

* **وقوله تعالى:** ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، فالإحسان هنا العفو على رأي كثير من العلماء.

* **وكذلك قوله تعالى:** ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ فيه بيان عظيم فضل الإحسان والعفو والصبر.

* **وكذلك في قوله تعالى:** ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ﴾. [المائدة: ٤٥]

* **وقوله:** ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٤٥] إرشاد إلى العفو.

* **وكذلك قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠﴾ [الحج: ٦٠]: عدل؛ فيجوز للمظلوم أن ينتصر بقدر مظلمته.

* **وقوله:** ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ **[النساء: ١٤٩]** إرشاد إلى العفو.

* **وأيضًا قوله تعالى:** ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾ **[الحج: ٦٠]** عدلٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾ **[الحج: ٦٠]**، فيه إرشاد إلى العفو.

فهنيئًا له، من عفا عن الناس وسلك سبيل المحسنين.

هنيئًا له، من أخذ بمعالي الأمور وعظائم الأمور وصبر وعفا عن الناس.

هنيئًا له، من ملك نفسه عند الغضب ولم يؤاخذ أخاه بسيئ الفعل بل عفا وتجاوز.

كل هذا خير!

الترخيص للمظلوم في الانتصار ممن ظلموه

س: وضح معنى قولـه تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ **الآية.**

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولمن استوفى حقه المسلوب ممن أخذوه منه فأولئك الذين استردوا حقوقهم من عرضٍ أو من أذى أو من مـالٍ أو غير ذلك، فأولئك ليس هنالك طريق للومهم ولا لتوبيخهم ولا لتعذيبهم ، وذلك لكونهم قد استوفوا حقهم، إنمال الطريق للوم أو للتوبيخ أو للتعذيب مفتوح على الذين يبخسون الناس حقوقهم ويتعدون عليهم بدون وجه حق، فهؤلاء لهم عذابٌ مؤلم موجعٌ، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحق، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه، ولم يتعد، لم يظلم، فيكون عليه سبيل.

ثم قال: وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يقول تبارك وتعالى: إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلما وعدوانا، بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه.

وقوله: ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحد الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحق.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون

في الأرض بغير الحق، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع.

س: اذكر بعض الوارد في جواز الانتصار ممن ظلموا.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾. **[الشورى: ٤١]**

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ **[الشورى: ٣٩]**.

وقولــه تعــالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ...﴾ **[الحج: ٦٠]**.

*** أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:** لددناه(٢) في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «**ألم أنهكم أن تلدوني؟**» قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: «**لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم**».

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يبقى أحدٌ في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر**»!!!

وها هي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تنتصر من أم المؤمنين زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمام رسول الله ﷺ لما شعرت أن رسول الله ﷺ يقرّها على هذا الانتصار:

* أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»(٣) من حديث أم المؤمنين عائشة

---

(١) حديث (٥٧١٢)، ومسلم (حديث ٢٢١٣).

(٢) اللدود: هو الدواء الذي يُصب في أحد جانبي فمِّ المريض.

(٣) مسلم (حديث ٢٤٤٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أرسل أزواجُ النبي ﷺ فاطمة، بنت رسول الله ﷺ، إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه – وهو مضطجع معي في مرطي – فأذن لها، فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدلَ في ابنة أبي قحافة. وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: «**أي بنية، ألست تحبين ما أُحبُّ؟**» فقالت: بلى. قال: «**فأحبِّي هذه**» قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله ﷺ، فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل(١) في ابنة أبي قحافة! فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا. قالت عائشة: فأرسل أزواجُ النبي ﷺ زينبَ بنت جحشٍ، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني(٢) منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأةً قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد(٣) كانت فيها تسرع منها الفيئة(٤).

قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ - ورسول الله ﷺ مع عائشة في

---

(١) قال بعض العلماء: أي يطلبن منك العدل في المحبة القلبية.

(٢) تساميني: أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة. مأخوذ من السمو. وهو الارتفاع.

(٣) سورة من حد: هكذا هو في معظم النسخ: سورة من حدٍّ. وفي بعضها: من حدة وهي شدة الخلق وثوراته.

(٤) الفيئة: الرجوع. ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها الرجوع. أي: إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا، ولا تصر عليه.

مرطها، على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها- فأذن لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقعت بي (١)، فاستطالت عليَّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ، وأرقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها(٢) حين(٣) أنحيت عليها(٤). قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم: «**إنها ابنةُ أبي بكرٍ**».

* وكذلك فانظر إلى الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: ٣٩].

* **وكذلك قوله تعالى:** ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٦٠].

* **وكذلك فانظر إلى قوله تعالى:** ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣].

فانظر إلى الثناء على القوم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: ٣٩].

فالنفس بشرية، والظلم حرام، والمظلوم لا يكاد يصبر على الظالم في كل الأحوال، وليس كل ظالم يُتحمل ويُطاق، ومن ثمَّ شُرع القصاص في

---

(١) ثم وقعت بي: أي: نالت مني بالوقيعة فيّ.

(٢) حين: في بعض النسخ: حتى – بدل حين. وكلاهما صحيح. ورجح القاضي: حين.

(٣) لم أنشبها: أي: لم أمهلها.

(٤) أنحيت عليها: أي: قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

الدنيا، بل وكما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

فكم من ظالمٍ إذا تُرك يتمادى في ظلمه وفي غيِّه وفي شره وفساده!!

وكذلك العفو لا يُندب إليه ولا يُرشد إليه في كل الأوقات؛ فقد يفهم العفو عند قومٍ من أهل الغباء والجهل على أنه ضعف وخور!!

وقد يفهم الصفح على أنه استسلام للظلم، ومن ثمَّ يتمادى الظالم في ظلمه والطاغي في طغيانه والباغي في بغيه!!

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولمن صبر على إساءات المسيئين وعلى ظلم الظالمين وستر على السيئة فلم يجازي السيئة بالسيئة بل عفا وأصلح، وهو قادر على الانتصار ممن ظلموه، فإن ذلك الصنيع من الصنائع ذات الأجر الكبير الحسن وإن هذا الصنيع الذي هو التجاوز والإحسان من العزائم التي أمر الله بها.

وإن هذا الصنيع لمن امتثال أمر الله ﷻ في الأمور الشديدة على النفس، وهذا الامتثال له عظيم الأجر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن يخذله الله ﷻ ويصرفه عن طريق الإيمان والطاعة، فلن تجد له وليًّا يتولاه ويهديه من بعد الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولي يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن نفسه الكريمة: إنه ما شاء كان ولا راد له، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وأنه من هداه فلا مُضِل له، ومن يضلل فلا هادي له، كما قال: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ **[الكهف : ١٧]**.



س: اذكر مزيدًا من الآيات في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾.

ج: من الآيات الواردة في هذا الصدد ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ [الأعراف: ١٧٨].

* وقوله تعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦]

* وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف : ١٧].



تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا كي يعملوا صالحًا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾. مع ذكر بعض الوارد في تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وترى يوم القيامة أهل الظلم أهل الشرك الذين يبخسون الناس حقوقهم، بل ويبخسون الله حقه فلا يوحدونه ومن حقه أن يوحَّد وأن يُعبد ولا يشرك به شيء، ترى هؤلاء يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ووقفوا أمام النار يتمنون الرجوع إلى الحياة الدنيا قائلين هل هناك طريق للرجوع إلى الحياة الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: ﴿هَلۡ﴾ لنا يا رب ﴿إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾ وذلك كقوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾... الآية [السجدة: ١٢]، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال مخبرًا عن الظالمين، وهم المشركون بالله ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا، ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[الأنعام:٢٧، ٢٨]

قلت (مصطفى): ومما ورد في تمني الكفار للرجوع إلى الدنيا أيضًا قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [فاطر: ٣٧].



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وترى أهل الظلم – أهل الشرك – يوم القيامة يرون النار، وهي أمامهم تراهم في حالة بئيسةٍ تعيسةٍ قد علاهم الذل وغشيهم الهوان ينظرون نظر الذليل المنكسر إليها لا يستطيعون أن يحدقوا البصر ولا أن يركزوه إليها، فحينئذٍ يقول أهل الإيمان الذين أُعدت لهم فسيح الجنات والروضات: إن الخاسرين حقًّا هم الذين ضيعوا أنفسهم، فأصبحت أنفسهم تلعنهم وجوارحهم تلعنهم، وكذا فقد فقدوا أهاليهم الذين كانوا لهم أهل في الدنيا فإن كانوا في الجنات فقد حيل بينهم وبينهم، وإن

كانوا في النيران فهنالك التلاعن والتسابب وكذلك خسروا أهاليهم من حور العين اللواتي كُن أعددن لهم إذا هم كانوا آمنوا، ألا إن أهل الظلم أهل الشرك في عذاب دائم لا يتحول ولا يزول - عافانا الله والمسلمين.



س: كيف خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟

ج: ذلك، والله أعلم، أن أهل الكفر جلبوا لأنفسهم أخسَّ المنازل وأردأها وذلك باجترامهم الذي اجترموه وبشركهم في دنياهم بالله ﷻ، فأوردوا أنفسهم لظى، وأوردوا أنفسهم الجحيم.

أما خسرانهم أهاليهم فأهلوهم إن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبين أهاليهم، وإن كانوا في النار فلا انتفاع بهم بل بينهم التلاعن والتسابب والتباغض والتشاتم، وكذا أهاليهم من حور العين، فقد أُعد لكل شخص منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا دخل أهل النار النارَ ورث أهل الإيمان منازلهم - بما فيها ومن فيها - في الجنان، والله تعالى أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ) أي: الخسار الأكبر ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، فخسروهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كان لهؤلاء الظالمين من أنصار ينصرونهم عند لقاء الله وعند معاينة النار، وما كان لهم من أنصار ينقذونهم من عذاب الله ﷻ، وهكذا الحال دائمًا فمن يخذله الله ويصده عن الإيمان فلن تجد طريقًا لهدايته، ولن تجد له طريقًا لإنقاذه -رزقنا الله الهداية. اللهم آمين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۝٤٦﴾ يقول: ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه؛ لأن الهداية والإضلال بيده دون كل أحد سواه.



إيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما لكم يا من أعرضتم عن طاعة الله ولم يتجيبوا داعيه من أحد ينكر ما يحصل لكم من العذاب، ففي الدنيا قد يضربُ شخصٌ شخصًا ولكن يكون للمضروب من يدافع عنه ويقول لمن ضربه لا تفعل به هكذا وينكر على الضارب صنيعه.

أما في الآخرة فليس هناك من ينكر تعذيب أهل الكفر بل الكل يقرُّ بالعذاب ويرى أن الكافر يستحق ذلك بل الكفار أنفسهم يلعن بعضهم بعضًا ويطلب كلٌّ منهم للآخر مزيدًا من العذاب إذ يقولون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وهنالك معنى آخر: وما لكم من حجة تنكرون بها ما قد صدر منكم، فلن تستطيعوا أن تنكروا ما صنعتموه في الدنيا فأنفسكم عليكم شاهدة وجوارحكم عليكم شاهدة، والكرام الكاتبون شهود وكفى بالله شهيدًا - والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أجيبوا أيها الناس من دعاكم إلى الله ﷻ ودعاكم إلى سلوك طريق من قبل أن يأتي يومٌ لا دافع له ولا صارف له عن الوقوع كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم: ٥٧-

٥٨]، ما لكم - عند مجيئه ووقوعه - من ملتجإ تلتجئون إليه ولا معتصم تعتصمون به وما لكم من أحد ينكر هذا العذاب الذي حلَّ به ويقول لا تفعلوا بهم هكذا، وما لكم كذلك من نصيرٍ ينصركم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم) يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجيبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم. (مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ) يقول: لا شيء يرد مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة. (مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ) يقول جل ثناؤه: ما لكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا (وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧) يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذٍ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذَّر منه وأمر بالاستعداد له، فقال: (ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع.

وقوله: (مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧) أي: ليس لكم حصن تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه، فتغيبون عن بصره- تبارك وتعالى- بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ

منـــــه إلا إليـــــه، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامة: ١٠-١٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولــه تعــالى : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أي: أجيبـوه إلـى مـا دعـاكم إليـه مـن الإيمان به والطاعة استجاب وأجاب بمعنى وقد تقدم، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يريـد يـوم القيامـة أي: لا يـرده أحـد بعـد مـا حكـم الله بـه وجعله أجلًا ووقتًا ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ أي: من ملجإ ينجيكم من العذاب ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي: مـن ناصـر ينصـركم قالـه مجاهد وقيل : النكيـر بمعنى المنكر كـالأليم بمعنـى المؤلم أي: لا تجدون يومئذٍ منكرًا لما ينـزل بكم من العذاب حكاه ابن أبي حاتم وقاله الكلبي. الزجاج معناه: أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها وقيل : ﴿مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي: إنكار ما ينزل بكم من العذاب والنكير والإنكار تغيير المنكر.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن أعرض هؤلاء عن إجابة داعي الله ﷻ فلست بمكلف معهم إلا بالبلاغ لست موكلًا بهدايتهم ولا بحفظ أعمالهم ولا بكتابتها بل لدينا ملائكة كرام كاتبون حافظون للأعمال، وعمومًا فهذا شأن

الإنسان إذا أنعمنا عليه بنعمة فرح بها، وإذا ابتلي بأدنى ابتلاء فإنه كفور جحود لنعم الله عليه، ينساها ولا يذكرها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فدعهم، فإنا لن نرسلك إليهم رقيبًا عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها. ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك. ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلَّ ثناؤه، فرح بها: يقول: سر بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير ﴿فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب ويجحد النعم. وإنما قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد؛ لأنه بمعنى الجمع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ يعني: المشركين ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: لست عليهم بمصيطر. وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ

﴿٤٠﴾ [الرعد:٤٠]، وقال هاهنا: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ أي: إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ يعني الناس ﴿سَيِّئَةٌ﴾ أي: جدب ونقمة وبلاء وشدة، ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ أي: يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس وقنط، كما قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر النساء، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فقالت امرأة: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تُكثرن الشكاية، وتكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يومًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»(١)، وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالمؤمن كما قال رسول الله ﷺ: «**إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ أي عن الإيمان ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل: موكلا بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا أي ليس لك إكراههم على الإيمان ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وقيل: نسخ هذه بآية القتال ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ رخاء وصحة ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بطر بها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء وشدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ

(١) مسلم بنحوه حديث (٧٩).
(٢) مسلم (٢٩٩٩).

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾) أي لما تقدم من النعمة فيعدد المصائب وينسى النعم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الإنسان - إلا من رحمه الله - إذا أصابه ابتلاء بشيء مما يُبتلى به العباد في الدنيا من نقصٍ في الأموال أو قلةٍ في الأولاد أو ضرٍّ في الأبدان - بما كسبته أيديهم من الجنايات، وما ارتكبته أنفسهم من الموبقات والمحرمات - فإن عادة الإنسان أنه كفور جحود لنعم الله، ينسى كل النعم ويذكر فقط المصائب.

وثمَّ كثيرون من البشر على هذا الغرار والمنوال يتاجرون فيربحون ويكسبون فإذا ابتلوا بأدنى ابتلاء وحلَّ بهم شيءٌ من أمر الله نسوا كل نعمةٍ أنعم الله بها عليهم وجحدوا وأنكروا ولم يظهروا إلا الشرّ.

قلت (مصطفى): فجدير بالإنسان أن يكون شكورًا لنعم الله عليه مثنيًا بها عليه، وألا يكفر ولا يجحد إذا ابتلي بأدنى ابتلاء بل يكون صبارًا شكورًا على الدوام.



قال الله تعالى:

(لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن
يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا
وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ
حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا
ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ
لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾) [الشورى: ٤٩-٥٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَيَهَبُ – يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا – عَقِيمًا – رُوحًا – الْكِتَابُ – صِرَاطِ اللَّهِ – تَصِيرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(وَيَهَبُ)	يعطي - يمنح - يرزق
(يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا)	يرزقهم بنين وبنات
(عَقِيمًا)	لا تلد - لا يُلقح
(رُوحًا)	قرآنا - وحيًا - رحمة
(الْكِتَابُ)	القرآن
(صِرَاطِ اللَّهِ)	طريق الله
(تَصِيرُ)	ترجع



س: وضح معنى قوله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، لله سلطان السموات والأرض وهي ملك له سبحانه يفعل فيهما ما يشاء ويقضي فيهما بما يُريد ويخلق فيهما ما يشاء يتفضل على الخلق على الوجه الذي يختار فيرزق هذا بإناث ولا يرزقه بذكور، والآخر كل أولاده ذكور ليس بينهم أنثى، والثالث يرزقه بالذكور

والإناث، وهذا قد يرزق بتوأم ذكر وأنثى، والرابع يجعله عقيمًا لا يرزق بذكر ولا بأنثى، فهو سبحانه عليم بالخلق قدير على فعل كل شيءٍ، يفعل ما يريد، بصير بالعباد وبهم خبير.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء، ويخلق ما يحب خلقه، يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرًا لا أنثى فيهم.

وقوله: (إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) أي: يرزقه البنات فقط -قال البغوي: ومنهم لوط، عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) أي: يرزقه البنين فقط. قال البغوي: كإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ- لم يولد له أنثى، (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا) أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا ومن

هذا. قال البغوي: كمحمد، عليه الصلاة والسلام ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ أي: لا يولد له. قال البغوي: كيحيى وعيسى، عليهما السلام، فجعل الناس أربعة أقسام، منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيمًا لا نسل له ولا يولد له، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٞ﴾ أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿قَدِيرٞ ٥٠﴾ أي: على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] أي: دلالة لهم على قدرته -تعالى وتقدس- حيث خلق الخلق على أربعة أقسام، فآدم عليه السلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى، وحواء عليها السلام من ذكر بلا أنثى، وسائر الخلق سوى عيسى من ذكر وأنثى، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم، عليه السلام؛ ولهذا قال: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾، فهذا المقام في الآباء، والمقام الأول في الأبناء، وكل منهما أربعة أقسام، فسبحان العليم القدير.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ابتداء وخبر ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من الخلق ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩﴾ قال أبو عبيدة وأبو مالك ومجاهد والحسن والضحاك: يهب لمن يشاء إناثًا لا ذكور معهن ويهب لمن يشاء ذكورًا لا إناث معهم وأدخل الألف واللام على الذكور دون الإناث؛ لأنهم أشرف فميزهم بسمة التعريف وقال واثلة بن الأسقع إن من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر وذلك أن الله تعالى قال :

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩﴾ فبدأ بالإناث ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلامًا ثم تلد جارية ثم تلد غلامًا ثم تلد جارية، وقال محمد بن الحنفية: هو أن تلد توأمًا غلامًا وجارية أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا قال القتبي : التزويج هاهنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب : زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ أي لا يولد له يقال : رجل عقيم وامرأة عقيم وعقمت المرأة تعقم عقمًا مثل حمد يحمد وعقمت تعقم مثل عظم يعظم وأصله القطع ومنه الملك العقيم أي تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق خوفًا على الملك، وريح عقيم أي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا، ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده ويقال: نساء عقم وعقم قال الشاعر :

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

وحكى النقاش أن هذه الآية نزلت في الأنبياء خصوصًا وإن عم حكمها؛ وُهب للوط الإناث ليس معهن ذكر، ووهب لإبراهيم الذكور ليس معهم أنثى ووهب لإسماعيل وإسحاق الذكور والإناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس وإسحاق بن بشر، قال إسحاق : نزلت في الأنبياء ثم عمت ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني لوطًا عليه السلام لم يولد له ذكر وإنما ولد له ابنتان ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩﴾ يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى بل ولد له ثمانية ذكور ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ يعني رسول الله ﷺ ولد له أربعة بنين وأربع بنات ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ يعني يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يذكر عيسى ابن العربي : قال علماؤنا: ﴿يَهَبُ لِمَن

يَشَآءُ إِنَٰثًا) يعني لوطًا كان له بنات ولم يكن له ابن (وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾) يعني إبرهيم كان له بنون ولم يكن له بنت وقوله : (أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ) يعني آدم كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ذكرًا وأنثى، ويزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر حتى أحكم الله التحريم في شرع نوح ﷺ وكذلك محمد ﷺ كان له ذكور وإناث من الأولاد : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة رضي الله عنها وإبراهيم وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الله الخلق من لدن آدم إلى زماننا هذا إلى أن تقوم الساعة على هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشيئته النافذة ليبقى النسل ويتمادى الخلق وينفذ الوعد ويحق الأمر وتعمر الدنيا وتأخذ الجنة وجهنم كل واحد ما يملؤها ويبقى.



س: لماذا لم يُذكر الخنثى في الآية الكريمة مع أن له تواجدًا في الدنيا؟

ج: الذي ذُكر في الآية الكريمة هو الغالب السائد وأيضًا فقد انتظمته الآية الكريمة بقوله تعالى: (يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ).

وقد نقل القرطبي عن ابن العربي قوله:

قال القاضي أبو بكر بن العربي : وقد أنكر قوم من رؤوس العوام وجود الخنثى؛ لأن الله تعالى قسم الخلق إلى ذكر وأنثى؛ قلنا : هذا جهل باللغة وغباوة عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة؛ أما قدرة الله سبحانه فإنه واسع عليم وأما ظاهر القرآن فلا ينفي وجود

الخنثى؛ لأن الله تعالى قال : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه؛ لأن القدرة تقتضيه وأما قوله : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ فهذا إخبار عن الغالب في الموجودات وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الأول والوجود يشهد له والعيان يكذب منكره وقد كان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الإمام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله.

قلت (مصطفى): ومن النادر الذي لم يذكر صراحة في الآية الكريمة، وإن دخل ضمنًا في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ما حدث لسليمان عليه السلام ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله. فقال له صاحبه، -أو الملك-: قل: إن شاء الله، فلم يقل، ونسي؛ فلم تأت واحدة من نسائه. إلا واحدة جاءت بشقِّ غلام**». فقال رسول الله ﷺ: «**ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركًا له في حاجته**»(١).



(١) البخاري (٥٢٤٢)، ومسلم (١٦٥٤)، واللفظ له.

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما كان يجوز وما كان ينبغي وما كان ليحصل وما كان ليتأتى لبشرٍ في الدنيا أن يكلمه الله ﷻ ويرى ربه أثناء تكليمه له، إنما يكون ذلك عن طريق الوحي الذي منه النفث في الروح كما في الحديث: «**إن روح القدس نفث في روعي**»، أو يكلمه ربُّه ﷻ من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام، أو يرسل رسولًا ملكًا كجبريل عليه السلام وغيره فيوحي إلى الرسل بإذن الله ما يشاء الله أن يوحيه إليهم، إنه سبحانه عليٌّ حكيم في تدبيره أمر خلقه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيًا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهامًا وإما غيره (أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ) يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولًا إما جبرائيل، وإما غيره (فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ) يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي.

ثم قال:

وقوله: (إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾) يقول تعالى ذكره إنه يعني نفسه جلَّ ثناؤه: ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه، واقتدار. حكيم: يقول: ذو

حكمة في تدبيره خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئًا لا يتمارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في صحيح ابن حبان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي: أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

وقوله: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فإنه سأل الرؤية بعد التكليم، فحجب عنها.

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: «**ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا**» الحديث، وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا.

وقوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء، عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾، فهو علي عليم خبير حكيم.



س: هل رأى رسول الله ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟

ج: سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**نور أنى أراه**»[(١)]، وقال: «**رأيت نورًا**»[(٢)]، فالظاهر أنه رأى الحجاب الذي هو النور ففي الحديث حجابه

(١، ٢) مسلم (حديث ١٧٨).

النور، والله أعلم.

هذا، وقد احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية الكريمة على عدم رؤية النبي ﷺ ربَّه ليلة المعراج، ففي الصحيحين(١) من طريق مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة! ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلست. فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني ولا تعجليني. ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**إنما هو جبريل. لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطًا من السماء. سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، واللفظ لمسلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.

ج: حملها بعض أهل العلم على ظاهرها، وقال: ومما يؤيد هذا الظاهر قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ **[يوسف: ٣]**.

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان على التفصيل الذي فُصِّل لك.

وقال آخرون: إن المراد بذلك الشرائع والأحكام.

وقال آخرون: إن المراد بالإيمان الصلاة بأركانها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي لم تكن تعرف الطريق إلى الإيمان وظاهر هذا يدل على أنه ما كان قبل الإيحاء متصفًا بالإيمان قال القشيري : وهو من معجزات العقول والذي صار إليه المعظم أن الله ما بعث نبيًّا إلا كان مؤمنًا به قبل البعثة وفيه تحكم إلا أن يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي أبو الفضل عياض : وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق

ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام.

وأورد جملة من الآثار ثم قال القرطبي رحمه الله:

قال القاضي : ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحد نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل، وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله قال القاضي: وأنا أقول إن قريشًا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته، وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركه آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا : ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة : ١٤٢] كما حكاه الله عنهم.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

ج: وجه الجمع، والله أعلم، أن الهداية المثبتة هي هداية الدلالة والهداية المنفية التي لا يملكها رسول الله لأحد هي هداية التوفيق، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك فهكذا أوحينا إليك وحيًا ورحمة من عندنا قرآنا عربيًّا جعلناه نورًا يستضيء به ويستبصر من أردنا له الهداية من عبادنا، وإنك يا رسول الله لتدل الناس على هذا النور، وعلى طريق مستقيم، طريق الله ﷻ الذي إليه ترجع الأمور يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي المسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ وكما كنا نوحي في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، روحًا من أمرنا: يقول: وحيًا ورحمة من أمرنا.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد □: ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن، وهو الكتاب نورًا، يعني ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ يقول: نهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ من ذكر الكتاب.

ويعني بقوله: ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾: نسدد إلى سبيل الصواب، وذلك

الإيمان بالله (مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ) يقول: نهدي به من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا.

وقوله: (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ) يعني: القرآن، (مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ) أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن، (وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ) أي: القرآن (نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ) ، كقوله: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت:٤٤] .

وقوله: (وَإِنَّكَ) أي: يا محمد (لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾)، وهو الخلق القويم. ثم فسره بقوله: (صِرَٰطِ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾) أي: شرعه الذي أمر به الله، (ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ) أي: ربهما ومالكهما، والمتصرف فيهما، الحاكم الذي لا معقب لحكمه، (أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾)، أي: ترجع الأمور، فيفصلها ويحكم فيها.

س: معلوم أن الأمور كلها لله ﷻ في الدنيا والآخرة يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد، فما وجه قوله تعالى: (أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾) إذ كانت الأمور الآن وبعد الآن وقبل الآن إليه.

ج: حاصل الجواب أن الفصل في الأمور يوم القيامة إلى الله فهو الذي يقضي بين العباد وليس هناك منازعٌ ينازع كما ينازع المنازعون في

الدنيا ولا مجادل يجادل كما يجادل المجادلون في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله جل ثناؤه: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ يقول جل ثناؤه: ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة، فيقضي بينكم بالعدل.

فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟ قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكامًا وولاة ينظرون بينهم، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كل حال.



سورة الزخرف

قال الله تعالى:

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾
أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾
وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ
بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا
كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾) [الزخرف: ١-١٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

(حمٓ - ٱلۡمُبِينِ - تَعۡقِلُونَ - أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ - لَدَيۡنَا - لَعَلِيٌّ - حَكِيمٌ - أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ - ٱلذِّكۡرَ - صَفۡحًا - مُّسۡرِفِينَ - ٱلۡأَوَّلِينَ - يَسۡتَهۡزِءُونَ - بَطۡشٗا - مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ - مَهۡدٗا - سُبُلٗا - بِقَدَرٖ - فَأَنشَرۡنَا - بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ - تُخۡرَجُونَ - ٱلۡأَزۡوَٰجَ - ٱلۡفُلۡكِ - وَٱلۡأَنۡعَٰمِ - مُقۡرِنِينَ - لَمُنقَلِبُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(حمٓ)	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله
(ٱلۡمُبِينِ)	المُوضح المُظهر للحلال والحرام والشرائع والأحكام ولكل شيء يريد الله بيانه للناس
(تَعۡقِلُونَ)	تفهمون - تتفكرون - تتدبرون
(أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ)	أصل الكتاب موجود عند الله - اللوح المحفوظ
(لَدَيۡنَا)	عندنا
(لَعَلِيٌّ)	ذو علوٍّ ورفعةٍ
(حَكِيمٌ)	ذو حكمة، فيه الحكمة والإرشاد إلى وضع الأمور في مواضعها الصحيحة
(أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ)	أفنعرض عنكم - أفنترك تذكيركم
(ٱلذِّكۡرَ)	القرآن وما فيه من تذكير
(صَفۡحًا)	إعراضًا
(مُّسۡرِفِينَ)	مشركين - متجاوزين للحد مرتكبين الشرك والكبائر
(ٱلۡأَوَّلِينَ)	الأمم المتقدمة

(يَسۡتَهۡزِءُونَ)	يسخرون - يُكذبون
(بَطۡشًا)	قوة، والبطش الأخذ بشدةٍ وعنف
(مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ)	سنة الله في المتقدمين الذين مضوا
(مَهۡدًا)	ممهدة مذللة صالحة للمشي عليها
(سُبُلًا)	طُرقًا
(بِقَدَرٍ)	على قدر الحاجة
(فَأَنشَرۡنَا)	فأحيينا - فأنبتنا
(بَلۡدَةً مَّيۡتًاۚ)	أرضًا ميتة ليس فيها نبات
(تُخۡرَجُونَ)	تبعثون من القبور يوم القيامة
(ٱلۡأَزۡوَٰجَ)	الأصناف - الذكور والإناث
(ٱلۡفُلۡكِ)	السفن الكبيرة
(ٱلۡأَنۡعَٰمِ)	الأنعام الثمانية (الجمل والناقة - الثور والبقرة - الكبش والنعجة - الجدي والعنز) والمركوب منها هو الجمل والناقة
(مُقۡرِنِينَ)	مطيقين - مقاومين
(لَمُنقَلِبُونَ)	راجعون - صائرون يوم القيامة



س: وضح المعنى الإجمالي لقولـه تعالى: (وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾).

ج: هذا، والله تعالى أعلم، قسم أقسم الله ﷻ به، فالواو واو القسم، أقسم ﷻ بالقرآن الموضح المظهر للأشياء والحقائق والشرائع والأوامر

والنواهي والموضح لكل شيءٍ يريده الله من العباد، أقسم سبحانه بذلك على أنه جعل القرآن عربيًّا لعلنا نعقل، وعلى أن هذا الكتاب أصله موجود في اللوح المحفوظ، وموصوف هناك بأنه عليٌّ حكيم، أي أنه موصوف في اللوح المحفوظ لعلو الشأن وارتفاع المنزلة، وأنه ذو حكمة، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فقال: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ لمن تدبره وفكر في عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد ﷺ ولا افتراء من أحد ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب، إذا كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد ﷺ عربًا ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ يقول: لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجميًّا، فتقولوا: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه.

وقال أيضًا:

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلي يقول: لذو علو ورفعة، حكيم: قد أحكمت آياته، ثم فصلت فهو ذو حكمة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾ أي: البين الواضح الجلي

المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ أي:أنزلناه ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلغة العرب فصيحا واضحا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ أي: تفهمونه وتتدبرونه، كما قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

س: تشرع مخاطبة الناس على قدر عقولهم. أقمْ الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣].

* وأخرج البخاري[(١)] من حديث علي رضي الله عنه، قال: «**حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله**».

* وفي «مقدمة صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «**ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة**»[(٢)].

وها هو رسولنا صلى الله عليه وسلم يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم دون الآخرين:

---

(١) البخاري (حديث ١٢٧).

(٢) رواه مسلم «في المقدمة» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال. فذكره «ترتيب محمد فؤاد ص ١١».

قلتُ: وإسناده منقطع، و«ومقدمة مسلم» ليست على شرط «الصحيح».

* ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أنس بن مالك ﵁ ، أن النبي ﷺ ومعاذًا رديفه على الرحل، قال: «**يا معاذ بن جبل**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثًا)، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار**»، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: «**إذًا يتَّكِلُوا**»، وأَخْبَرَ بها معاذ عند موته تأثمًا[(٢)].

فانظر إلى قوله: «**إذًا يتَّكِلُوا**»، وفي الرواية الأخرى[(٣)] ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**».

* **ونحوه في «صحيح مسلم»:** من حديث أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عمر فدفعه، وقال: ارجع يا أبا هريرة ودخل على إثره، فقال: يا رسول الله لا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناسُ، فخلّهم يعملون، فقال: «**فخلِّهم**»[(٤)].

فانظر إلى الكلام النافع الذي ينتفع به الناس فحدثهم به، أما الكلام الذي يُفهم على غير وجهه فاتقه واجتنبه، وخاصة إذا كان الناس سيقعون في الضرر بسببه.



---

(١) البخاري (حديث ١٢٨)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٢) أي: خشية أن يقع في إثم كتمان العلم، والله أعلم.

(٣) البخاري (حديث ١٢٩)، ومسلم (حديث ٣٢).

(٤) مسلم (حديث ٣١ ص ٦١).

شيءٌ من فضائل القرآن

س: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ بيانٌ لشرف هذا القرآن وعلو منزلته وعظيم فضله. اذكر بعض الوارد في ذلك مع إيضاح معنى الآية الكريمة.

ج: أما عن إيضاح معنى الآية الكريمة، فأقول وبالله التوفيق قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن المتلو عليكم ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ لذو علو ورفعة ومنزلةٍ سامية ﴿حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ ذو حكمة في كل شيء فيه من أمر ونهي وإخبار وإنذار وتبشير وغير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، ومجاهد، ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا، قاله قتادة وغيره، ﴿لَعَلِىٌّ﴾ أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة ﴿حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ أي: محكم بريء من اللبس والزيغ. وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله.

أما عن شيء من فضائل هذا الكتاب العزيز: فقد وصفه الله ﷻ بجميل الأوصاف، وصفه بأنه كريم ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧]، وبأنه مجيد ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق: ١]، وبأنه حكيم ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس: ١-٢]، وبأنه مبارك ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وبأنه عزيز

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١﴾ [فصلت: ٤١]، وبأنه كريم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة: ٧٧] إلى غير ذلك من جميل الأوصاف.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: هذا الكتاب ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ أي: في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾ أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أفنترك تذكيركم لكونكم أهل شرك لا تستحقون التذكير أو أفنترككم هملًا بلا تكليف لكونكم أهل شرك أو ألكونكم رددتم هذا القرآن ولم تؤمنوا به نترك تذكيركم بالعقاب ونلغي هذا القرآن ونمحُهُ.

وقد أورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ٥﴾: أي مشركين، والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك.

قال ابن كثير: وقول قتادة لطيف المعنى جدًّا وحاصله أنه يقول في معناه: إنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل يأمر

به ليهتدي من قدَّر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته.

الثاني: أتحسبون أننا نصفح عنكم ولا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به؟!!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا ﴾ وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله تقتضي أن لا يترك عباده هملا لا يرسل إليهم رسولا ولا ينزل عليهم كتابا، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال: ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا ﴾ أي: أفنعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا فقد قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ

﴿ٱلْأَوَّلِينَ ٨﴾.

ج: هذه الآية الكريمة تحمل تسلية لرسول الله ﷺ وتسرية للهموم عنه، فالمعنى، وإن كنت كُذبت يا رسول الله وسخر منك قومك فلقد أرسلنا رسلًا كثيرين من قبلك إلى أممهم فما كان جواب أقوامهم لهم إلا الاستهزاء والسخرية والتكذيب فأهلكنا تلك الأمم المكذبة التي هي أشد قوة وبأسًا وبطشًا من قومك يا رسول الله، فلا تجزع ولا تحزن، فقد مضت سنتنا وطريقتنا في المكذبين وأننا نهلكهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ) يا محمد في القرون الأولين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش. (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٧) يقول وما كان يأتي قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأولين لنا من نبي يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقن عليك، فإنهم إنما سلكوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشًا إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم، فالذين هم أضعف منهم قوة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلت بهم. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ٨﴾ يقول جل

ثناؤه: ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثلنا الذي مثلناه لهم في أمثالهم من مكذبي رسلنا الذين أهلكناهم، يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولـه تعـالى : ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾ (كم) هنا خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء كما قال : ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدخان : ٢٥] أي ما أكثر ما تركوا ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾ أي لم يكن يأتيهم نبي ﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾ كاستهزاء قومك بك يعزي نبيه محمدا ﷺ ويسليه ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي قوما أشد منهم قوة والكناية في ﴿مِنْهُم﴾ ترجع إلى المشركين المخاطبين بقوله : ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ فكنى عنهم بعد أن خاطبهم و﴿أَشَدَّ﴾ نصب على الحال وقيل هو مفعول أي فقد أهلكنا أقوى من هؤلاء المشركين في أبدانهم وأتباعهم ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ أي عقوبتهم عن قتادة وقيل : صفحة الأولين فخبرهم بأنهم أهلكوا على كفرهم حكاه النقاش و المهدوي والمثل : الوصف والخبر .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ومضى مثلنا الذي مثلنا به في الأمم المُكذبة ومضت طريقتنا في انتقامنا ممن كذبونا وخالفونا وما حلَّ بالأولين المكذبين برسلنا.



س: كثيرًا ما يذكر الكفار بمصارع الكافرين حتى يتعظوا ويعتبروا. دلّل على ذلك.

ج: أورد الشنقيطي جملة من الأدلة على ذلك فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨﴾:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار الذين كذبوا محمدا ، بأن الله أهلك من هم أقوى منهم، ليحذروا أن يفعل بهم مثل ما فعل بأولئك، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ الآية **[الروم:٩]**، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ **[غافر:٨٢]**، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ﴾، إلى قوله: (فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ) **[الأنعام:٦]**، وقوله تعالى: (وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٥ ﴾ **[سبأ:٤٥]**، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ۝٤٤ ﴾ **[فاطر:٤٤]**.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨) ما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد كفار مكة الذين كذبوا محمدا ، بصفته إهلاكهم وسنته فيهم التي هي العقوبة و عذاب الاستئصال، جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢

ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾) [فاطر:٤٢-٤٣]، وقوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر:٨٣-٨٥]، وقوله تعالى: (وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ) الآية [الكهف:٥٥]، وقوله تعالى: (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾) [الزخرف:٥٥-٥٦].



س: أهل الشرك كانوا يقرون بأن الله هو الخالق، كذا كانوا يقرون لله ﷻ بكثيرٍ من أسمائه والحسنى وصفاته العُلى دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ) [الزخرف: ٨٧].

وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾) [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ) [العنكبوت: ٦٣].

وقولهم: (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾) [ص: ١٦].

وقولهم: (ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.



س: إذن ما دام أهل الكفر يقرون بأن الله خالقهم ورازقهم وبغير ذلك، فما وجه كفرهم وشركهم؟

ج: سبب كفرهم وشركهم صرفهم العبادة لغير الله ﷻ.



من أدلة التحوّل في الخطاب

س: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ تحوَّل في الخطاب. وضحه.

ج: إيضاحه يتأتى بالنظر إلى ما قبله، فقبله قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ هذا قول الكفار ثم حدث تحول في الخطاب، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا ...﴾، فهذا قول الله تعالى.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة، وهذا ابتداء إخبارٍ منه عن نفسه ولو كان إخبارًا عن قول الكفار لقال الذي جعل لنا الأرض. والله أعلم.

هذا، ومن أدلة التحول في الخطاب ما يلي:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، ولم يقل: وجرينا بكم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥٢].

قال بعض أهل العلم: إن الذين قالوا ياويلنا: هم الكفار، والقائلون هذا ما وعد الرحمن.. هم الملائكة.

وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ﴾ ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٤]، قال بعض أهل العلم: إن قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ هو الله ﷻ، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا...﴾ **الآية.**

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ يقول: الذي مهد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول: وسهل لكم فيها طرقا تطرقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: فراشًا قرارًا ثابتة، يسيرون عليها ويقومون وينامون ويتصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه

أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: طرقا بين الجبال والأودية ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي: في سيركم من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم.



س: قوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾) لأهل العلم في تأويله قولان. وضحهما.

ج: أحد القولين: لعلكم تهتدون إلى الأماكن التي تريدون الذهاب إليها.

الثاني: لعلكم تهتدون إلى ما يقربكم من الله ﷻ وتستدلون بآياته على وحدانيته.

قال القرطبي: تستدلون بمقدوراته على قدرته، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن الذي خلق السموات والأرض، وهو العزيز العليم نزَّل من السماء ماء على قدر احتياجاتكم ولو شاء لجعله مُنهمرًا متواصلًا فدُمِّرت الطرق بسببه وتهدمت البيوت وهلكت المواشي والنفوس وتلفت الزروع، ولكنه سبحانه جعل ذلك بقدرٍ، على قدر الحاجة ولو شاء لأهلككم بمنعكم القطر من السماء ولكن أنزل من السماء ماء بقدر الحاجة، فأحيا به أرضًا كانت ميتة لا نبت فيها ولا ثمر فأنبتها الله ﷻ فهكذا البعث والنشور يوم القيامة، وهكذا إحياؤكم بعد مماتكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ يعني: ما نزل جلَّ ثناؤه من الأمطار من السماء بقدر يقول: بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثًا مغيثًا، حيًّا للأرض الميتة محييا. ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾ يقول جل ثناؤه: فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا، يعني مجدبة لا نبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي كنتم بها قبل مماتكم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم، لأنفسكم ولأنعامكم. وقوله: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾ أي: أرضا ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ١١﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضا بمقدار الحاجة، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر

العباد والبلاد، بل أغاث بـه العبـاد، وأنقذ بـه البلاد من الشدة، ولهذا قـال: (فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ) أي: أحييناهـا بعـد موتهـا، (كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾) أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم.



تفسير الأزواج

س: وضح معنى قولـه تعـالى: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن العزيز العليم الذي أقررتم لـه بخلق السموات والأرض هو الذي خلق الأصناف كلها أصناف البشر والجن والملائكة والنبات والحيوان، وكل الأصناف، وكذا خلق الذكور والإناث كمـا قـال: (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾) [الذاريات: ٤٩]، وهـو الذي جعل لكم أيضًا السفن العظيمة التي تركبونها هداكم لصناعتها وسيَّرها لكم، وكذا جعل لكم من الأنعام ما تركبونه وتنتقلون به مـن بلـدةٍ إلى أخـرى، وهي الإبل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا) يقول تعـالى ذكـره: والـذي خلـق كـل شـيء فزوجـه، أي خلـق الـذكور مـن الإنـاث أزواجـا، الإنـاث مـن الـذكور أزواجًـا (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ) وهـي السـفن (وَٱلْأَنْعَٰمِ) وهـي البهـائم (مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾) يقول: جعل لكم من السفن مـا تركبونـه فـي البحـار إلـى حيث قصـدتم واعتمدتم في سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم، ومن الأنعام ما تركبونـه في

البر إلى حيث أردتم من البلدان، كالإبل والخيل والبغال والحمير.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ) أي والله الـذي خلـق الأزواج قـال سعيد بن جبير : أي الأصناف كلها وقال الحسن : الشتاء والصيف والليل والنهـار والسـماوات والأرض والشـمس والقمـر والجنـة والنـار وقيـل : أزواج الحيوان من ذكر وأنثى قالـه ابن عيسى وقيل : أراد أزواج النبـات كما قـال تعـالى : (وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧) [ق : ٧]، و (مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧) [الشعراء: ٧] وقيل ما يتقلت فيه الإنسان من خير وشر وإيمـان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم.

قلت : وهذا القول يعم الأقوال كلهـا ويجمعهـا بعمومـه : (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ) السفن (وَٱلۡأَنۡعَٰمِ) الإبل (مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢) فـي البـر والبحـر (لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ) ذكـر الكنايـة لأنـه رده إلـى مـا فـي قولـه : (مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢) قالـه أبـو عبيد : وقـال الفراء : أضـاف الظهـور إلـى واحـد لأن المـراد بـه الجنـس فصـار الواحد فـي معنـى الجمـع بمنزلـة الجيش والجند فلذلك ذكـر وجمـع الظهور أي على ظهور هذا الجنس.

الثانية : قال سعيد بن جبير : الأنعام هنا الإبل والبقر وقال أبو معـاذ : الإبل وحدها وهو الصـحيح لقولـه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «**بينمـا رجل راكب بقرة إذ قالت له لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث**» فقال النبـي ﷺ: «**آمنت بذلك أنـا وأبو بكر وعمر**» وما هما في القوم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثـم قـال: (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا) أي: ممـا تنبـت الأرض مـن سـائر

الأصناف، من نبات وزروع وثمار وأزاهير، وغير ذلك من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها، وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها.

قال الشنقيطي: رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾.

الأزواج الأصناف، والزوج تطلقه العرب على الصنف. وقد بين تعالى أن الأزواج المذكورة هنا تشمل أصناف النبات وبني آدم وما لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ **[يس:٣٦]**.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾. **[طه:٥٣]**

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن البحرية، الشراعية والبخارية، «و» من ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾.

وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أي: لتستقروا عليها، ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها وذللها

ويسر أسبابها.

والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾ أي: وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ليحاسب كلا بما قدمت يداه. وفيه إيذان وإعلام، بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه، من المسير، ويتذكر منه المسافرة العظمى، التي هي الانقلاب والرجوع إلى الله تعالى: فيبني أموره في مسيره ذلك، على تلك الملاحظة. ولا يخطر بباله في شيء، مما يأتي ويذر أمرًا ينافيها، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع.



س: كيف قيل ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾، وهو مؤنث.

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأن المراد الجنس، والمعنى لتستووا على ظهور هذا الجنس الذي ذكرناكم به.

وقال آخرون: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ عائدٌ على الفلك.

واستفاض الطبري في ذِكر وجوه الجواب، فقال:

واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله: ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ وتذكيرها، فقال بعض نحويي البصرة: تذكيره يعود على ما تركبون، وما هو مذكر، كما يقال: عندي من النساء من يوافقك ويسرك، وقد تذكر الأنعام وتؤنث. وقد قال في موضع آخر: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: ٦٦]، وقال في موضع آخر: ﴿بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: ٢١]، وقال بعض نحويي الكوفة: أضيفت الظهور إلى الواحد، لأن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند

والجيش. قال: فإن قيل: فهلا قلت: لتستووا على ظهره، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد. قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع، فردت الظهور إلى المعنى، ولم يقل ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد. وكذلك تقول: قد كثر نساء الجند، وقلت: ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه. قال: وكذلك كل ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة، فأخرجها على الجمع، وإذا أضفت إليه اسما في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده، مثل قولك: رفع العسكر صوته، وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلا الصورة في الواحد.

وقال آخر منهم: قيل: لتستووا على ظهوره، لأنه وصف للفلك، ولكنه وحد الهاء، لأن الفلك بتأويل جمع، فجمع الظهور ووحد الهاء، لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل: الجند منهزم ومنهزمون، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لا غير، فقلت: الجند رجال، فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء، ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله ﷻ سخر لكم من الفلك والأنعام ما تركبونه فإذا تمكنتم منه وركبتموه متمكنين ذكرتم نعمة الله عليكم بتسخيره لكم وقلتم شاكرين نعمة الله منزهين له عن الشريك والمثيل والندِّ، تنزه ربنا عن كل النقائص والعيوب وتنزه ربنا عن الشريك

والمثيل والندِّ والولد والصاحبة وعن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا القادر الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه وما كنا نطيق تطويعه لنا وتسخيره لنا لولا أن سخره الله لنا، وإنا إلى ربنا يوم القيامة لصائرون وراجعون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر ﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فتعظموه وتمجدوه، وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ١٣﴾.

وأورد بإسناد صحيح بطرقه عن أبي هاشم عن أبي مجلز قال:

قال: ركبت دابة، فقلت: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ١٣﴾، فسمعني رجل من أهل البيت؛ قال أبو كريب والهباري: قال المحاربي: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما[(١)]، فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما، ثم تقول بعد ذلك ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ١٤﴾.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال:

﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يعلمكم كيف

(١) وقد أورد الطبري عقبه ما يؤيد أنه الحسن بن علي رضي الله عنهما.

تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١﴾ [هود: ٤١]، وإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعًا تقولون: اللهم أنزلنا منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: لتستووا متمكنين واقفين ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: على ظهور هذا الجنس، ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ﴾ أي: فيما سخر لكم ﴿إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣﴾ أي: مقاومين. ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه.



التنبيه بأمور الدنيا على أمور الآخرة

س: كثيرًا ما يُنبه بسير الدنيا على السير إلى الآخرة وبزاد الدنيا على التزود للآخرة. وضح ذلك.

ج: إيضاحه من عدة آيات:

إحداها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣﴾ وهذا بلا شك في الدنيا، ثم التذكير بسير الآخرة في قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: يا أيها الحجيج تزودوا بالزاد الكافي واللازم لكم في سفركم ثم نبَّه على التزود بزاد آخر للآخرة، وهو زاد التقوى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكـــذا قولـــه تعـــالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف: ٢٦] أي: فاكتسوا وتزينوا يا عباد الله ولا تنسوا زادًا آخر هـو أفضـل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ أي: فلا تنسوا التزود به.

وكـذا قولـه تعـالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩﴾ [النحل: ٨-٩]، فبعد أن بيَّن سبحانه وتعالى أنه سخر لنا الخيـل والبغـال والحمـير لركوبها، وكذا ما سخره الله لنا مما لم يكن ليخطر للمشركين على بال بيَّن سبحانه أن عليه بيان الطرق الموصلة إليـه وإلى مرضـاته، فقـال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهنالك سبل لا توصـل إليـه ولا إلى مرضـاته، وإليهـا الإشـارة بقولـه تعـالى: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾ أي: لصـائرون إليـه بعـد مماتنـا، وإليـه سـيرنا الأكبر. وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة، كما نبـه بـالزاد الدنيوي علـى الأخـروي فـي قولـه: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٩٧] وباللباس الدنيوي على الأخروي في قولـه تعـالى: ﴿وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

بعض الذكر الوارد عند ركوب الدابة

س: اذكر بعض الوارد من الأحاديث عند ركوب الدابة.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١﴾ [هود: ٤١].

وما أخرجه مسلم(١) من طريق عليٍّ الأزدي أن ابن عمر علمهم أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**». وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**».



(١) مسلم (٩/١١٠) مع النووي.

قال الله تعالى:

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ
ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا
ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن
يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ
وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ
إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ
مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم
بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[الزخرف: ١٥-٢٥]

س: اذكر ما يلي:

(جُزۡءًاۚ - لَكَفُورٞ - مُّبِينٌ - وَأَصۡفَىٰكُم - كَظِيمٌ - يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ - فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ - يَخۡرُصُونَ - عَلَىٰٓ أُمَّةٖ - عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم - مُتۡرَفُوهَآ - بِأَهۡدَىٰ).

ج:

الكلمة	معناها
(جُزۡءًاۚ)	نصيبًا
(لَكَفُورٞ)	لجحود لِنعم الله عليه غير شاكر لها، يُظهر المصائب وينسى النعم
(مُّبِينٌ)	مظهرٌ لجحوده
(وَأَصۡفَىٰكُم)	اختاركم
(كَظِيمٌ)	ممتلئ غيظًا - حزين - مكروب - مهموم
(يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ)	يتربى في الصغر لابسًا الحُليّ
(فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ)	عند الخصومة غير مظهر لحجته
(يَخۡرُصُونَ)	يكذبون - يتكلمون بغير علم
(عَلَىٰٓ أُمَّةٖ)	على ملةٍ وطريقة في العبادة
(عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم)	على خطاهم - على طريقهم
(مُتۡرَفُوهَآ)	الأثرياء من أهلها
(بِأَهۡدَىٰ)	بأفضل وأرشد وأسدّ

س: ما المراد بالجزء في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا)؟

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: وهو أولاها وأشهرها أن المراد بالجزء النصيب، فالمعنى، وجعل هؤلاء الكفار لله ﷻ نصيبًا مما خلقه الله من العباد فقالوا: الملائكة بنات الله - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وهذا اختيار الطبري إذ قال: يقول تعالى ذِكره وجعل هؤلاء المشركون لله ﷻ من خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله.

ثم قال:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الله جلَّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾) توبيخًا لهم على قولهم ذلك، فكان معلوما أن توبيخه إياهم بذلك إنما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في إضافة البنات إلى الله جلَّ ثناؤه.

القول الثاني: أن المراد بقوله: (جُزْءًا) أي: عدلًا وشريكًا وندًّا، وصح عن قتادة عند الطبري أنه قال: عدلًا.

وقول ثالث ذكره ابن كثير إذ قال:

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله، كما ذكر الله عنهم في سورة «الأنعام»، في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ **[الأنعام:**

١٣٦]. وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسَّهما وأردأهما وهو البنات، كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ٢١، ٢٢]. وقال هاهنا: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ۝١٥﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا للّه تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ومنها: أن الولد جزء من والده، واللّه تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون للّه تعالى ولد.

ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات اللّه، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بهم؟! فإذا يكونون أفضل من اللّه، تعالى اللّه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ومنها: أن الصنف الذي نسبوه للّه، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون للّه ما يكرهون؟

ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل

بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ﴾ أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ومنها: أنهم جَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الله إِنَاثًا، فتجرأوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بُدَّ أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ).

قال بعض العلماء: (جُزۡءًاۚ) أي عدلا ونظيرا، يعني الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله.

وقال بعض العلماء: (جُزۡءًاۚ) أي ولدا.

وقال بعض العلماء: (جُزۡءًاۚ) يعني البنات.

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن الجزء النصيب، واستشهد على ذلك بآية الأنعام. أعني قوله تعالى: (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ) الآية [الأنعام:١٣٦].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر أن قول ابن كثير هذا

رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير صواب في الآية؛ لأن المجعول لله في آية الأنعام، هو النصيب مما ذرأ من الحرث والأنعام، والمجعول له في آية الزخرف هذه، جزء من عباده لا مما ذرأ من الحرث والأنعام، وبين الأمرين فرق واضح كما ترى.

وأن قول قتادة ومن وافقه: إن المراد بالجزء العدل والنظير الذي هو الشريك غير صواب أيضا؛ لأن إطلاق الجزء على النظير ليس بمعروف في كلام العرب.

أما كون المراد بالجزء في الآية الولد، وكون المراد بالولد خصوص الإناث، فهذا هو التحقيق في الآية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الإنسان في الغالب إلا من رحم الله - لجحود لنعم الله ﷻ لا يقدم لها شكرًا بل ينساها وإذا حلّت به مصائب يُعدد المصائب، قد أظهر ذلك وبين حالته تلك بنفسه وصنيعه فهو دائم التسخط والتشكي، قليل الشكر والاعتراف لله بالفضل، قليل الثناء على الله.

وفي معنى الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧﴾ **[العاديات: ٦-٧]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ١٥﴾ يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين: يقول: يبين كفرانه نعمه عليه،

لمن تأمله بفكر قلبه، وتدبر حاله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفقد اتخذ ربكم من خلقه البنات وأختصكم أنتم بالذكور أيها الجاهلون، فقد قسمتم الخلق بينكم وبين ربكم ﷻ واخترتم لأنفسكم ما ترونه أفضل، قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ [النجم: ٢١-٢٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ يقول جل ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون لأنفسكم، وأصفاكم بالبنين. يقول: وأخلصكم بالبنين، فجعلهم لكم. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزءا بما ضرب للرحمن مثلا يقول: بما مثل لله، فشبهه شبها، وذلك ما وصفه به من أن له بنات.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ﴾ الميم صلة؛ تقديره اتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم أن الملائكة بنات الله؛ فلفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ. ﴿وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ أي: اختصكم وأخلصكم بالبنين؛ يقال: أصفيته بكذا؛ أي: آثرته به. وأصفيته الودّ أخلصته له. وصافيته وتصافينا تخالصنا. عجب من إضافتهم

إلى الله اختيار البنات مع اختيارهم لأنفسهم البنين، وهو مقدّس عن أن يكون له ولد إن توهم جاهل أنه اتخذ لنفسه ولدًا فهلا أضاف إليه أرفع الجنسين! ولم جعل هؤلاء لأنفسهم أشرف الجنسين وله الأخس؟ وهذا كما قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾.

[النجم: ٢١-٢٢]



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإذا بُشر أحد هؤلاء المشركين بالبنت الذي جعلها لله ﷻ لم يرض بذلك ولم يسعد بل يظل مهمومًا محزونًا مكروبًا ممتلئ غمًّا وهمًّا ونكدًا وغيظًا، وينعكس كل ذلك على وجهه فيري أسود.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي بأنه ولدت له بنت ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾ أي صار وجهه ﴿مُسْوَدًّا﴾ قيل ببطلان مثله الذي ضربه وقيل : بما بشر به من الأنثى دليله في سورة النحل : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [النحل : ٥٨] ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت له أنثى اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا   وإنما نأخذ ما أعطينا

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو من ينبت في الحلية ويزين بها ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ﴾ يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار. ثم ذكر تمام الإنكار فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾ أي: إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة، وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك، يقول تعالى: فكيف تأنفون أنتم من ذلك، وتنسبونه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؟



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أجعلتم يا أهل الشرك لله عَزَّ وَجَلَّ أرذا الصنفين وهن الإناث الناقصات عقل ودين اللواتي يُنشأن منذ صغرهن في الحلية، فيتحلين بالذهب وسائر الحلي لتتميم نقصهن، وإذا تكلمن في

خصومة من الخصومات لا يستطعن الكلام ولا إثبات حقوقهن في كثير من الأحيان. هذا والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ أي: المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عَيِيَّة، أوَ مَنْ يكون هكذا ينسب إلى جناب الله عَزَّ وَجَلَّ؟! فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض شعراء العرب:

وَمَا الحُلي إلا زينةٌ من نقيصةٍ ... يتمّمُ من حُسْن إذا الحُسْن قصَّرا

وأمَّا إذا كان الجمالُ موفَّرا ... كحُسْنِك، لم يَحْتَجْ إلى أن يزوَّرا

وأما نقص معناها، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت: «ما هي بنعم الولد: نصرها بكاء، وبرها سرقة».

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾، فقال بعضهم: عُني بذلك الجواري والنساء، وأورد آثارًا بذلك.

ثم قال:

وقال آخرون: عُني بذلك أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله،

وأورد أثر ابن زيد في ذلك إذ قال: في قوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾... الآية، قال: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشؤوها، ضربوها من تلك الحلية، ثم عبدوها ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ۝١٨﴾ قال: لا يتكلم، وقرأ: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧].

إلا أن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى اختار القول القائل بأن المراد الجواري والنساء، واختياره - فيما أرى- والله أعلم هو الصحيح فسياق الآيات الكريمات يؤيده، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر.

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ۝١٩﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ووصف هؤلاء المشركون ملائكة الله عَزَّ وَجَلَّ المقربين، الذي هم عبادُ الله، وصفوهم بأنهم إناث وادعوا ذلك واعتقدوه فقال تعالى مُنكرًا: ﴿أَشَهِدُواْ﴾ أي: أحضروا خلقهم ورأوهم إناثا ستكتب هذه الشهادة التي أدلوا بها ويكتب هذا الافتراء الذي افتروه

وسيُسألوا عن كل ذلك يوم القيامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولـه: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ أي: اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك، فقال: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ أي: شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ أي: بذلك، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ ١٩﴾ عن ذلك يوم القيامة. وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة (**الذين هم عند الرحمن**) بالنون، فكأنهم تأولوا في ذلك قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ **[الأعراف: ٢٠٦]**، فتأويل الكلام على هذه القراءة: وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدسونه إناثا، فقالوا: هم بنات الله جهلا منهم بحق الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ بمعنى: جمع عبد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله عنده.

وقولـه: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء

القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلًا.



س: ما وجه الرد على المشركين في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ لما احتجوا به على جواز عبادة الأصنام؟

ج: أولًا: قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ كما يقول القائل: كلمة حق أريد بها باطل، فنعم الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله، ولكن قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ متضمنٌ منهم لمعتقدٍ حاصله أن الله رضي منهم بعبادة الملائكة أو بعبادة الأوثان بل وأمرهم بذلك كما ذُكر في موطن آخر: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فكأنهم قالوا ولو لم يرض منا بذلك لحال بيننا وبين وقوع ذلك منا ولأنزل علينا عقوبة بسبب ذلك عاجلًا غير آجل.

فدعواهم التي تضمنها قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ باطلة؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

ثانيًا: أن صريح الكتاب العزيز والسنة المباركة، وهذا من المتواتر المعلوم تواتره بالإجماع يُفيد أن الله ﷻ أرسل الرسل عليهم صلوات الله وسلامه كلهم قاطبة للأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة من سواه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ

﴿رَسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

ثالثًا: أن الله حذَّر أشد التحذير من الشرك بـه، فقـال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

رابعًا: إنـه لا علـم لأحدٍ بـالأمور التـي قدرها الله وقضـاها إلا بآيـة أو بحديث، وليس لهؤلاء علم بأن الله قدَّر عليهم أن يموتوا على الكفر.

ولا يحتج بالقدر على إسقاط العقوبات الدنيوية كما هو معلوم.

خامسًا: إنهم لو احتج عليهم محتج بمثل ذلك مـا قبلوه منه فلو سرق أحدٌ أموالهم، أو زنـى أحد بنسـائهم أو قتـل رجلٌ أولادهم واحتج علـيهم لإسقاط العقوبة عنه - بأن ذلك مقدرٌ ما قبلوه منه.

وهنالك جملـة من الأقوال كثيـرة للـرد علـى هؤلاء الـذين استجازوا الإقامة على الكفر والباطل محتجين على ذلك بالقدر، تـأتي فـي مواضـعها إن شاء الله.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ أي: لـو أراد الله لحـال بيننـا وبـين عبـادة هذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة التـي هـي بنـات الله، فإنـه عـالم بذلك وهو يقررنا عليه، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أحدها: جَعْلُهم لله ولدًا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكـة الـذين هم عباد الرحمن إناثا.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله

ﷻ، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرًا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ **[النحل: ٣٦]**، وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ **[الزخرف: ٤٥]**.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ﴾ يعني قال المشركون على طريق الاستهزاء والسخرية : لو شاء الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل وكل شيء بإرادة الله وإراداته تجب وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بها وخلاف المعلوم والمراد مقدور وإن لم يقع ولو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا المعنى في الأنعام عند قوله : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ **[الأنعام : ١٤٨]**، وفي «يس» : ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ **[يس : ٤٧]**.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ أي يحدثون ويكذبون فلا عذر لهم في عبادة غير الله عز و جل وكان في ضمن كلامهم أن الله أمرنا بهذا أو رضي ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم يعاجلنا بالعقوبة.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتنا لها.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ﴾ فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلًا وشرعًا. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

وأما شرعًا، فإن اللـه تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن اللـه تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلا ولهذا قال هنا: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ أي: يتخرصون تخرصًا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾.

في هذه الآية الكريمة إشكال معروف، ووجهه أن قول الكفار الذي ذكره الله عنهم هنا، أعني قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف:٢٠]، هو بالنظر إلى ظاهره كلام صحيح، لأن الله لو شاء أن يعبدوهم ما عبدوهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الأنعام:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ الآية [السجدة:١٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام:١٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩].

وهذا الإشكال المذكور في آية الزخرف هو بعينه واقع في آية الأنعام، وآية النحل.

أما آية الأنعام فهي قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨].

وأما آية النحل، فهي قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ الآية [النحل:٣٥].

فإذا عرفت أن ظاهر آية الزخرف وآية الأنعام، وآية النحل: أن ما قاله الكفار حق، وأن الله لو شاء ما عبدوا من دونه من شيء ولا أشركوا به شيئا، كما ذكرنا في الآيات الموضحة قريبا.

فاعلم أن وجه الإشكال، أن الله صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق، قال في آية الزخرف: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

﴿٢٠﴾ ﴾ [الزخرف:٢٠]، أي يكذبون، وقال في آية الأنعام: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقال في آية النحل: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل:٣٥].

ومعلوم أن الذي فعله الذين من قبلهم، هو الكفر بالله والكذب على الله، في جعل الشركاء له وأنه حرم ما لم يحرمه.

والجواب عن هذا أن مراد الكفار بقولهم: (لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ) وقولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا) [الأنعام:١٤٨]، مرادهم به أن الله لما كان قادرا على منعهم من الشرك، وهدايتهم إلى الإيمان ولم يمنعهم من الشرك، دل ذلك على أنه راض منهم بالشرك في زعمهم.

قالوا: لأنه لو لم يكن راضيًا به، لصرفنا عنه، فتكذيب الله لهم في الآيات المذكورة منصب على دعواهم أنه راض به، والله جل وعلا يكذب هذه الدعوى في الآيات المذكورة وفي قوله: (وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ) [الزمر:٧].

فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية القدرية، تستلزم الرضى وهو زعم باطل، وهو الذي كذبهم الله فيه في الآيات المذكورة.

وقد أشار تعالى إلى هذه الآيات المذكورة، حيث قال في آية الزخرف: ﴿ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزخرف:٢١]، أي آتيناهم كتابا يدل على أنا راضوان منهم بذلك الكفر، ثم أضرب عن هذا إضراب إبطال مبينا أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى، وذلك في قوله: (بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾

[الزخرف:٢٢]، أي شريعة وملة وهي الكفر وعبادة الأوثان: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف: ٢٢].

فقوله عنهم: ﴿مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ هو مصب التكذيب، لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال.

فالاهتداء المزعوم أساسه تقليد الآباء الأعمى، وسيأتي إيضاح رده عليهم قريبا إن شاء الله.

وقال تعالى في آية النحل بعد ذكره دعواهم المذكورة: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [النحل:٣٦].

فأوضح في هذه الآية الكريمة أنه لم يكن راضيًا بكفرهم، وأنه بعث في كل أمة رسولا، وأمرهم على لسانه أن يعبدوا الله وحده، ويجتنبوا الطاغوت أي يتباعدوا عن عبادة كل معبود سواه.

وأن الله هدى بعضهم إلى عبادته وحده، وأن بعضهم حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الكفر والشقاء.

وقال تعالى في آية الأنعام: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾

[الأنعام:١٤٩]

فملكه تعالى وحده للتوفيق والهداية، هو الحجة البالغة على خلقه، يعني فمن هديناه وتفضلنا عليه بالتوفيق، فهو فضل منا ورحمة.

ومن لم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة، لأنه لم يكن له ذلك دينا

علينا ولا واجبا مستحقا يستحقه علينا، بل إن أعطينا ذلك ففضل، وإن لم نعطه فعدل.

وحاصل هذا: أن الله تبارك وتعالى قدر مقادير الخلق، قبل أن يخلق الخلق، وعلم أن قوما صائرون إلى الشقاء وقوما صائرون إلى السعادة، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأقام الحجة على الجميع، ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق لبسًا فقامت عليهم حجة الله في أرضه بذلك.

ثم إنه تعالى وفق من شاء توفيقه، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي، وخلق لكل واحد منهم قدرة وإرادة يقدر بها على تحصيل الخير والشر، وصرف قدرهم وإردتهم بقدرته وإرادته إلى ما سبق لهم في علمه، من أعمال الخير المستوجبة للسعادة وأعمال الشر المستوجبة للشقاء.

فأتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا، طائعين مختارين، غير مجبورين، ولا مقهورين: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام:١٤٩].

وادعاء أن العبد مجبور لا إرادة له ضروري السقوط عند عامة العقلاء.

ومن أعظم الضروريات الدالة عليه أن كل عاقل يعلم أن بين الحركة الاختيارية والحركة الاضطرارية، كحركة المرتعش فرقا ضروريا، ولا ينكره عاقل.

وأنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورون، وفقأت عينه مثلا،

وقتلت ولده واعتذرت له بالجبر، فقلت له: أنا مجبور ولا إرادة لي في هذا السوء الذي فعلته بك، بل هو فعل الله، وأنا لا دخل لي فيه فإنه لا يقبل منك هذه الدعوى بلا شك، بل يبالغ في إرادة الانتقام منك قائلا: إن هذا بإرادتك ومشيئتك.

ومن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهب القدرية، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته، أنه لا يمكن أحدا أن ينكر علم الله بكل شيء، قبل وقوعه والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا ينكرها إلا مكابر.

وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه، برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى.

وإيضاح ذلك أنك لو قلت للقدري: إذا كان علم الله في سابق أزله تعلق بأنك تقع منك السرقة أو الزنا في محل كذا في وقت كذا، وأردت أنت بإرادتك المستقلة في زعمك دون إرادة الله ألا تفعل تلك السرقة أو الزنا الذي سبق بعلم الله وقوعه، فهل يمكنك أن تستقل بذلك؟ وتصير علم الله جهلا، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له؟

والجواب بلا شك: هو أن ذلك لا يمكن بحال كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان:٣٠]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام:١٤٩].

ولا إشكال ألبتة في أن الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها على الفعل والترك، ثم يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق به علمه، فيأتيه العبد طائعا مختارا غير مقهور ولا مجبور، وغير مستقل به

دون قدرة الله وإرادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾.



س: قوله تعالى: (مِّن قَبۡلِهِۦ) من قبل ماذا؟

ج: ذهب الأكثرون إلى أن ذلك راجع إلى القرآن أي من قبل القرآن، وقال بعض العلماء: من قبل شركهم، والأول أظهر، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبًا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ما لهؤلاء المشركين مستمسكين بما هم عليه من عبادة الأوثان والشرك بالله، وما لهؤلاء المشركين تاركين للقرآن هاجرين له، هل أنزلنا عليهم قبل هذا القرآن كتابًا من السماء من عندنا فهم به مستمسكون ومن ثم لا يتزحزحون عنه ولا يحيدون؟!

وهذه الآية كقوله تعالى: (أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾) **[الروم: ٣٥]**.

وكقوله تعالى: (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبًا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ) **[فاطر: ٤٠]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: (أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبًا مِّن قَبۡلِهِۦ) يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء المتخرصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد. (فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾) يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: من قبل شركهم، ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] أي: لم يكن ذلك.



س: كثيرًا ما يستدل على الكفار بأنهم يعملون أعمالهم على غير برهانٍ ولا كتاب سابق، دلل على ذلك.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان» مجيبًا على هذا:

قوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

أم هنا تتضمن معنى استفهام الإنكار، يعني جل وعلا أن هذا الذي يزعم الكفار من أنهم على حق في عبادتهم الأوثان، وجعلهم الملائكة بنات الله، لا دليل لهم عليه، ولذا أنكر أن يكون آتاهم كتابا يحل فيه ذلك وأن يكونوا مستمسكين في ذلك بكتاب من الله، فأنكر عليهم هذا هنا إنكارا دالا على النفي للتمسك بالكتاب المذكور، مع التوبيخ والتقريع.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن كفرهم المذكور لم يكن عن هدى من الله، ولا كتاب أنزله الله بذلك، جاء موضحا في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ الآية [فاطر: ٤٠].

وقوله تعالى في الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ

ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤) [الأحقاف:٤].

وقولـه تعـالى فـي الـروم: (أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥) [الروم:٣٥].

وقوله تعالى في الصافات: (أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٥٧) [الصافات:١٥٦-١٥٧].

وقوله تعالى في النمل: (أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤) [النمل:٦٤].

وقوله تعالى في الحج ولقمان: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨) [الحج:٨].

وقوله تعالى في الأنعام: (قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨) [الأنعام:١٤٨].

س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أننا ما آتينا الكفار كتابًا يستمسكون به ويستشهدون به على كفرهم وإنما اتبعوا ملة آبائهم الباطلة التي كانوا عليها من غير سلطان ولا بينة ولا برهان، فإذا سألتهم هل أتاكم كتاب من عند الله يأمركم فيه بالشرك بالله وعبادة الوثن قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على نهجهم سائرون، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا

هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتابا من عندنا، ولكنهم قالوا: وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها، فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها؛ وعنى جلَّ ثناؤه بقوله: (بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ). بل وجدنا آباءنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان.

ثم قال:

وقوله: (وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾) يقول: وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾) أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا، وفي قوله: (إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً) [الأنبياء: ٩٢].

وقولهم: (وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم) أي: ورائهم (مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾) ، دعوى منهم بلا دليل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾) أي نهتدي بهم وفي الآية الأخرى: (مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي نقتدي بهم والمعنى واحد قال قتادة : مقتدون متبعون وفي هذا دليل على إبطال التقليد لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول ﷺ.



س: كثيرًا ما يستدل أهل الكفر على إقامتهم على ما هم عليه بأن الآباء والأجداد فعلوا ذلك. دلّل على هذا.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾.

[لقمان: ٢١]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[الصافات: ٦٩-٧٠]

وقوله تعالى في شأن إجابة قوم إبراهيم لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ **[الأنبياء: ٥٣]**.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ **[المائدة: ١٠٤]** إلى غير ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾.

ج: هذه الآية تحمل مواساة لرسول الله ﷺ فكان المعنى، وإن كان قومك قد كذبوك يا رسول الله، فهكذا سلك من كانوا قبلهم هذا المسلك من مسالك التكذيب، فما أرسلنا في قرية من قبلك من رسول ينذرهم ويحذرهم إلا قال كبراؤها والأثرياء منهم إنا وجدنا آباءنا على ملةٍ وعلى طريقة فلن نبرحها ولن نتركها بل سنقتفي آثارهم ونسلك مسلكهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم ﴿إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾، وهم رؤساؤهم وكبراؤهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين تعالى أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل، تشابهت قلوبهم، فقالوا مثل مقالتهم: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ...﴾ الآية.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الرسول المرسل إلى قومه لما دعاهم إلى الله فأجابهم المترفون بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾، قال الرسول: أرأيتم لو جئتكم من عند الله بقرآنٍ فيه هدايةٌ لما تجدوا عليها الآباء والأجداد، فأعرضوا قائلين جاحدين إنا بما أرسلتم به كافرون، أي: مكذبون جاحدون معرضون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم﴾ أيها القوم من عند ربكم ﴿بِأَهۡدَىٰ﴾ إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد ﴿مِمَّا وَجَدتُّمۡ﴾ أنتم ﴿عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ﴾ من الدين والملة. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾ يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون.

وقرأ ذلك قراء الأمصار سوى أبي جعفر: **(قل أولو جئتكم)** بالتاء.
وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه: **(قل أو لو جئناكم)** بالنون والألف.
والقراءة عندنا ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال تعالى: ﴿قَٰلَ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا

وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به، لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قوله تعالى : (﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ) أي قل يا محمد لقومك : أوليس قد جئتكم من عند الله بأهدى يريد بأرشد (مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يعني بكل ما أرسل به الرسل فالخطاب للنبي ﷺ ولفظه لفظ الجمع لأن تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرئ: ﴿**قل وقال وجئتكم وجئناكم**﴾ يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ؟ قالوا : إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى.



س: بأي شيء انتقم الله منهم؟

ج: منهم من انتقم الله منه بالخسف، ومنهم بعذاب يوم الظلة، ومنهم بالغرق، ومنهم بالريح الصرصر العاتية، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم بالطوفان إلى غير ذلك من صور الانتقام المذكورة في قصصهم. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فانتقمنا من هؤلاء الكفرة المُصرين على كفرهم المكذبين لرسلهم بصور عديدة من صور الانتقام، فانظر يا رسول الله بعين الاعتبار كيف كان مصيرهم، وإلى ماذا آل أمرهم!!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها، بإحلالنا العقوبة بهم، فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم، إذ كذبوا بآيات الله. ويعني بقوله: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ آخر أمر الذين كذبوا رسل الله إلام صار، يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ أي: من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب، كما فصله تعالى في قصصهم، ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾؟ أي: كيف بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟



قال الله تعالى:

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
٢٨ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩ وَلَمَّا
جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ
قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ
لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢
وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ
سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا
عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ
وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٣٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

(بَرَآءٌ - فَطَرَنِي - سَيَهْدِينِ - عَقِبِهِۦ - رَحْمَتَ رَبِّكَۚ - سُخْرِيًّاۗ - أُمَّةً وَٰحِدَةً - سُقُفًا - وَمَعَارِجَ - يَظْهَرُونَ - يَتَّكِـُٔونَ - وَزُخْرُفًاۚ).

ج:

الكلمة	معناها
(بَرَآءٌ)	مُتخلي - رافض - تارك
(فَطَرَنِي)	خلقني
(سَيَهْدِينِ)	سيوفقني ويرشدني ويُسددني
(عَقِبِهِۦ)	ذريته - نسله
(رَحْمَتَ رَبِّكَۚ)	قيل: المراد بها النبوة التي يمن الله بها على من يشاء من عباده. وقيل: الكرامة التي يكرم الله بها من يشاء. وقيل: عموم ما يرحم الله به العباد ويتفضل به عليهم
(سُخْرِيًّاۗ)	من التسخير والاستخدام. والمعنى: ليسخر بعضهم بعضًا بكونه يعمل عنده فيأمره وينهاه - خدمًا مسخرين
(أُمَّةً وَٰحِدَةً)	ملة واحدة (على الكفر)
(سُقُفًا)	أعالي البيوت - السطوح - ما تغطى به الغرف
(وَمَعَارِجَ)	درج (درجات السلالم)
(يَظْهَرُونَ)	يصعدون
(يَتَّكِـُٔونَ)	الاتكاء هو الميل بأحد الشقين على السرير أو على الأرض أو على غير ذلك
(وَزُخْرُفًاۚ)	ذهبًا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، واذكر قول إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن إذ قال لأبيه آزر ولقومه المشركين الذي أشركوا بالله وعبدوا معه آلهة أخرى من أوثان وأصنام وغير ذلك إذ قال لهم إبراهيم عليه السلام (إِنَّنِي بَرَآءٞ) أي: متبرؤٌ من عبادتكم ومن آلهتكم التي تعبدونها لكن ربي عز وجل الذي خلقني فإني لا أتبرأ منه فإنه خالقي وسيهديني ويوفقني ويسددني ويرشدني، وهذه الآية في معناها قوله تعالى: (قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ).

[الممتحنة: ٤]



س: قوله تعالى: (إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي) هل هو استثناء متصل أم منقطع؟

ج: الوجهان قائمان لأهل العلم: فالذي قال إنه استثناء متصل، قال: إن القوم كانوا يعبدون الله عز وجل وكانوا يعبدون معه آلهة أخرى فتبرأ إبراهيم عليه السلام من آلهتهم التي هي دون الله عز وجل ولم يتبرأ من عبادة الله عز وجل.

قال قتادة[1]: كايدهم، كانوا يقولون إن الله ربنا (وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ) [لقمان: ٢٥]، فلم يبرأ من ربه والذي قال إنه منقطع قال: معناه لكن الذي فطرني فإنه سيهدين، قال القرطبي: ويجوز أن يكون منقطعًا أي: لكن الذي فطرني فهو يهدين، قال ذلك ثقةً بالله وتنبيهًا لقوله أن

(١) أخرجه الطبري (٣٠٨١٤)، بسندٍ حسن.

الهداية من ربه ﷻ.

والآية كقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾ [الشعراء: ٧٨].



س: ما هذه الكلمة التي قال الله في شأنها: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾؟

ج: الكلمة هي قول: لا إله إلا الله. هذا قول جمهور المفسرين، وقال بعض أهل العلم: هي الإسلام، وهذا الأخير قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فقد صح عنه عند الطبري أنه قال في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ فقرأ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾ [البقرة: ١٣١]، قال: جعل هذه باقية في عقبه، قال: الإسلام، وقرأ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فقرأ: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].



س: من الذي جعلها باقية؟

ج: الذي جعلها باقية في عقب إبراهيم هو الله ﷻ تفضلًا منه وامتنانًا على إبراهيم عليه السلام جعل الله ﷻ في ذريته من يتولى لا إله إلا الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ أي: إليها.

قال القرطبي رحمه الله:

وضمير الفاعل في ﴿وَجَعَلَهَا﴾ لله عز وجل أي وجعل الله هذه الكلمة

والمقالة باقية في عقبه وهم ولده أي إنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله وأوصى بعضهم بعضًا في ذلك.

س: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إلى ماذا؟

ج: يرجعون إلى طاعة ربهم وإلى الإسلام وإلى كلمة التوحيد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم ويثُوبوا إلى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: يتوبون أو يذكرون. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إني لم أعاجل هؤلاء الكفار المشركين من أهل مكة بالعقوبة مع أن كلمة التوحيد كانت باقية في نسل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكني أمهلتهم حتى أرسلت إليهم رسولي وأنزلت عليه كتابي يتلوه عليهم، فالحق هو القرآن، والرسول هو محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن ما آمنوا إذ جاءهم الحق وما أسلموا ولكن وصفوا القرآن بأنه سحرٌ ووصفوا رسول الله ﷺ بأنه ساحر، وأعلنوا صراحة عن كفرهم، وذلك بقولهم هذا سحرٌ وإنَّا به كافرون، أي: له جاحدون منكرون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ يا محمد ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ المشركين من قومك ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بالحياة، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ

ٱلۡحَقُّ﴾ يعني جل ثناؤه بالحق: هذا القرآن: يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب، وبعثت فيهم رسولًا مبينًا. يعني بقوله: ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: محمدًا □، والمبين: أنه يبين لهم بالحجج التي يحتج بها عليهم أنه لله رسول محق فيما يقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ يقول جل ثناؤه: ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٌ﴾ يقول: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به، ليس بوحي من الله ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾ يقول: قالوا: وإنا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من الله.



س: من هذا الرجل الذي عناه المشركون بقولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد الوليد بن المغيرة (أبو خالد بن الوليد) من أهل مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف.

الثاني: أنه عتبة بن ربيعة من أهل مكة أو حبيب بن عمرو الثقفي من أهل الطائف.

وثمَّ أقوالٌ أخر.

وكل ذلك ليس من وراء العلم به كبير طائل ولو كان في التسمية كبير نفع لبيَّنه الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

ولقد أحسن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه، مخبرا عن هؤلاء المشركين ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ، والاختلاف فيه موجود على ما بيَّنت.



س: ما هاتان القريتان اللتان ذُكرتا في الآية الكريمة: (وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١).

ج: المراد عند جماهير المفسرين (مكة والطائف)، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢).

ج: هذا، والله أعلم، معناه أهؤلاء الذين يقولون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهؤلاء يقسمون رحمة ربك فيكرموا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا؟!!! كلا فليس هذا لهم بل كل هذا موكول إلى الله يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد ويمن على من شاء بما شاء، فهو سبحانه الذي قسم بين العباد معايشهم في الحياة الدنيا فجعل هذا حرًّا، وجعل ذاك عبدًا، وجعل هذا غنيًّا وجعل ذاك فقيرًا، وابتلى هذا بالمرض وعافى هذا من المكروه، ورزق هذا بالولد، وحرم هذا، وزوج هذا ذكرانا وإناثًا ورزق هذا بالبنات، وقلَّد هذا منصبًا ومنَّ عليك بالملك وحرم هذا

من المنصب، إلى غير ذلك من صور التفضيل بين العباد فهذا غني، وذاك فقير، وهذا وضيعٌ وذاك جليل القدر عند الناس، وهذه وسيمة وضيئة وتلك دميمة.

وهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ إلى غير ذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]، وكما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ [نوح: ١٤]، ثم إن الله ﷻ رفع بعض الأقوام على بعض فجعل هذا مالكًا وهذا مملوكًا مستخدمًا، وهذا غنيًّا وذاك فقيرًا وذلك حتى تستقيم الحياة ويستخدم هذا ذاك في عمله وإلا فلو كان الجميع أغنياء ما وجدوا من يخدمهم ولو كان الجميع فقراء ما استخدم أحدهم الآخر كذلك، فقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ أي: يسخره في العمل والخدمة. وقيل: استهزاءً وازدراءً، والأول أولى، ثم إن الله ﷻ بيَّن أن رحمة الله ﷻ التي يمن بها على العباد من الإيمان والنبوة والإسلام والسمع والطاعة له، كل ذلك خير مما يجمع من حطام الدنيا الفاني الزائل، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: أهؤلاء القائلون: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاءوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطيه من أحب، ويحرمه من شاء؟

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن

نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولًا ومن أردنا صديقًا، ونتخذ من أردنا خليلًا كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنيًّا، وهذا فقيرًا، وهذا ملكًا، وهذا مملوكًا (لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ).

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قال الله تبارك وتعالى:

(أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ) فتلقاه ضعيف الحيلة، عيي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله جلَّ ثناؤه: (نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ) كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ) يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش، في الدنيا.

ثم قال: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خيرٌ لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ)؟ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله، عَزَّ وَجَلَّ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبا ونفسا، وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا.

ثم قال تعالى مبينا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال

والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، فقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره.

وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضًا. وهو راجع إلى الأول.

ثم قال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ يعني أنه تعالى لم يفوِّض إليهم أمر معايشهم وحظوظهم، في الدنيا، بل تولى هو جل وعلا قسمة ذلك بينهم، فجعل هذا غنيًّا، وهذا فقيرًا، وهذا رفيعًا، وهذا وضيعًا، وهذا خادمًا، وهذا مخدومًا، ونحو ذلك فإذا لم يفوض إليهم حظوظهم في الدنيا، ولم يحكمهم فيها، بل كان تعالى هو المتصرف فيها بما شاء كيف شاء، فكيف يفوض إليهم أمر إنزال الوحي حتى يتحكموا في من ينزل إليه الوحي؟

فهذا مما لا يعقل ولا يظنه إلا غبي جاهل كالكفار المذكورين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢]، التحقيق إن شاء الله أنه من التسخير.

ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض، لأن نظام العالم في الدنيا، يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل

وعلا، أن يجعل هذا فقيرا مع كونه قويًّا قادرًا على العمل، ويجعل هذا ضعيفا لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم، يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدراهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي فتنتظم المعيشة، لكلٍّ منهما وهكذا.

وهذه المسائل التي ذكرها الله جل وعلا، في هذه السورة الكريمة جاءت كلها موضحة في آيات أخر من كتاب الله.

س: الحسد قد يُفضي إلى الكفر والقتل. دلِّل على ذلك.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، وقد تقدمت، ومنها هاهنا اعتراض أهل الكفر على نبوة النبي محمد ﷺ بقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾، ومن قبل ذُكر أن ابن آدم الأول قتل أخاه بسبب حسده إذ تُقبل منه القربان.

وإخوة يوسف عليه السلام فعلوا ما فعلوه معه حسدًا منهم له إذ أحبه أبوه حبًّا عظيمًا.

واليهود كفروا برسول الله ﷺ حسدًا منهم له.

والأدلة في هذا الباب كثيرة، سلمنا الله والمؤمنين من هذا الداء. آمين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: ابتداء، فهذا بيانٌ لرحمة الله عز وجل بعباده المؤمنين فهو سبحانه

يحفظهم من كل ما يصرفهم عن طاعته وتوحيده، ويصرف عنهم ما قد يصرفهم عن طاعته أما عن معنى الآيات الكريمات، فأقول، وبالله التوفيق ولولا أن يجتمع الناس كلهم على الكفر لمتعنا الكفار بصنوف المتاع، ولكن رحمة منا بعبادنا المؤمنين ما متعنا الكفار بصنوف المتاع بل جعلنا منهم الغني والفقير والوسيم والدميم والصحيح والسقيم، وإلا فلولا أن يغتر المؤمنون بدنيا الكفار فيكفرون لمتعنا الكفار بأن نجعل سقوف بيوتهم من الفضة، وكذلك لجعلنا الدرج الذي يصعدون عليه في البيوت لسطوحها (السلالم) من فضة، وكذا لجعلنا أبواب البيوت وأبواب الغرف وكذا السرر التي ينامون عليها، لجعلنا كل ذلك من فضة ولجعلنا أيضًا لهم (أي: الكفار) ذلك من ذهبٍ، ولمتعناهم أيضًا بالذهب وذلك لأن هذا كله متاع زائل ونعيمٌ فانٍ، وإذا رآه المؤمنون لدخلوا في دين الكفر اغترارًا منهم بدنيا الكفار، فحفاظًا على أهل الإيمان وإيمانهم لم تُعط الكفار هذا، وإن كان هذا كله متاعًا زائلًا وفانيًا وما أعده الله ﷻ لأهل الإيمان والتقى في الآخرة خيرٌ من كل ذلك.

هذا، وفي الصحيحين(١) من حديث عمر رضي الله عنه في قصة اعتزال النبي ﷺ نساءه، قال عمر: فقلت: استأنس، يا رسول الله! قال: «**نعم**»، فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله! ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر إلا أهبًا ثلاثة. فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالسًا، ثم قال: «أفي شكٍّ

---

(١) البخاري (حديث ٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).

أنت؟ يا ابن الخطاب! أولئك قوم عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: استغفر لي يا رسول الله! وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن. حتى عاتبه الله ﷻ.

وفي صحيح مسلم(١) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتى بأنعم أهل الدنيا، من أهل النار، يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة. ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة. فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا. والله! يا رب! ما مرَّ بي بؤس قط. ولا رأيت شدة قط**».

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى بأن الدنيا لا تساوي عنده شيئًا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها شيئا، لوسَّع الدنيا على الذين كفروا توسيعًا عظيمًا، ولجعل ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ أي: درجًا من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ٣٣﴾ إلى سطوحهم.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤﴾ من فضة، ولجعل لهم ﴿وَزُخْرُفًا﴾.

أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفًا عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عامًا أو خاصًّا لمصالحهم، وأن الدنيا لا تزن عند

(١) مسلم (٢٨٠٧).

الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدرة، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين.



س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن كلٌّ ما ذُكر من المتاع من الفضة والزخرف وغير ذلك لمتاعٌ زائل يستمتع به زمنًا قصيرًا ثم يزول أو يزول عنه الشخص أما الآخرة وما فيها من النعيم فهي خير، فنعيمها لا يتحول ولا يزول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[العنكبوت: ٦٤]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ) يقول تعالى ذكره: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا. (وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وزينة الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدوا في طاعته،

وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ أي: إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله أي: يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب، ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها، كما ورد به الحديث الصحيح.



قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾
وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾
وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾
أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾
وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً
يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٤٥]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَعْشُ - نُقَيِّضْ - قَرِينٌ - لَيَصُدُّونَهُمْ - ٱلسَّبِيلِ - بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ - ٱلصُّمَّ - ٱلْعُمْىَ - نَذْهَبَنَّ بِكَ - لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(يَعْشُ)	يتعامى - يُعرض - يتغافل
(نُقَيِّضْ)	نجعل - نسبب - نسلط
(قَرِينٌ)	مقارن - ملازم - مصاحب
(لَيَصُدُّونَهُمْ)	ليصرفونهم
(ٱلسَّبِيلِ)	طريق الحق
(بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ)	المسافة ما بين المشرق والمغرب، وقيل: المشرقين تغليبًا كالأسودين (التمر والماء)، والأبوين (الأم والأب)، والله أعلم
(ٱلصُّمَّ)	الذين لا يسمعون الحق، الذين سلبهم الله سماع الحق
(ٱلْعُمْىَ)	الذين لا يرون الحق ولا يبصرونه
(نَذْهَبَنَّ بِكَ)	نتوفينك
(لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)	شرفٌ لك أن نزل عليك القرآن، وكذا شرفٌ لقومك إذ أنزل القرآن على رجل منهم



س: ما المراد بذكر الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا...﴾.

ج: لأهل العلم أقوال في ذلك:

أحدها: أن المراد بذكر الله هنا القرآن وما فيه.

الثاني: أن المراد بالذكر عموم الذكر من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ونحو ذلك، والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يعرض ويصد ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقيَّض له الرحمن شيطانًا مريدًا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤزه إلى المعاصي أزًّا.



س: الذي ينصرف وينشغل ويُعرض عن ذِكر الله تتسلط عليه الشياطين. دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾. [فصلت: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣].

وقد وصف الشيطان بالخناس لكونه يخنس عند ذكر الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ **[النساء: ١١٥]**.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ ..﴾ **[الأنعام: ٧١]**

وفي الحديث(١) عن رسول الله ﷺ أن الله ﷻ أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، ... فذكر الحديث، وفيه: «**وآمركم بذكر الله ﷻ كثيرًا وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في إثره فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذِكر الله ﷻ...**» الحديث.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ومن يُعرض عن هذا القرآن ويتغافل عنه ويتعامى، وكذا من يكذب به فإن الله ﷻ يسلط عليه شيطانًا يقارنه ويلازمه ويصاحبه ويصرفه عن الطاعة ويُزين له المعصية، يحبب إليه الحرام، ويزهده في الحلال، يحمله على التكذيب بالجنة والنار، وكلما أراد أن يسلك سبيل الخير زهَّده فيه وكرَّهه إليه ويزين له الباطل فيفعل

---

(١) أحمد بسندٍ صحيح (١٣٠/٤).

المُحرم ويظن أنه مُحسن وعلى خير وهدى، وذلك كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وكما قال في شأن سبأ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦﴾ يقول: نجعل له شيطانًا يغويه فهو له قرين: يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلة في العين، يقال منه: عشا فلان يعشو عشْوًا وعشوًّا: إذا ضعف بصره، وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله، عن سبيل الحق، فيزينون لهم الضلالة، ويكرهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧﴾ يقول: ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحق والصواب، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شكٍّ وعلى غير بصيرة. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع، وإنما ذكر قبل واحدًا، فقال: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا﴾ لأن الشيطان وإن كان لفظه واحدًا، ففي معنى جمع.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، حتى إذا جاءنا المُعرض عن ذِكر الله ﷻ يوم القيامة مع قرينه تمنى أنه لم يكن قارنه ولا لازمه ولا صاحبه قائلًا: ياليتني لم أعرفك، ياليتني كنت بعيدًا عنك أبعد ما بين المشرق والمغرب فبئس القرين أنت.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩ ﴾.

ج: إيضاحه، والله تعالى أعلم، أن الإشتراك في العذاب الدنيوي قد يخففه بعض الشيء كما يُذكر عن الخنساء أنها قالت:

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولا يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس معهم بالتأسي

بل كما قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾ **[النساء: ١٠٤].**

وعلى سبيل الإيضاح: إذا كان الطالب في مدرسة وقيل له: إنك قد رسبت في الامتحان فيحزن لذلك إذا كان هو الراسب الوحيد، أما إذا قيل له: كل الطلبة الذين في المدرسة قد رسبوا، فيخف عنه الهم والحزن.

أما في الآخرة فالاشتراك في العذاب لا يخففه، فهذا قوله تعالى: ﴿ وَلَن

يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) أي: لـن يـنفعكم وقـد أشركتم في دنياكم بالله، اشتراككم في العذاب يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ) أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا (إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأن لكل واحد نصيبه الأوفر منه اعلم الله تعالى أنه منع أهل النار التأسي كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا وذلك أن التأسي يستروحه أهل الدنيا فيقول أحدهم : لي في البلاء والمصيبة أسوة فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنساء :.. وذكر البيتين اللذين تقدما.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وقوله تعالى: (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، فاشتركتم في عقابه وعذابه.

ولن ينفعكم أيضًا، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون هان عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٠﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفأنت يا رسول الله تُسمع من سلبه الله ﷻ استماع الحق وأفقده الله البصيرة التي يرى بها الصواب من الخطإ، ومن كان في غواية وبُعد ظاهر وواضح عن طريق الحق؟؟ ليس أمر الهداية - هداية التوفيق - بموكول إليك، إنما عليك البلاغ كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ **[القصص: ٥٦]**، وكما قال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ **[ق: ٤٥]** أي: لست بمجبر لهم على سلوك طريق الهداية، وكما قال: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾ **[الغاشية: ٢٢]**، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ : من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصمه عنه، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى ﴿وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٠﴾ يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل، سالك غير سبيل الحق، قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل، وعن قصد السبيل جائر: يقول جل ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ يا محمد ﴿وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٠﴾ أي: ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك إن كفروا ففيه

تسلية للنبي ﷺ وفيه ردٌّ على القدرية وغيرهم وأن الهدى والرشد والخذلان في القلب خلق الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٢﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإن توفيناك يا رسول الله قبل أن تقرَّ عينك برؤية انتقامنا من أهل الظلم وأهل الشرك فإننا سننتقم منهم ولا بد، وقد نُحييك حتى تقرَّ عينك برؤية أهل الظلم وقد انتقم الله منهم، فإنا على ذلك قادرون.

وعلى هذا الوجه من وجوه التأويل فإن الآية تحمل مواساة للمظلومين ولتوضيح ذلك أقول، وبالله التوفيق:

قد يبتلى شخص بظلم بعض العباد له ولا يستطيع أن ينتصر، فخصمه أقوى منه، فيتمنى أن الله ﷻ أنزل بأسه وعقابه بهذا الظالم، ولكن يُقدِّر الله أن لا يُنزل البأس بالظالم في حياة المظلوم بل يموت المظلوم وهمه في صدره ولم يُشف صدره ولم يذهب غيظه، فمثل هذا يواسى بأن الله ﷻ سينتقم له من ظالمه، وإن مات هو قبل ظالمه، فهذا معنى قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١﴾ أما قوله تعالى: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ أي: في دنياك قبل مماتك، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۝٤٢﴾ أي: فإنا على ذلك قادرون.

وهذا الذي ذكرته هو ما أراه صوابًا في تأويل الآية الكريمة، والله أعلم بالصواب من تأويل كتابه، وهو اختيار جمهور المفسرين، وهناك من المفسرين

من حمل الآية على أصحاب محمد ﷺ والفتن التي دارت وجرت بينهم فلم يحدث شيءٌ منها في زمان رسول الله ﷺ وإنما دبت الخلافات بعده ﷺ وأورد البعض هذا الحديث: «**النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**»، وحمل هذا الفريق من المفسرين قوله: ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ على أصحاب رسول الله ﷺ وما دار بينهم، وهذا أراه بعيدٌ جدًّا وغير صائب، فسياق الآيات في المشركين، عياذًا بالله من الشرك وأهله.

وهذا الرأي الأخير منقولٌ عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه، وقد أورده الطبري بسندٍ صحيح عن قتادة، ولكنه تعقبه.

قال قتادة:

قوله: (﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾) فذهب الله بنبيه ﷺ، ولم ير في أمته إلا الذي تقر به عينه، وأبقى الله النقمة بعده، وليس من نبيٍّ إلا وقد رأى في أمته العقوبة، أو قال ما لا يشتهي. ذكر لنا أن النبي ﷺ أري الذي لقيت أمته بعده، فما زال منقبضًا ما انبسط ضاحكًا حتى لقي الله تبارك وتعالى.

وتعقب الطبري هذا بقوله: وهذا القول (يعني: قول من قال: عُني به أهل الشرك من قريش): أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدًا لهم أولى من أن يكون وعيدًا لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجك من بينهم (﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾)، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة رسلها.

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ يا محمد من الظفر بهم، وإعلائك عليهم ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.



س: كثيرًا ما يحتاج المؤمنون إلى تثبيت مع كونهم أهل إيمان. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ - مع كونه مستمسكًا بالقرآن - ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ﴾ [الأحزاب: ١].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، اثبت يا رسول الله ولتزدد تمسكًا بما أنت عليه من الوحي والإسلام والنبوة، فإنك على طريق سوي مستقيم موصلٍ بإذن الله إلى جنات النعيم لا ينحرف بك عنها ولا يحيد.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك، فإنه الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.



س: هل رسول الله ﷺ لم يكن مستمسكًا بالوحي حتى قيل له: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ ﴾؟

ج: كلا بل كان أشد المستمسكين، وإنما المراد تثبيته على ما هو عليه من الحق، والحث على مزيدٍ من التمسك كذلك، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن هذا القرآن لشرف لك يا رسول الله وشرف لقومك كذلك لو كانوا يعقلون. شرفٌ لك إذ نزل عليك خير كتاب من عند الله وشرف لقومك؛ إذ نزل هذا القرآن على رجل منهم، وسوف يسألك ربك عن هذا الكتاب العزيز، عن تبليغه وعن العمل به والدعوة إليه، وسوف يسأل قومك كذلك عن اتباعهم له من عدمه، وهل ائتمروا بما فيه أم لا؟ وهل انتهوا عما نهاهم الله عنه في هذا الكتاب العزيز أم لا؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن الذي أوحي إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش ﴿وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ يعني: القرآن شرف لك ولقومك من قريش؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أي: شرفكم فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم كل من آمن بذلك فصاروا عيالًا عليهم؛ لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عني به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سُمِّي عربيًّا... إلى آخر ما قال.

❀ ❀ ❀

س: كيف يسأل رسول الله ﷺ من قبله من الرسل وهو لم يرهم؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه يسأل أتباع الرسل، الذين هم مؤمنو أهل الكتاب.

الثاني: أنه يسأل الرسل الذي التقى بهم ليلة الإسراء.

واختار الطبري القول الأول، وهو الأصح فيما أرى، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني به: سل مؤمني أهل الكتابين.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يقال: سل الرسل، فيكون معناه: سل المؤمنين بهم وبكتابهم؟ قيل: جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم، والمسألة عما جاءوا به بمعنى مسألتهم إذا كان المسئول من أهل العلم بهم والصدق عليهم، وذلك نظير أمر الله -جل ثناؤه- إيانا بردِّ ما تنازعنا فيه إلى الله وإلى الرسول، يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ **[النساء: ٥٩]**، ومعلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن الرد إلى ذلك ردٌّ إلى الله والرسول. وكذلك قوله: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إنما معناه: فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل، فإنك تعلم صحة ذلك من قبلنا، فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب؛ إذ كان معلومًا ما معناه.

وقوله: ﴿أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ يقول: أمرناهم بعبادة

الآلهة من دون الله فيما جاءوهم به، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا؟

س: هل كان رسول الله ﷺ شاكًا حتى أمر أن يسأل؟

ج: لم يكن الرسول ﷺ شاكًّا أبدًا، بل قيل له ذلك لمزيدٍ من التثبيت، وكذا قيل له ذلك لتثبيت أمته فأحيانًا يكون الخطاب في صورته لرسول الله ﷺ ولكن المراد أمته، والله أعلم.



س: اذكر بعض الأدلة على أن الرسل أرسلت بالدعوة للتوحيد.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

[النحل: ٣٦]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقول عددٍ كبيرٍ من الأنبياء عليهم السلام لأممهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، إلى غير ذلك من الأدلة، والله أعلم.



قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ
يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا
لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾
وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ
ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي
هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ
مَعَهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ
إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ
فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ
﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦-٥٦]

س : اذكر معنى ما يلي:

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ -وَمَلَإِيْهِۦ -أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ -ٱلسَّاحِرُ -بِمَا عَهِدَ عِندَكَ -كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ -يَنكُثُونَ -مِن تَحۡتِيٓ -مَهِينٌ -وَلَا يَكَادُ يُبِينُ -أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ -مُقۡتَرِنِينَ -فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ -فَأَطَاعُوهُۚ -ءَاسَفُونَا -سَلَفًا -وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بِـَٔايَٰتِنَآ)	بحججنا والمعجزات التي أيدنا بها موسى عليه السلام
(وَمَلَإِيْهِۦ)	أشراف قومه وكبراؤهم
(أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ﴾	أعظم في الاحتجاج بها عليهم من غيرها ـ أكبر من التي قبلها
(ٱلسَّاحِرُ)	المراد بها هنا العالم
(بِمَا عَهِدَ عِندَكَ)	بالعهد الذي أخبرك الله به (أننا إذا آمنا كشف عنا العذاب)
(كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ)	رفعنا عنهم البلاء والعذاب
(يَنكُثُونَ)	ينقضون العهد ويغدرون ويصرون على ضلالتهم
(مِن تَحۡتِيٓ)	من بين يدي ـ أمامي
(مَهِينٌ)	حقير ـ وضيع ـ لا منصب له
(وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)	لا يستطيع الكلام إلا بصعوبة ولا يستطيع الإفصاح إلا بصعوبة. قال كثير من أهل العلم: وذلك بسبب الجمرة التي تناولها في صِغره فأثَّرت على لسانه ومن ثَمَّ على نطقه، كذا قالوا، فالله أعلم.
(أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ)	ما يلبس في الأيدي من الحلي

(مُقۡتَرِنِينَ)	متتابعين يقارن بعضهم بعضًا - يمشون مع موسى عليه السلام ويؤيدونه ويقوون أمره
(فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ)	استخف بعقولهم ولعب بها ودعاهم إلى الضلالة - رآهم جهلة ورأى عقولهم خفيفة فلعب بها
(فَأَطَاعُوهُۚ)	فأجابوه
(ءَاسَفُونَا)	أغضبونا - أسخطونا
(سَلَفًا)	سلفًا سيئًا، قوم سوء وسلف سيئ لمن عمل بعملهم (فمن الناس من سلفه صالح، وهم الصالحون) (والطالحون سلفهم سيئ وفاسد) والسلف هم من تقدموا
﴿وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾	عبرةً لمن بعدهم



س: في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ...﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ. وضح ذلك.

ج: إيضاحه حاصله أنك يا رسول الله، وإن تكن كُذِّبت فقد كُذِّبَ موسى من قبلك، وإن يكن قومٌ قد سخروا منك فإن أقوامًا سخروا من رسلهم كذلك، فاصبر كما صبر إخوانك من المرسلين.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾).

ج: ولقد أرسلنا نبينا وكليمنا موسى عليه السلام بحججنا الدالة على واحدنيتنا والدالة على قدرتنا، وكذا الدالة على نبوته □ وعلى أننا أرسلناه، ومن تلك الآيات والحجج العصا التي تتحول إلى حية تسعى، ومنها اليد التي تخرج بيضاء للناظرين، ومنها ما ذكره الله تعالى في كتابه؛ إذ قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، أرسلناه بها إلى فرعون وأشراف قومه وكبراء قومه قائلًا لهم: إني رسول رب العالمين فما كان جواب هؤلاء - إذا جاءتهم الآيات - إلا السخرية والضحك والاستهزاء والتكذيب، فما انتفعوا بالآيات ولا أجدت معهم المعجزات.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش: إني رسول الله إليكم.

(فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾) يقول: فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من

الآيات والعِبر يضحكون؛ كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعِبر يسخرون، وهذا تسلية من الله ﷻ لنبيه □ عما كان يلقى من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه □ إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله موسى، عليه السلام، أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة، والأتباع والرعايا، من القبط وبني إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وأنه بعث معه آيات عظامًا، كـ:يده وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها، وضحكوا ممن جاءهم بها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى : (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ) لما أعلم النبي ﷺ أنه منتقم له من عدوِّه وأقام الحجة باستشهاد الأنبياء واتفاق الكل على التوحيد أكدَّ ذلك بقصة موسى وفرعون وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الإغراق والتعذيب أي: أرسلنا موسى بالمعجزات وهي التسع

الآيات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك أنت.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما نبتليهم بابتلاء وننتقم منهم بانتقام إلا وهو أعظم من الذي قبله وكذا ما نريهم من معجزة إلا وهي أعظم في الاحتجاج عليهم من التي قبلها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما نرى فرعون وملأه آية، يعني: حجته لنا عليه بحقيقة ما يدعوه إليه رسولنا موسى(إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) يقول: إلا التي نريه من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى : (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) أي: كانت آيات موسى من كبار الآيات وكانت كل واحدة أعظم مما قبلها وقيل : (إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ لأن الأولى تقتضي علمًا والثانية تقتضي علمًا، فتضم الثانية إلى الأولى فيزداد الوضوح ومعنى الأخوة: المشاكلة والمناسبة كما يقال : هذه صاحبة هذه أي: هما قريبتان في المعنى.



س: قوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾) عن ماذا؟ وإلى ماذا؟

ج: هذا، والله أعلم، لعلهم يرجعون عن كفرهم وضلالهم وغيِّهم إلى

طريق الله سبحانه وتعالى بعد أن ابتعدوا عنه ويرجعوا إلى توحيده بعد أن أشركوا به، وإلى طاعته بعد عصيانهم له.



س: كثيرًا ما يكون الابتلاء لإرجاع الناس إلى دينهم. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ **[الأعراف: ١٣٠]**.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ **[الأعراف: ٩٤]**، إلى غير ذلك من الآيات.



س: كيف يصفون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالساحر في موقف يريدون فيه منه أن يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ لهم؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بما حاصله أنهم أرادوا بالساحر في هذا المقام ـ العالم ـ فلم يكن السحر مذمومًا عندهم، بل كانوا يكرمون السحرة، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن قال لنا قائل: وما وجه قيلهم: يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك، وكيف سموه ساحرًا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذمًّا، وإنما دعوه بهذا الاسم؛ لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم.

وقوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: قالوا: إنا لمتبعوك فمصدقوك فيما

جئتنا به، وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان علماء زمانهم هم السحرة. ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذموما. فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه، لا تناسب ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يَعِدُون موسى إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل. وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه، وهذا كقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

[الأعراف: ١٣٣ ـ ١٣٥]

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَقَالُوا۟﴾ عندما نزل عليهم العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ يعنون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا، إما من باب التهكم به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحا، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بما خصك الله به، وفضَّلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنا العذاب ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ إن كشف الله عنا ذلك.



س: وضح معنى قولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝٤٩﴾.

ج: المعنى هنا، والله أعلم، وإنا لسالكون طريق الحق والإيمان والتوحيد، مؤمنين بك وبما جئت به،مصدقين لك (إذا أنت دعوت ربك فكشف عنا العذاب).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بقولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ أي: إننا متبعون للحق، مؤمنون بك فارتدوا بعد إيمانهم.

والأولى أصوب، أي: أن المراد إننا لمهتدون فيما يُستقبل إن أنت دعوت ربك فكشف عنا العذاب.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝٥٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فلما عافيناهم ورفعنا عنهم البلاء الذي ابتليناهم به، وكان من المفترض أن يؤمنوا بناءً على ما أعطوا من عهودٍ ومواثيق إذا هم يغدرون فلا يفون بعهد ولا بميثاق وينقضون العهود والمواثيق ويستمروا على كفرهم وضلالهم بل ازدادوا سخرية واستهزاء بنبي الله موسى عليه السلام.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا: يقول: يغدرون ويصرون على ضلالهم، ويتمادون في غيِّهم.



س: ما المراد بقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠﴾؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلـى أن ﴿أَمْ﴾ هنا استفامية على بابهـا المعـروف، وذهب آخرون منهم إلى أنها بمعنى (بل) وكلا الوجهين متحملٌ ويصح المعنـى به.

فالأولى: يستفهم ويطلب جوابهم، وقد استخف قومه فأطاعوه.

والثانية: مفهومها أن يجيب نفسه بقولـه: (بل أنـا خيرٌ من هذا...)، والله أعلم.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن فرعون جمع قومـه أو أشـرافهم وكبـراءهم، وخطبهم، فقال لهم: يا قوم ألست بملك مصر بما فيها، أفعل فيهـا مـا أشـاء، وهذه الأنـهار كما ترون تجري من بين يدي، أأنا خيرٌ أم هذا الحقير الذي لا يستطيع الكلام؟!

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ﴾ من القبط، فـ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١﴾ يعني بقولـه: ﴿مِن تَحۡتِيٓۚ﴾: من بين يدي في الجنان.

وقال أيضًا:

وقولـه: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١﴾ يقول: أفلا تبصـرون أيها القوم مـا أنـا فيـه

من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان، افتخر بملكه مصر عدو الله، وما قد مكّن له من الدنيا استدراجًا من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجًّا على جهلة قومه بأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لو كان محًّا فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحرًا، لأكسب نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلًا بالله واغترارًا منه بإملائه إياه.

وقال أيضًا:

يقوله تعالى ذكره مخبرًا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه، وبيان لسانه وتمام خلقه، وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى: أنا خير أيها القوم، وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم (أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ) لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده، والآفة التي بلسانه، فلا يكاد من أجلها يبين كلامه؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده: أنه جمع قومه، فنادى فيهم متبجحًا مفتخرًا بملك مصر وتصرفه فيها: (أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ)، قال قتادة: قد كانت لهم جنان وأنهار ماء، (أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾)؟ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾) **[النازعات: ٢٣ -٢٥]**.

وقوله: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ قال السدي: يقول: بل أنا خير من هذا الذي هو مهين. وهكذا قال بعض نحاة البصرة: إن ﴿أَمۡ﴾ هاهنا بمعنى «بل». ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها: **(أما أنا خير من هذا الذي هو مهين)**. قال ابن جرير: ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحًا واضحًا، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرؤوا: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾؟ على الاستفهام.

قلت: وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون -عليه اللعنة- أنه خير من موسى، عليه السلام، وقد كذب في قوله هذا كذبًا بينًا واضحًا، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ويعني بقوله: ﴿مَهِينٞ﴾ كما قال سفيان: حقير. وقال قتادة والسدي: يعني: ضعيف. وقال ابن جرير: يعني: لا ملك له ولا سلطان ولا مال.

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ يعني: لا يكاد يفصح عن كلامه، فهو عيي حصر.

قال السدي: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ أي: لا يكاد يفهم. وقال قتادة، والسدي، وابن جرير: يعني عيي اللسان. وقال سفيان: يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فيه وهو صغير.

وهذا الذي قاله فرعون -لعنه الله- كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب. وقوله: ﴿مَهِينٞ﴾ كذب، بل هو المهين الحقير خِلقةً وخُلُقًا ودينًا. وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

﴿٥٢﴾﴾ افتراء أيضًا، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في قوله: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦]، وبتقدير أن يكون قد بقى شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء.



س: هل كانت هذه العقدة في لسان موسى عليه السلام لا زالت باقية حتى بعد بعثته؟

ج: الظاهر، والله أعلم، أن الله ﷻ قد أذهبها وذلك لقول موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦].



س:- وضح معنى قوله تعالى:- ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن فرعون استخف بعقول القوم ولعب بها وقادهم فانقادوا له وأمرهم فسمعوا له وأطاعوا، فقد كانوا أهل فسقٍ وخروج عن الطاعة وأهل انحراف، فسهل عليه قيادتهم، فلما أغضبونا

(٢٨٧) أحمر أسود

بسوء صنيعهم وإقرارهم لفرعون؛ إذ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، وإقرارهم له؛ إذ قال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فانتقمنا منهم بالإغراق في البحر، فأغرقناهم أجمعين، وجعلناهم سلفًا سيئًا لمن يأتي من بعدهم ككفار قريش فإن سألت من السلف لكفار قريش؟ فسلفهم السيئ فرعون ومن معه، وكذا جعلنا قوم فرعون، وما أحللناه بهم من النكال والعذاب عبرة يعتبر بهم من جاء من بعدهم، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ﴾ قال ابن الأعرابي: المعنى: فاستجهل قومه ﴿فَأَطَاعُوهُۚ﴾ لخفة أحلامهم وقلة عقولهم يقال: استخفه الفرح أي: أزعجه واستخفه أي: حمله على الجهل ومنه ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠]، وقيل: استفزهم بالقوم فأطاعوه على التكذيب وقيل: استخف قومه أي: وجدهم خفاف العقول، وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه فلا بد من إضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول، فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال: استخفه خلاف استثقله واستخف به أهانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ أي: خارجين عن طاعة الله.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ﴾ أي: استخف فرعون عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشُّبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلًا على حقٍّ ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول.

فأي دليل يدل على أن فرعون محقٌّ، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟

وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلة أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية أمه له، بأساور من ذهب؟ ولكن فرعون لقي ملأ لا عقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حقٍّ وباطل. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٥٤﴾ فبسبب فسقهم، قيض لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر.



قال الله تعالى:

(۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾
وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ
عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى
تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾) [الزخرف: ٥٧-٦٤]

س: وضح معنى ما يلي:

(يَصِدُّونَ - جَدَلًۢا - خَصِمُونَ - مَثَلًا - يَخْلُفُونَ - لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ - فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا - وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - بِٱلْحِكْمَةِ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَصِدُّونَ)	يضجون - يسمع لهم ضجيج كضجيج الإبل عند تحميلها بثقيل الأحمال
(جَدَلًۢا)	مجادلة ومخاصمة
(خَصِمُونَ)	يلتمسون الخصومة بالباطل - مجادلون بالباطل
(مَثَلًا)	حجة - برهانًا - بيانًا
(يَخْلُفُونَ)	يخلف بعضهم بعضًا - يأتي بعضهم بعد بعض - يخلفونكم
(لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ)	دليل على اقترابها وعلامة من علامات اقترابها، أي: اقتراب يوم القيامة
(فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا)	فلا تشكن فيها وفي وقوعها
(وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ)	ولا يصرفنكم - ولا يحيدن بكم
(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)	بالحجج الواضحات - ومنها المعجزات التي أيده الله بها وقيل: المراد بالبينات: الإنجيل وما فيه
(بِٱلْحِكْمَةِ)	قيل: بالنبوة - وقيل: بالإنجيل - وقيل: ما يؤدي إلى فعل الجميل وينهى عن القبيح

س: وضح معنى قوله تعالى: (۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ

يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: لما شبِّه عيسى عليه السلام في كيفية خلقه، وكونه كآدم عليه السلام خلقه الله بكلمة كن، فكان بشرًا من غير أب ولا أم، فكذلك عيسى عليه السلام خلقه الله عز وجل من غير أب.

قال تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾) [آل عمران: ٥٩].

فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا بشأن عيسى عليه السلام إذا بضجيج يُسمع منهم كالضج الذي يُسمع من الإبل عند تحميلها بثقيل الأحمال، فتعجبوا وسُمع منهم صياح، وقالوا: يُريد محمد أن نعبده كما عُبد عيسى عليه السلام!!!

الثاني: أن النبي □ لما تلا على أهل الشرك قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٨]، ضجوا لذلك، وقالوا: فالنصارى يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيرًا، فقد رضينا أن تكون آلهتنا مع المسيح ومع عزير(١).

هذا، وقد ذكر الطبري الوجهين لأهل العلم، فقال:

وقوله: (وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل، إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذه إلهًا نعبده، كما عبدت النصارى المسيح.

(١) فقال الله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أي: أن عزيرًا والمسيح مبعدان عن النار، والله أعلم.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه.

ثم قال:

وقال آخرون: بل عني بذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ **[الأنبياء: ٩٨]** قيل المشركين عند نزولها: قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة؛ لأن كل هؤلاء مما يعبد من دون الله، قال الله ﷻ: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾ وقالوا: أآلهتنا خير أم هو؟

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

يقول تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أي: نهي عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ المكذبون لك ﴿مِنْهُ﴾ أي: من أجل هذا المثل المضروب، ﴿يَصِدُّونَ ٥٧﴾ أي: يلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلحوا.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾ **[الأنبياء: ٩٨]**.

ووجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبين معبوداتنا في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض.

ولم قلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا

وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٨]، وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أقصى ما يقررون به هذه الشبهة التي فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتباشرون.

وهي -ولله الحمد- من أضعف الشُّبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام؛ لأن العبادة حق للّه تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأيُّ شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟

وليس تفضيل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكونه مقربًا عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، (وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾) يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

وأما قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾) [الأنبياء: ٩٨]، فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أن «ما» اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.

الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصنامًا وأوثانًا.

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ

عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية.



س: هل هناك قراءتان في قوله تعالى: ﴿يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾، وما هما؟ وما معناهما؟

ج: نعم، هناك قراءتان، قراءة بكسر الصاد ﴿يَصِدُّونَ﴾ أي: يضجون، والأخرى: ﴿يَصُدُّون﴾، أي: يُعرضون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلفت القرَّاء في قراءة قوله: ﴿يَصِدُّونَ﴾، فقرأته عامة قراء المدينة، وجماعة من قراء الكوفة **(يَصُدُّون)** بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسر الصاد.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قُرئ بالضم والكسر، ولو كان مختلفًا معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودًا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضجون ويجزعون، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب.



س: قولهم: ﴿أَمۡ هُوَۚ﴾ إشارة إلى من؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن ذلك إشارة إلى محمد ﷺ، فكأن المشركين

قالوا: أيريد منا محمدٌ أن نعبده؟ فآلهتنا التي نعبدها خيرٌ من محمد.

وقال غيرهم من أهل العلم: إن ﴿هُوَۚ﴾ إشارة إلى المسيح عيسى عليه السلام، فقالوا: إن الملائكة التي نعبدها خيرٌ من عيسى عليه السلام.

وقال آخرون: إن الأصنام التي نعبدها خير من عيسى عليه السلام، والله أعلم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ما ذكر الكفار كفار قريش المسيحَ عيسى عليه السلام إلا على سبيل المخاصمة بالباطل والجدال بغير حقٍّ، فإنهم يعلمون الحق، ويعلمون أن عيسى عليه السلام ليس بإله، ولم يرض عيسى عليه السلام بأن يُعبد من دون الله، وأن قوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **[الأنبياء: ٩٨]**، عائد على الجمادات، فـ(ما) هنا لغير العاقل، والمراد بها الأصنام المصنوعة من الحجارة، وقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ أي: قوم مجادلون بالباطل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾.... إلى ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠﴾. وقوله تعالى ذكره: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلًا وخصومة يخاصمونك به ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ يقول جلَّ ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ يلتمسون الخصومة بالباطل.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾ أي: مراء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد

على الآية؛ لأنها لما لا يعقل، وهي قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه، فتعين أن مقالتهم إنما كانت جدلا منهم، ليسوا يعتقدون صحتها.



س: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية الكريمة: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ...﴾ في موطنٍ من المواطن. وضح هذا الموطن.

ج: أخرج الطبري وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضبًا شديدًا، حتى كأنما صبَّ على وجهه الخلّ، ثم قال ﷺ: «**لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨] (١).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ما المسيح عليه السلام إلا عبدٌ ليس بربٍّ ولا إلهٍ وليس بابنٍ لله، تعالى الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا، فما المسيح إلا عبد كسائر العباد لكننا مننا عليه بمننٍ عظيمةٍ منها الإيمان والنبوة والنطق بالعبودية لله وتوحيده في المهد وسائر مننا التي مننا بها عليه كإحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله.. إلى غير ذلك،

---

(١) الطبري (٣٩٤٠).

وجعلناه مثلًا وبيانًا لبني إسرائيل، ودلالةً على قدرتنا على خلق شخصٍ بغير أب، فالله على كل شيءٍ قدير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان، وجعلناه مثلًا لبني إسرائيل، يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: ما عيسى إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلًا لبني إسرائيل أي: آية وعبرة يستدل بها على قدرة الله تعالى فإن عيسى كان من غير أب، ثم جعل إليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذٍ خير الخلق وأحبه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ والناس دونهم ليس أحد عند الله عَزَّ وَجَلَّ مثلهم وقيل: المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ والأول أظهر.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: ولو نشاء لجعلنا بدلًا منكم يا بني آدم ملائكة تعبد الله ﷻ في الأرض، يخلف بعضهم بعضًا.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ **[إبراهيم: ١٩-٢٠].**

وكذا قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ **[الأنعام: ١٣٣].**

وكما قال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ **[النساء: ١٣٣].**

الوجه الثاني: ولو نشاء لجعلنا من جنسكم يا بني آدم، أي: لجعلنا من الإنس ملائكة وإن لم تجر العادةُ بذلك، والله أعلم.

س: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ إشارة إلى ماذا؟

ج: ذهب جمهور العلماء إلى أن ذلك إشارة إلى عيسى عليه السلام ونزوله من السماء، فنزوله من السماء علم على اقتراب الساعة وشرط من أشراطها الكبرى.

بينما ذهب فريق آخر إلى أن ذلك إشارة إلى القرآن ونزوله على رسول الله ﷺ.

والذي أراه صوابًا في هذا المقام هو القول الأول وهو قول الجمهور فالسياق يقتضيه، والله تعالى أعلم.



س: اذكر بعض الوارد في نزول عيسى عليه السلام بين يدي الساعة.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب(٢)، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد(٣)، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما**

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٥٥).

(٢) في بعض روايات «الصحيحين»: («**ويضع الجزية**»: قال النووي رحمه الله: الصواب في معناه: أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا، ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية، وهو ضربها على جميع الكفرة، فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له؛ إما بالإسلام، وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي وليس بمقبول، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام.

فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابيَّ إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله، ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد =

= بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخِهِ، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدلَّ على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ.

هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/٤٩٢) عن ابن بطال قوله: (وإنما قبلناها أي: الجزية - قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال، فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يُعَامَلُوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالًا والله أعلم).

(٣) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/٣٧١): (معناه: أن المال يكثر وتنزل البركات،

فيها» (١).

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩].



س: هل صح لقوله تعالى: (﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ...﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزول صحيح، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عقيل قال: قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها، ثم طفق يحدثنا، فلما قام تَلَاوَمْنَا ألا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدًا. فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أنَّ آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال: نعم، إن رسول الله صلى

وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتقيء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء في الحديث الآخر، وتقل أيضًا الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة، فإن عيسى ﷺ علم من أعلام الساعة. والله أعلم).

(١) قال النووي رحمه الله: (وأما قوله: «حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، فمعناه، والله أعلم: أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات، لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث.

وقال القاضي عياض رحمه الله: معناه: أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها؛ لفيض المال حينئذٍ، وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد. قال: و«السجدة» هي السجدة بعينها، أو تكون عبارة عن الصلاة. والله أعلم).

الله عليه وعلى آله وسلم قال لقريش: «**يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير**»، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد: ألست تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبدًا من عباد الله صالحًا، فلئن كنت صادقًا فإنَّ آلهتهم كما تقول، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون. ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة(١).

قلت: وفي سنده أبو يحيى مولى ابن عقيل واسمه مصدع، لم أقف على توثيق معتبر له، وكذا في عاصم -وهو ابن بهدلة- بعض الكلام، وإن كان التعويل في التضعيف على ضعف أبي يحيى.

وفي الصحيحين(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**».

وفي صحيح مسلم(٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**».

قال: «**فينزل عيسى ابن مريم □ فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا؟ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**».

---

(١) أحمد (٣١٧/١).

(٢) البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (ص١٣٦-١٣٧) ترتيب محمد فؤاد، ولمزيد من النظر في بعض الاختلاف على سند هذا الحديث، انظر كتابي: «الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

(٣) حديث (١٥٦).

وعند مسلم[1] **أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحدث عن النبي □ قال:** «**والذي نفسي بيده؛ ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما**».

وقوله: «**ليثنينهما**» أي: ليقرن بينهما. قال النووي: (وهذا يكون بعد نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء في آخر الزمان، وأما: «**فج الروحاء**» فبفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة. قال: وكان طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع).

وعند الإمام أحمد[2] **بسند حسن عن أبي هريرة أن النبي □ قال:** «**الأنبياء إخوة لِعَلَّاتٍ**[3]**، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلًا مربوعًا إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران**[4]،

---

(١) مسلم (١٢٥٢).

(٢) أحمد (٢/٤٠٦).

(٣) في رواية: «**والأنبياء أولاد علات**»: قال الحافظ في «الفتح»: (و«العلات» بفتح المهملة: الضرائر، وأصله: أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، و«العَلَل»: الشرب بعد الشرب، و«أولاد العَلات»: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وهو من باب التفسير، كقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ ﴾ [المعارج: ١٩-٢١]. ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

(٤) قال الخطابي: (قال الشيخ: «الممصر من الثياب»: الملون بالصفرة، وليست صفرته بالمشبعة. =

= وفي «اللسان» ـ نقلًا عن أبي عبيد ـ قال: الثياب الممصرة التي فيها شيء من صُفرة ليست بالكثيرة. وقال شمر: «الممصر من الثياب»: ما كان مصبوغًا فغسل. وقال أبو سعيد:

كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيُهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة[(١)] على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

وعند أحمد[(٢)] بسندٍ صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي □ أنه قال: «إني لأرجو إن طال بي عُمرٌ؛ أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئْه مِنِّي السلامَ».

وعند مسلم أيضًا من حديث النواس بن سمعان[(٣)] قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفع[(٤)]، حتى ظنناه في طائفة

«التمصير في الصبغ»: أن يخرج المصبوغ مبقعًا لم يستحكم صبغه، و«التمصير في الثياب»: أن تتمشق تخرقًا من غير بلى، وفي حديث عيسى عليه السلام: «ينزل بين ممصرتين، الممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة»، ومنه الحديث: «أتى عليٌّ طلحة رضي الله عنهما وعليه ثوبان ممصران».

(١) الأمنة، أي: الأمان.

(٢) (٢/٢٩٨)، وقد روي من وجه آخر موقوفًا والمرفوع سنده صحيح أيضًا.

(٣) مسلم (٢١٣٧) صـ ٢٢٥٠.

(٤) قوله: «فخفَّض فيه ورفَّع» قال النووي - رحمه الله-: (هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان: أحدهما: أنَّ خفَّض بمعنى: حقَّر، وقوله: «رفَّع» أي: عظَّمه وفخمه، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، منه قوله ﷺ: «**هو أهون على الله من ذلك**»؛ وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، و«**أنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه**».

والوجه الثاني: أنه خفَّض من صوته من حال الكثرة فيما تكلَّم فيه، فخفض بعد طول الكلام

النخل، فلما رحنا عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**»، قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداةً فخفَّضتَ فيه ورفعتَ، حتى ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم**(١)**، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شابٌّ قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين**(٢) **الشام**

والتَّعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد).

(١) نقل النووي ـ رحمه الله ـ عن شيخه الإمام أبي عبد الله بن مالك قوله: (وأما معنى الحديث: ففيه أوجه، أظهرها: أنه من أفعل التفضيل، وتقديره: «غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم» ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه: «**أخوف ما أخاف على أمتي: الأئمة المضلون**» معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون.

والثاني: بأن يكون «أخوف من أخاف» بمعنى: خوف، ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: «شعر شاعر»، و«خوف فلان أخوف من خوفك»، وتقديره: خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم، ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني). هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله.

وقوله: «**إنه شاب قطط**»: أي: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعود المحبوبة.

(٢) قال النووي: (هكذا في نسخ بلادنا «خلة» بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء، وقال القاضي: المشهور في «حلة» بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني: غير منونة، قيل: معناه: سمت ذلك وقبالته.

وفي كتاب «العين»: الحلة موضع حزن وصخور، قال: ورواه بعضهم: «حلة» بضم اللام وبهاء الضمير، أي: نزوله وحلوله.

قال: وكذا ذكره الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» قال: وذكره الهروي: «خلة» بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين، وفسَّره: بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا، وفي «الجمع بين الصحيحين» أيضًا

والعراق، **فعاث**[(١)] **يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**» قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعونًا، يوم كسنةٍ، ويوم كشهرٍ، ويوم كجمعةٍ، وسائر أيامه كأيامكم**»، قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**»[(٢)]، قلنا: يا رسول الله؛ وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتم طول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر**[(٣)]، **ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم**

ببلادنا، وهو الذي رجَّحه صاحب «نهاية الغريب» وفسَّره بالطريق بينهما».

(١) قال النووي: (العيث: الفساد أو أشد الفساد، والإسراع فيه).

(٢) قال عياض: (هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى: «**اقدروا له قدره**»: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلُّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤادة في وقتها.

وأما الثاني الذي كالشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه، والله أعلم.

(٣) قوله: «**تروح**». معناه: «ترجع»، والسارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعي.

وأما «الذرى»: فبضم الذال المعجمة، وهي: الأعالي، و«الأسنمة» جمع ذروة بضم الذال وكسرها.

وقوله: «وأسبغه» بالسين المهملة والغين المعجمة، أي: أطوله، لكثرة اللبن، وكذا «أمده

فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل(١)، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغَرَض(٢)، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء - شرقي دمشق بين مهرودتين(٣) - واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ(٤)، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه(٥)، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان(٦) لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج

خواصر» لكثرة امتلائها من الشبع.

(١) قوله: «كيعاسيب النحل»: هي ذُكور النحل، هكذا فسَّره ابن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنَّى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته، والله أعلم.

(٢) «جزلتين» أي: قطعتين، ومعنى: «رمية الغرض»: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته.

(٣) وأما «المهرودتان»: فروي بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، و«الشقة»: نِصف الملاءة.

(٤) «الجمان» بضم الجيم وتخفيف الميم، هي: حبات من الفضة، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسُمِّي الماء جمانًا لشبهه في الصفاء.

(٥) أي: قد عصمهم الله من الدجال.

(٦) «اليدان» تثنية يد، قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: «ما لي بهذا الأمر يد وما لي به

ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءٌ(١). ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه(٢) فيرسل الله عليهم النغف(٣) في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى(٤) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى، وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم(٥)، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر(٦)، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة(٧)، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذٍ

يدان» ؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان بعجزه عن دفعه، ومعنى «حرزهم إلى الطور» أي: ضمهم واجعله لهم حرزًا.

(١) في رواية لمسلم بعد قوله: «ماء»: «... **ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - وهو جبل بيت المقدس- فيقولون: قد قتلنا من في الأرض، هلمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء - أي: بسهامهم - فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا**».

قال النووي في شرح «جبل الخمر» قال: (والخمر هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. وقد فسَّره في الحديث: «بأنه جبل بيت المقدس»).

(٢) أي: يرغبون إلى الله، يدعون الله عزَّ وجلَّ.

(٣) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٤) «فرسى»: أي قتلى.

(٥) «الزهم والنتن»: أي: الدسم والرائحة الكريهة.

(٦) أي: لا يمنع من نزول المطر بيت المدر، وهو الطين الصلب، و«ولا وبر»: وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.

(٧) قال النووي: (الزُّلفة: بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وروى «الزَّلفة» بفتح الزاي واللام

تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها(١)، ويبارك الله في الرسل، حتى إن اللقحة(٢) من الإبل لتكفي الفئام(٣) من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ(٤) من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر(٥)، فعليهم تقوم الساعة». صحيح.

وعند مسلم(٦) أيضًا من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابقٍ(٧)، فيخرج إليهم جيش

وبالفاء، وقال القاضي: رُوي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة، قال في «المشارق»: والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: كالمرآة، وحكى صاحب «المشارق» هذا عن ابن عباس أيضًا شبهها بالمرأة في صفائها ونظافتها». وقيل: كمصانع الماء، أي: أن الماء يستنقع فيها، حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة.

(١) القحفة: هي مقعر القشر شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٢) «اللقحة»: القريبة العهد بالولادة، و«اللقوح»: ذات اللبن وجمعها لقاح.

(٣) «الفئام»: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٤) «الفخذ»: هم الجماعة من الأقارب، وهُم دون البطن، والبطن دون القبيلة. نقله النووي عن أهل اللغة، ونقل عن عياض أنه قال: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

(٥) «يتهارجون تهارج الحمر»: أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، و«الهرج» بإسكان الراء: الجماع، يقال: هرج زوجته أي: جامعها، يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها.

(٦) مسلم (٢٨٩٧).

(٧) «الأعماق»، و«دابق»: موضعان بالشام بقُرب حلب.

من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منَّا نقاتلهم.

فيقول المسلمون: لا واللهِ، لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا.

فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون قسطنطينية(١) فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاحَ فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون؛ وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذابَ كما يذوب المِلحُ في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته».

ولمزيد راجع تفسيرنا لقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩]، وكذا كتابي الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وإن نزول عيسى عليه السلام لدليل على

---

(١) هي مدينة مشهورة مِن أعظم مدائن الروم.

اقتراب يوم القيامة فلا تشكوا في وقوعها فإنه آتٍ لا محالة، واتبعون فيما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه، فهذا هو الطريق المستقيم الذي يوصلكم إلى جنتي ومرضاتي ألا وهو طاعتي واتباع رسلي.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٢﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولا يصرفنكم الشيطان، ولا يبتعدن بكم عن طريقي وعن طاعتي واتباع رسلي، فإن الشيطان لكم عدوٌّ مظهرٌ لكم عن عداوته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٢﴾ يقول: إن الشيطان لكم عدوٌّ يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدًا وبغيًا.



س: كيف قيل: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾، ولم يقل: كلّ الذي تختلفون فيه؟

ج: أجاب بعض أهل العلم على ذلك بأجوبةٍ:

أحدها: أنهم كانوا يختلفون في الأمور الدينية والدنيوية، فبين لهم ما اختلفوا فيه من أمر الدين، والله أعلم.

الثاني: أنه بيَّن لهم بعض المسائل التي اختلفوا فيها وسألوا عنها، وسُكت عن الأشياء التي لم يسألوا عنها - ورأى هذا بعيدًا.

الثالث: أن ﴿بَعۡضَ﴾ هنا بمعنى كل، وذلك كما في الآية الكريمة: ﴿يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ [غافر: ٢٨].



س: اذكر بعض هذا الذي كانوا يختلفون فيه.

ج: من أعظم ذلك أن بعضهم بدَّل ما في التوراة فتنازعوا بعده في وجوه الحق والصواب من التوراة، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولما جاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كرسول من ربِّه عَزَّ وَجَلَّ إلى بني إسرائيل بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات لبني إسرائيل، قال لهم: قد جئتكم بالنبوة فقد أرسلني الله إليكم، وكذا جئتكم بكل طيب وجميل، وكل ما يدفع إلى الجميل وينهى عن القبيح، وكذا جئتكم بالإنجيل، وجئتكم لأظهر لكم الصواب من وجوه الاختلافات فاتقوا الله ولا تشركوا

به شيئًا ولا ترتكبوا ما حرّمه عليكم وأطيعوني فيما آمركم به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات، يعني بالواضحات من الأدلة. وقيل: عني بالبينات: الإنجيل.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة.

وقال كذلك:

وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم.



س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إن الله هو ربي وربكم الذي يستحق أن يُعبد ولا يشرك به أحدٌ، فاعبدوه فهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه، الطريق الذي إذا سلكتموه أوصلكم إلى جنات الله ومرضاته. فعبادة الله وحده لا شريك له هي الطريق المستقيم وما سواه معوج لا يؤدي إلى خير.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعًا، فاعبدوه وحده،

لا تشكروا معه في عبادته شيئًا، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه.

وقوله: (﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦٤﴾) يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي، وإفراد الله بالألوهة، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره.



س: اذكر بعض الآيات التي ذكر فيها عيسى عليه السلام عبوديته لله عز وجل.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾) [آل عمران: ٥١].

وقوله في المهد: (﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١﴾) [مريم: ٣٠-٣١].

وقول الله تعالى: (﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾) [المائدة: ١١٦-١١٧].

إلى غير ذلك من الآيات.

قال الله تعالى:

(فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ
أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ
﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ
أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾).

[الزخرف: ٦٥-٧٣]

وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْأَحْزَابُ - مِنۢ بَيْنِهِمْ - ظَلَمُوا۟ - أَلِيمٍ - يَنظُرُونَ - ٱلسَّاعَةَ - بَغْتَةً - ٱلْأَخِلَّآءُ - وَأَزْوَٰجُكُمْ - تُحْبَرُونَ - بِصِحَافٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْأَحْزَابُ)	اليهود والنصارى - أحزاب النصارى المختلفين في عيسى عليه السلام
(مِنۢ بَيْنِهِمْ)	فيما بينهم
(ظَلَمُوا۟)	أشركوا - زعموا أن عيسى هو ابن الله أو زعموا أنه الله أو قالوا: إن الله ثالث ثلاثة
(أَلِيمٍ)	مؤلم موجع
(يَنظُرُونَ)	ينتظرون - يتوقعون
(ٱلسَّاعَةَ)	يوم القيامة
(بَغْتَةً)	فجأة
(ٱلْأَخِلَّآءُ)	الأصدقاء الذين بينهم صداقة شديدة عظيمة
(وَأَزْوَٰجُكُمْ)	أمثالكم - نظراؤكم
(تُحْبَرُونَ)	تُنعمون - تكرمون - تُسرون (من السرور)
(بِصِحَافٍ)	جمع صحفة، وهي القصعة



س : من الأحزاب الذين اختلفوا؟ وفي أي شيء اختلفوا؟

ج: أما الأحزاب ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى.

الثاني: أنهم المختلفون في شأن عيسى عليه السلام.

أما الذي اختلفوا فيه فمنه ما يلي:

* اختلافهم في عيسى عليه السلام ، فقالت فرقة يُقال لها النسطورية: إنه ابن الله، وقالت فرقة يُقال لها اليعقوبية: هو الله، وقالت فرقة يُقال لها الملكية: إنه ثالث ثلاثة. ذكر ذلك عنهم القرطبي في تفسيره.

* وكذا اختلفوا هل هو رسول من عند الله كما قال بذلك أهل الإيمان أم هو ليس برسول بل ساحر كما قالت اليهود.

* واختلفوا في البينات التي جاء بها عيسى عليه السلام، فأقرت بها أقوام، وقال آخرون: إن هذا إلا سحرٌ مبين.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾).

ج: أما الويل ففيه للعلماء قولان:

أحدهما: أنه وعيد بالعذاب الشديد.

الثاني: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، وقد وردت بذلك بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما عن معنى الآية الكريمة: فالعذاب الشديد، والذي منه - وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار - قد أعد للذين ظلموا أنفسهم بقولهم على

الله بغير علم وادعائهم أن عيسى عليه السلام ابن الله أو أنه الله أو أنه ثالث ثلاثة، وكذا الذين ظلموا أنفسهم بالافتراء على عيسى وتكذيبه ووصفه بأنه ساحر وكذاب، ويلٌ لهؤلاء من عذاب مؤلم موجع يوم القيامة.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى ابن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام؛ إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ماذا ينتظر هؤلاء المعرضون عن توحيد الله القائلون في عيسى ابن مريم عليه السلام ما لم يقله الله، ماذا ينتظرون، هل ينتظرون إلا مجيء القيامة أن يحلَّ لهم، فحلوله مفاجئ ومجيئه مفاجئ يأتيهم فجأة وهم غير منتبهين ولا غير متفطنين له.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾ يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى ابن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلا الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ يقول: وهم

لا يعلمون بمجيئها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٦٦﴾؟ أي: فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين؛ فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها، فحينئذٍ يندمون كل الندم؛ حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، والأصدقاء الذين تصادقوا في الدنيا على غير طاعة الله بل على معصيته هؤلاء يوم القيامة يتعادون ويتلاعنون إلا من تصادقوا على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فإنهم أخلاء وأصدقاء في الدنيا والآخرة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عَزَّ وَجَلَّ فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ

بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾) [العنكبوت:٢٥].

س: وضح معنى قوله: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾)

ج: المعنى، والله أعلم، متعلق بما قبله.

فقوله: (إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾) أي: إلا المتقين فلا يتعادون يوم القيامة بل يُقال لهم: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾) لا خوف عليكم مما هو آتٍ، ولا تحزنون على ما قد مرَّ وفات.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها.



س: وضح معنى قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، أن المتقين الذين لا يتعادون يوم القيامة لا يُعادى بعضهم بعضًا هم الذين صدقوا بآيات الله عَزَّ وَجَلَّ وأعلنوا عن هويتهم ووجهتهم، فاستسلموا لله عَزَّ وَجَلَّ وشهدوا ألا إله إلا الله، فهؤلاء يؤمنهم الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا، ومن العلماء من ذهب إلى وجهٍ آخر لتعلق الآية بما قبلها، فقال ما حاصله: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لما قال: (يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾) تطلعت كل النفوس لرحمة الله عَزَّ وَجَلَّ وطمعت فيها يوم القيامة، فإذا قال

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩﴾ نُكِّست رؤوس أهل الكفر وأهل الزيغ والضلال، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءتهم به رسلهم، وكانوا مسلمين، يقول: وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، حنفاء، لا يهود ولا نصارى، ولا أهل أوثان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ۝٧٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ادخلوا يا أهل التُّقى يا من تخاللتم في الله واجتمعتم في الدنيا على طاعته وعلى طاعة رسوله □، ادخلوا يا هؤلاء الجنة التي أعدها الله لكم أنتم وأمثالكم ونظراؤكم تنعمون فيها بما تريدون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، يطوف على أهل الجنة وأزواجهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون، كما قال تعالى: ﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ۝٢٤﴾ [الطور: ٢٤]، يطوفون حاملي الصحاف من ذهب، في تلك الصحاف ما تشتهيه النفوس وتُسر به الأعين وتستلذ ويقال لهم كي يطمئنوا

وأنتم فيها خالدون: لا تتحولون عنها ولا تزولون، ولا تُبعدون عنها ولا تخرجون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بصحاف من ذهب، وهي جمع للكثير من الصحفة، والصحفة: القصعة.

وقال أيضًا:

ومعنى الكلام: يطاف عليهم فيها بالطعام في صحاف من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، فاستغنى بذكر الصحاف والأكواب من ذكر الطعام والشراب، الذي يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ) يقول تعالى ذكره: لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون، وتلذ أعينكم ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ يقول: وأنتم فيها ماكثون،لا تخرجون منها أبدًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾).

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات.

(لَكُمْ فِيهَا) يقول: لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع (مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾) يقول: من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم.



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾، وبين قوله ﷺ: «لا يدخل أحدكم عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن دخول الجنة أولًا برحمة الله ﷻ، ثم الترقي في الدرجات يتأتى بفضل الله، ثم بالأعمال.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قد قدمنا الكلام على هذه الآية الكريمة، ونحوها من الآيات الدالة على أن العمل سبب لدخول الجنة كقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وبينا أقرب أوجه الجمع بين هذه الآيات الكريمة وما بمعناها، مع قوله ﷺ: «**لن يدخل أحدكم عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١).

وذكرنا في ذلك أن العمل الذي بينت الآيات كونه سبب دخول الجنة هو العمل الذي تقبله الله برحمة منه وفضل، وأن العمل الذي لا يدخل الجنة هو الذي لم يتقبله الله.

والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

---

(١) البخاري (٦٤٦٣)، (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٦)، (٢٨١٧)، (٢٨١٨)، وله عدة طرق وألفاظ صحيحة عن رسول الله ﷺ.



قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ
لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا
نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ
لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ
ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٨٩]

س: وضح معنى ما يلي:

(لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ – مُبْلِسُونَ – لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ – مَّٰكِثُونَ – بِٱلْحَقِّ – أَبْرَمُوٓاْ – مُبْرِمُونَ – وَنَجْوَىٰهُم – وَرُسُلُنَا – سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ – فَذَرْهُمْ – يَخُوضُواْ – يُوعَدُونَ – إِلَٰهٌ – وَتَبَارَكَ – عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ – فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ – وَقِيلِهِۦ – فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ).

ج:

الكلمة	معناها
(لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ)	لا يُخفف عنهم
(مُبْلِسُونَ)	آيسون من رحمة الله - آيسون من زوال عذاب الله
(لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)	ليُمتنا ربك - ليتوفانا ربك - ليقبض أرواحنا
(مَّٰكِثُونَ)	ماكثون في العذاب - لا تموتون
(بِٱلْحَقِّ)	بالقرآن - بالنبي عليه الصلاة والسلام
(أَبْرَمُوٓاْ)	أحكموا أمرًا - رتبوا أمرًا - دبروا أمرًا (يكيدون به أهل الإسلام)
(مُبْرِمُونَ)	محكمون أمورًا - مجمعون أمورًا - مرتبون أمورًا
(وَنَجْوَىٰهُم)	ما يتحدثون به فيما بينهم سرًّا عن سائر الناس
(وَرُسُلُنَا)	ملائكتنا - الكتبة الحفظة
(سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)	تنزه رب السموات والأرض
(فَذَرْهُمْ)	اتركهم - دعهم
(يَخُوضُواْ)	يمضوا فيما هم فيه من الباطل

(يُوعَدُونَ)	يُخبرون بانه آتٍ
(إِلَٰهٌ)	معبود
(وَتَبَارَكَ)	تعاظم - تمجَّد - تكاثر الخير الوارد لعباده منه وازدادت نعماؤه
(عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ)	العلم بوقت قيام الساعة - العلم بيوم القيامة متى هو
(فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)	من أي وجهٍ يُصرفون عن الحق إلى الباطل
(وَقِيلِهِۦ)	قوله وشكواه
(فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ)	فأعرض عنهم



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن الذين ارتكبوا جريمة الكفر بالله والشرك بالله في دنياهم وماتوا على ذلك، مصيرهم يوم القيامة إلى النار - إلى عذاب جهنم لا يتحولون عنه ولا يزولون ولا يخفف عنه ذلك بالعذاب، بل هم آيسون من رحمة ربهم، مستمرون في ما هم فيه من العذاب، ونحن ما ظلمناهم فإن الله ليس بظلام للعبيد، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وبخسوها حقها من الأمان بما اجترموه من الشرك والكفران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ) وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر

بالله، فاجترموا به في الآخرة ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ يقول: هم فيه ماكثون.

لا يفتر عنهم، يقول: لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور: الضعف ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون، والهاء في فيه من ذكر العذاب. ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(وهم فيها مبلسون)** والمعنى: وهم في جهنم مبلسون، والمبلس في هذا الموضع: هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم ﴿وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجحودهم توحيده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر حال السعداء، ثنى بذكر الأشقياء، فقال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي: ساعة واحدة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أي: آيسون من كل خير، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم، فكذبوا وعصوا، فجوزوا بذلك جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ لما ذكر أحوال أهل الجنة ذكر أحوال أهل النار أيضًا ليبين فضل المطيع على العاصي ﴿لَا يُفَتَّرُ

عَنۡهُمۡ) أي: لا يخفف عنهم ذلك العذاب (وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾) أي: آيسون من الرحمة وقيل : ساكتون سكوت يأس وقد مضى في الأنعام (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ) بالعذاب (وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾) أنفسهم بالشرك ويجوز (وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾) بالرفع على الابتداء والخبر والجملة خبر كان.

س: من مالكٌ الذي نادوه بقولهم: (يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ).

ج: مالك هو خازن النار.



س: هل ثبت شيء في أن مالكًا خازن النار ما أجابهم إذا قالوا: (يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ) بقوله: (إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾) إلا بعد ألف سنةٍ؟

ج: لم أقف في ذلك على نصٍّ صحيح عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

ثم إن الأقوال قد اختلفت في وقت إجابته لهم، وكم كان بين قوله: (إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾) وطلبهم، والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن أهل النار من شدة ما هم فيه من العذاب والنكال ينادون مالكًا خازن النار كي يستريحوا مما هم فيه من العذاب، فيقولون: يا مالك اسأل ربك ﷻ أن يُميتنا فيجيبهم مالك بقوله: (إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ) أي: في العذاب لا تموتون، ثم بيَّن سبب ذلك بقوله: (لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ) أي: بالقرآن وبمحمد عليه الصلاة والسلام، (وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ

﴿٧٨﴾) ومكذبون بهذا القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بيناه لكم ووضحناه وفسرناه، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة.



س: ما سبب مكثهم في النار؟

ج: سببه رفضهم للحق كما أوضحته الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾.



س: تلا رسول الله □ هذه الآية: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ في موطنٍ من المواطن. وضحه.

ج: تلاها رسول الله ﷺ على المنبر ففي صحيح (١) البخاري من حديث صفوان بن يعلى عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في شأن مالك عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ج: من ذلك ما يلي:

---

(١) البخاري (٤٨١٩).

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «...ورأيت مالكًا خازن النار»(١) (يعني: «ليلة أسري به»).

وفي مسلم(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ. وفي قصة الإسراء والمعراج -: «**فلما فرغت من الصلاة قال قائل: هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام**».

وعند البخاري(٣) من حديث سمرة بن جندب في الرؤيا المنامية التي رآها رسول الله ﷺ وفيها: «**فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآه كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآةً، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها**....» الحديث وفيه: «**فإنه مالك خازن جهنم**».



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أم أبرم هؤلاء المشركون أمرًا أي: أم دبروا أمرًا يكيدون به الإسلام وأهله، ويكيدون به رسول الله ﷺ، فإنا مدبرون أمورًا نكيدهم بها ونبطل بها سعيهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۝٣٠﴾.

[الأنفال: ٣٠]

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) مسلم (١٧٣).

(٣) البخاري (٧٠٤٧).

يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرًا فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جئناهم به، فإنا محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩﴾ قال مجاهد: أرادوا كيد شرٍّ فكدناهم.

وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠﴾ **[النمل:٥٠]**، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله، ورد وبال ذلك عليهم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ﴾ أي: أبرم المكذبون بالحق المعاندون له ﴿أَمۡرٗا﴾ أي: كادوا كيدا، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، ﴿فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩﴾ أي: محكمون أمرا، ومدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم، وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه اللّه من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ﴾.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ سبب نزول؟

ج: لا أعلم لها سبب نزولٍ صحيح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أفيظن هؤلاء الذين يتآمرون للكيد للإسلام وأهله ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، أفيظن هؤلاء أن الله ﷻ يغفل عن صنيعهم وعن مكرهم وعن كيدهم للإسلام وأهله، كلا، بل الله ﷻ عليم بأمورهم يعلم ما أضمروه في نفوسهم، وما يتسارون به فيما بينهم، وكذا فالله ﷻ له ملائكة موجودون عند هؤلاء الكفار كشهودٍ عليهم يكتبون أعمالهم أولًا بأول كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وكما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، وكما قال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ﴾ يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا.

وقوله: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سرِّ كلامهم، وحفظتنا لديهم - يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

القول الأول: قل يا رسول الله لأهل الشرك ولغيرهم: لو فرض أن الرحمن ﷻ كان له ولدٌ - وهذا مستحيل - لكنت أنا أول العابدين.

وفي العابدين قولان:

أحدهما: العابدون لله، أي: أول العابدين لله على هذا الوصف بأن له ولدًا.

الثاني: العابدون لذلك الولد.

وهذا القول الأول هو اختيار الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال بعد أن أورد عدة أقوال:

فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له.

وإذا وجه الكلام إلى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب، كما قال جلَّ ثناؤه ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ **[سبأ: ٢٤]**.

وقد علم أن الحق معه، وأن مخالفيه في الضلال المبين.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تيسير الكريم الرحمن:

أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدًا، وهو الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد. ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١﴾ لذلك الولد؛ لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقيادًا للأمور المحبوبة لله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدهم له نفيًا، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل،

وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهُم أول الناس سبقًا إليه وتكميلًا له، وكل شرٍّ فهم أول الناس تركًا له وإنكارًا له وبعدًا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد اللّه، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون.

ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين للّه، ومن عبادتي للّه، إثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقًّا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلًا ونقلًا.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك والظهير، والعوين، والولد، وغير ذلك، مما نسبه إليه المشركون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل : المعنى: قل: يا محمد إن ثبت لله ولد فأنا أول مَنْ يعبد ولده ولكن يستحيل أن يكون له ولد وهو كما تقول لمن تناظره: إن ثبت بالدليل فأنا أول من يعتقده وهذه مبالغة في الاستبعاد أي: لا سبيل إلى اعتقاده وهذا ترقيق في الكلام كقوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤]، والمعنى على هذا : فأنا أول العابدين لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك؛ لأني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني

به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا، كما قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

القول الثاني: حاصله أن ﴿إِن﴾ بمعنى (ما) النافية، فيكون المعنى: قيل يا رسول الله لهؤلاء المشركين ولغيرهم من الذين زعموا أن الله ﷻ له ولد ما كان للرحمن من ولد.

ويكون هنا وقف تامٌّ، أي: أن المعنى قد تمَّ، ثم ابتدأ كلامًا آخر بقوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: فأنا أول من وحَّد الله وعبده، أي: في زماني.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ اختلف في معناه فقال ابن عباس (١) والحسن والسدي : المعنى ما كان للرحمن ولد فـ﴿إِن﴾ بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تامًّا، ثم تبتدئ : ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي: الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولد له والوقف على ﴿ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ تام.

القول الثالث:

مبني على تأويل العابدين بـ(الآنفين الممتنعين)، فيكون المعنى: قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول الآنفين الممتنعين عن عبادة شخصٍ له ولد،

---

(١) والسند الذي وقفت عليه عن ابن عباس فيه نظر، ولفظه عند الطبري أيضًا: ولم يكن للرحمن ولدٌ فأنا أول الشاهدين. أخرجه الطبري (٣١٠٠٧)، وفي سنده ضعف، والمنقول عن السدي: لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدًا ولكن لا ولد له. أخرجه الطبري (٣١٠١٢).

ولكن لا ولد لله ﷻ.

هذا، وهنالك أقوالٌ أخر، وأرجح الأقوال فيما أرى -والله أعلم- القول الأول لتمشيه مع ظاهر الآية الكريمة، ثم إن الله سبحانه وتعالى نزَّه نفسه عن ذلك إذ قال بعدها: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم- تنزَّه ربنا رب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفه به الواصفون المشركون الكاذبون والمنكرون الجاحدون -تعالى الله ﷻ عن أن يكون له ولد- وتنزه ربنا رب السموات والأرض رب العرش العظيم عن كل ما لا يليق به، ولا يليق به بحالٍ أن يكون له ولد.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره تبرئةً وتنزيهًا لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: تعالى وتقدس

وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فدعهم يا رسول الله في خوضهم وقولهم الباطل بغير علم يخوضون، ويلعبون في دنياهم فسوف يأتي يوم لا محالة يلقون فيه ربهم ﷻ، يسألهم سبحانه عما تقوَّلوه وافتروه، ويسألهم عن خوضهم الذي خاضوه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله، الواصفيه بأن له ولدًا يخوضون في باطلهم، ويلعبون في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ﴾ أي: في جهلهم وضلالهم ﴿وَيَلْعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وهو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ﴾ يعني: كفار مكة حين كذبوا بعذاب الآخرة أي: اتركهم يخوضون في باطلهم ويلعبون في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ إما العذاب في الدنيا أو في الآخرة وقيل : إن هذا

منسوخ بآية السيف وقيل : هو محكم وإنما أخرج مخرج التهديد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وهو الذي في السماء معبودٌ وكذا فهو معبودٌ يعبدونه أهل الأرض كما أن أهل السماء يعبدونه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئًا غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ **[الأنعام: ٣]** أي: هو المدعو الله في السموات والأرض.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: هو المستحق للعبادة في السماء والأرض.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ يخبر تعالى، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات كلهم، والمؤمنون من أهل الأرض، يعبدونه، ويعظمونه، ويخضعون لجلاله، ويفتقرون لكماله.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الرعد: ١٥].

فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام :٣] أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فإنه فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله، ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئًا إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾ بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وتعاظم وتعالى وتمجد، وكثر الخير الوارد منه إلى خلقه وازدادت نعماؤه فهو الذي له ملك السموات والأرض، يتصرف فيهما كيف يشاء ليس له فيهما من شريك، وهو الذي يعلم متى تقوم الساعة، فعلم يوم القيامة موكول إليه، لا يعلمه أحدٌ سواه وإليه

ترجعون يا بني آدم فتبعثون وتخرجون من قبوركم ويحاسبكم على ما قدمتم فيجازي المحسن بإحسانه ويجازي العامل بعمله إلا أن يتغمد برحمته من يشاء ويعفو عن من يشاء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره، وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على جميع ذلك حكمه، ماض فيهم قضاؤه. يقول: فكيف يكون له شريك من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ. ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخَلْق من قبورهم لموقف الحساب.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يقول: وإليه أيها الناس تردون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، وتبارك: أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص؛ لأنه الرب العلي العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزمة الأمور نقضًا وإبرامًا، ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: لا يجليها لوقتها إلا هو، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم المنان»:

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تبارك بمعنى: تعالى وتعاظم،

وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعَظُم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥﴾ أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولا تملك هذه الأصنام والأوثان التي تُعبد من دون الله ﷻ الشفاعة لأحد، وكذا لا يملك هذه الشفاعة أحدٌ من الخلق كائنًا ما كان إلا إذا أذن الله له بذلك، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]**، وكما قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ **[الأنبياء: ٢٨]**، وكما قال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ **[النجم: ٢٦]**.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ معناه، والله أعلم، لكم من شهد ألا إله إلا الله وأيقن قلبه بذلك، قد يشفعه الله ﷻ فيمن يشاء الله سبحانه وتعالى، كذا شهد أن محمدًا رسول الله، ويدخل في هؤلاء عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام.

فهؤلاء شهدوا لله ﷻ بالوحدانية وأيقنوا بها وتيقنوا منها، وهؤلاء يشفعون بإذن الله وفيمن ارتضاه الله ﷻ.

(٣٤٣) أحمر أسود

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثـم قـال تعـالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي: مـن الأصـنام والأوثان ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: لا يقدرون على الشفاعة لهم، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له.

قال السعدى رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن تمام ملكه وسعته، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئًا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي: كـل مـن دعـي مـن دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: نطق بلسانه، مقرًّا بقلبه، عالمًا بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهي الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاؤوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عقاب الله، الحائزون لثوابه.



س: وضح معنى قولـه تعـالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، ولئن سألت هؤلاء المشركين من الذي خلقهم فسيكون جوابهم الله الذي خلقنا.

فمن أي وجهٍ إذن يُصرفون عن عبادته - وقد خلقهم - إلى عبادة غيره.

أي: تقرون بأن الله خالقكم، ثم تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئًا ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولن: الله خلقنا.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ فأي وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحق في عبادته.



س: في قوله تعالى: (وَقِيلِهِۦ) قراءتان. وضحهما.

ج: القراءتان هما: (**وقِيلَهُ**) بفتح اللام.

والثانية: (وَقِيلِهِۦ) بكسر اللام.

حكاهما الطبري وغيره. وسيأتي مزيدٌ من القول في ذلك إن شاء الله.

س: وضح معنى قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾. ومن القائل: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾؟

ج: أما القائل فهو رسول الله ﷺ. قال قتادة - كما صح ذلك عنه عند الطبري وغيره - هذا قول نبيكم عليه الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربِّه.

أما عن معنى الآية الكريمة: فعلى قراءة من قرأ بالفتح (**وقِيلَهُ**) فالمعنى: أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرهم ونجواهم، ويحسبون أنا لا نسمع قولَ رسولنا وشكوى رسولنا التي شكا إلى ربه قائلًا: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، فكأن الآية تحمل معنى المواساة، مواساة لرسول الله ﷺ حاصلها: لا تجزع يا رسول الله، فإنا نسمع شكواك التي اشتكيت وإنا منتصرون لك.

وكذا تحمل تهديدًا لأهل الشرك بما حاصله: أن الله ﷻ سمع شكوى نبيه منكم وسيعاقبكم ربكم سبحانه وتعالى، والله أعلم.

هذا، ووجه من قرأ بالكسر ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ فحاصل المعنى، وتبارك الذي عنده علم الساعة، وكذا عنده العلم بقيله أي: عنده العلم بقول رسوله ﷺ إذ قال، وشكواه إذ اشتكى قائلًا: يا رب إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة: (**وقِيلَهُ**) بالنصب. وإذا قرئ كذلك ذلك، كان له وجهان في التأويل: أحدهما العطف على قوله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾ ونسمع قيله يا رب. والثاني:

أن يضمر له ناصب، فيكون معناه حينئذٍ: وقال قوله: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ وشكا محمد شكواه إلى ربه. وقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالخفض على معنى: وعنده علم الساعة، وعلم قيله.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قيله شاكيًا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه، وما يلقى منهم: يا ربّ إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ أي: وقال: محمد: قيله، أي: شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: يا ربّ! إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فأعرض يا رسول الله عن هؤلاء المشركين ولا تقابلهم بسفاهتهم وجهالتهم بل قل: سلام عليكم، كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [القصص: ٥٥].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ صدق ما أخبرتهم به.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الأمر بالصفح عنهم منسوخ بآية السيف، وقد تقدم الخلاف في مثل ذلك في مواطن عديدة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: المشركين، ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٌۚ﴾ أي: لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلًا وقولًا ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾، هذا تهديد منه تعالى لهم؛ ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وهذه الآية الكريمة تضمنت ثلاثة أمور:

الأول: أمره ﷺ بالصفح عن الكفار.

والثاني: أن يقول لهم: سلام.

والثالث: تهديد الكفار بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر وصحة ما يوعد به الكافر من عذاب النار.

وهذه الأمور الثلاثة جاءت موضحة في غير هذا الموضع:

كقوله تعالى في الأول: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ **[الحجر: ٨٥]**، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ **[الأحزاب:٤٨]**.

والصفح الإعراض عن المؤاخذة بالذنب.

قال بعضهم: وهو أبلغ من العفو.

قالوا: لأن الصفح أصله مشتق من صفحة العنق، فكأنه يولي المذنب

بصفحة عنقه معرضًا عن عتابه فما فوقه.

وأما الأمر الثاني، فقد بين تعالى أنه هو شأن عباده الطيبين.

ومعلوم أنه □ سيدهم كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ **[الفرقان:٦٣]**، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ **[القصص:٥٥]**، وقال عن إبراهيم إنه قال له أبوه: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾﴾ **[مريم: ٤٦]**، قال له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ **[مريم:٤٧]**.

ومعنى السلام في الآيات المذكورة، إخبارهم بسلامة الكفار من أذاهم، ومن مجازاتهم لهم بالسوء، أي سلمتم منا لا نسافهكم، ولا نعاملكم بمثل ما تعاملوننا.

وأما الأمر الثالث الذي هو تهديد الكفار بأنهم سيعلمون الحقيقة قد جاء موضحا في آيات كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾ **[ص:٨٨]**، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ **[الأنعام:٦٧]**، وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ **[النبأ:٤-٥]**، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ **[التكاثر:٣-٤]**، وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ **[التكاثر:٦-٧]**، إلى غير ذلك من الآيات وكثير من أهل العلم يقول: إن قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ وما في معناه منسوخ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ.

والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال، والصفح عن الجهلة، والإعراض عنهم، وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله تعالى.



سورة الدخان

قال الله تعالى:

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا
كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا
مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦ رَبِّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ
يَلۡعَبُونَ ٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى
ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢
أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ
١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ
ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦) [الدخان: ١-١٦]

س: وضح معنى ما يلي:

(مُّبَـٰرَكَةٍ -مُنذِرِينَ -يُفۡرَقُ -حَكِيمٍ -مُّوقِنِينَ -شَكٍّ - فَٱرۡتَقِبۡ - يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ - ٱكۡشِفۡ عَنَّا - أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ -تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ -مُعَلَّمٌ -كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ).

ج:

الكلمة	معناها
(مُّبَـٰرَكَةٍ)	كثيرٌ خيرها - خيرها متواصل وكثير
(مُنذِرِينَ)	مخوِّفين - مُحذِّرين - مُعلمين الناس ما ينفعهم وما يضرهم
(يُفۡرَقُ)	يُفصل (أي من اللوح المحفوظ للملائكة الكتبة)
(حَكِيمٍ)	مُحكم - ذو شأن
(مُّوقِنِينَ)	مُتحققين - متأكدين - مصدقين بقلوبكم - مُصدقين - مُتيقنين
(شَكٍّ)	ريب - تكذيب - عدم تصديق - عدم يقين
(فَٱرۡتَقِبۡ)	فانتظر
(يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ)	يَعمُّ الناس - ينزل عليهم
(ٱكۡشِفۡ عَنَّا)	اصرف عنا - أذهب عنا
(أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ)	من أي وجه يتعظون - كيف يعتبرون والذكرى الاتعاظ
(تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ)	أعرضوا عنه
(مُعَلَّمٌ)	علّمه آخرون
(كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ)	كاشفوا الضر - رافعوا البلاء



س: هل ورد حديث صحيح في فضل سورة الدخان؟

ج: لا أعلم حديثًا صحيحًا في فضل سورة الدخان. والله أعلم.



س: ما المراد بالكتاب المبين؟

ج: هو القرآن الكريم الموضح للحلال والحرام المُظهر لكل شيءٍ يريده الله من العباد. والله أعلم.



س: ما المراد بهذه الليلة المباركة؟

ج: هي ليلة القدر، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١]، ولقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا قول جماهير العلماء، وإن كان من العلماء من ذهب إلى أنها ليلة النصف من شعبان لكن لا يثبت بذلك - فيما علمت - خبرٌ عن النبي □.



س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾.

ج: معنى ﴿يُفۡرَقُ﴾: يُفصل، والأمر الحكيم: الأمر الذي أحكمه الله ﷻ وقدر حصوله ووقوعه.

أما عن المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أي: أنه في هذه الليلة المباركة ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكتبة ما يكون من الأمر في هذه السنة، فالمقدَّر الذي قدَّره الله ﷻ أن يكون في هذه

السنة يُخبر به الله ﷻ ملائكته. وذلك كالإخبار بمن يموت هذه السنة ومن يُعزّ ومن يُذل، ومن يمرض ومن يُعافى ومن يتزوج ومن يُطلّق ومن يحج ومن يسافر، ومن يُبتلى ومن يسلمه الله ويحفظه، ومن يرزق ويربح، ومن يحرم الرزق ويخسر، ومن يؤمن ومن يكفر، ومن يبقى على السلامة ومن يرتد.. إلى غير ذلك من الأمور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والهاء في قوله: ﴿فِيهَا﴾ من ذكر الليلة المباركة.

وعني بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان: ١-٢] يعني: المحكم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان»:

معنى قوله: ﴿يُفْرَقُ﴾، أي يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة، التي هي ليلة القدر، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾، أي ذي حكمة بالغة؛ لأن كل ما يفعله الله، مشتمل على أنواع الحكم الباهرة.

وقال بعضهم: ﴿حَكِيمٍ ۝٤﴾، أي محكم، ولا تغيير فيه، ولا تبديل.

وكلا الأمرين حق؛ لأن ما سبق في علم الله، لا يتغير ولا يتبدل، ولأن جميع أفعاله في غاية الحكمة.

وهي في الاصطلاح وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها.

وإيضاح معنى الآية أن الله تبارك وتعالى في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم، بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة إلى ليلة القدر من السنة الجديدة.

فتبين في ذلك الآجال والأرزاق والفقر والغنى، والخصب والجدب والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائنًا ما كان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

ج: هنا وجوه ذكرها أهل العلم:

أحدها: أن قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ فيكون المعنى: إنا أنزلنا عليك القرآن يا رسول الله رحمة من ربك ﷻ بك وبعباده.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ والمعنى: إنا كنا مرسلين رسلًا رحمة من ربك ﷻ بك وبعباده.

أو إنا كنا مرسلين رسولنا محمدًا ﷺ رحمة بالعباد كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ **[الأنبياء: ١٠٧]**.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كنا مرسلي رسولنا محمد ﷺ إلى عبادنا رحمة من ربك يا محمد ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ يقول: إن الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا، وأرسلنا من رسلنا إليهم، وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم، العليم بما تنطوي عليه ضمائرهم، وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ أي: جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ أي: إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه؛ ولهذا قال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾.

الوجه الثالث: أن قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ متعلق بالذي قضاه الله وقدره في تلك الليلة المباركة والله أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قومًا عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الأخروي؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣

فِيهَا) أي: في تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن ﴿يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾ أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به، وهذه الكتابة والفرقان، الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد خروجه إلى الدنيا وكل به كراما كاتبين يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه.

﴿أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾ أي: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥﴾ للرسل ومنزلين للكتب والرسل تبلغ أوامر المرسل وتخبر بأقداره.



س: وضح معنى قوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الذي أنزل القرآن في هذه الليلة المباركة والذي قدَّر المقادير وقضى الأمور هو رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم بذلك مصدقين متحققين، أي: هو خالق السموات والأرض ومالكها وما بينهما والمتصرف فيهما وفيما بينهما.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويعني بقوله: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ يقول تعالى ذكره الذي

أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها.

وقولـه: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ يقول: إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمدًا ﷺ رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء. ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ أي: عالمين بذلك علمًا مفيدًا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق؛ ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود إلا وجهه، ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزيكم بعملكم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم؛ الدافع عنهم النقم.



س: وضح معنى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾.



ج: المعنى، والله أعلم، أن مُنزل القرآن هو رب السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما، وهو الذي يُعبد وحده ولا يُعبد أحدٌ سواه، وهو الذي يحيي ويميت وهو مالككم ومربيكم بنعمه، وكذا مالك آبائكم

الأولين، فهم له عبيد يقضي فيهم وفيكم بما يشاء. والأولون هنا هم الذين مضوا وسلفوا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والأرض وما بينهما، فلا تعبدوا غيره، فإنه لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، يحيي ويميت، يقول: هو الذي يحيي ما يشاء، ويميت ما يشاء مما كان حيًّا.

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ يقول: هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين، يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الرب فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ أي: إن كنتم متحققين.

ثم قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ الآية **[الأعراف: ١٥٨]**.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾.

ج: قيل فيه ما يلي:

الأول: بل هؤلاء المشركون متشككون في القرآن، ويخوضون في الحديث عنه بالباطل.

الثاني: في شكٍّ من بعثة النبي ﷺ ورسالته ويخوضون في عرضه ساخرين مستهزئين.

الثالث: في شكٍّ بأن الله خالقهم، وإنما أقروا بالذي أقروا به تقليدًا للآباء والأجداد.

وثم أقوال آخر:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون، أي: قد جاءهم الحق اليقين، وهم يشكون فيه ويمترون، ولا يصدقون به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ أي ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الإيمان والإقرار في قولهم إن الله خالقهم وإنما يقولونه لتقليد آبائهم من غير علم فهم في شك وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة، وقيل : ﴿يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ يضيفون إلى النبي ﷺ الافتراء استهزاء ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب وهو

كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته.



س: ما المراد بالدخان في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾؟

ج: لأهل العلم قولان مشهوران في هذا، وإن كانت هناك أقوال أُخر مهجورة.

أما القول الأول: فهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وحاصله أن هذا الدخان قد مضى، وكان هذا زمن النبي ﷺ فلما استعصت عليه قريشٌ وتمردوا عليه وآذوه دعا عليهم بسنوات شدة كالتي مرَّت بالناس زمن نبي الله يوسف عليه السلام فحدث قحطٌ شديد وجوعٌ شديد وقد شق عليهم ما هم فيه حتى إن أحدهم - من شدة الجوع - كان ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من ضعف البصر وشدة الجوع، فأتوا النبي ﷺ كي يدعو لهم فدعا لهم فكشف الله سبحانه ما بهم.

فعليه فالدخان هنا هو الدخان الذي رآه المشركون من شدة الجوع وكان ذلك زمن النبي ﷺ.

وقد ورد في هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم(١) من طريق مسروق قال: دخلت على عبد الله فقال إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم ، إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص: ٨٦] إن قريشًا لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه قال «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**». فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من

---

(١) البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٨٩)، واللفظ له.

الجهد ، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع . قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ فقيل له إن كشفنا عنهم عادوا . فدعا ربه فكشف عنهم ، فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدر ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ إلى قوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضًا عن مسروقٍ قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ قال فأتى رسول الله □ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت ، قال: «**لمضر إنك لجرىء**»، فاستسقى لهم فسقوا . فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ قال: يعني يوم بدر .

والقول الثاني: أن الدخان دخان يأتي قبل يوم القيامة وكشرط من أشراط الساعة وعلامة من علاماتها، وقد وردت بذلك عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ، منها حديث حذيفة بن أسيد[(١)] الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال:

(١) مسلم (حديث ٢٩٠١).

«إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي بعض الروايات عند مسلم: **«وإن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن تزحل الناس»**(١).

وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لمَ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت.

قلت (مصطفى): ولا مانع من أن يكون دخانٌ قد حدث زمن النبي ﷺ على ما ورد في رواية ابن مسعود، وأيضًا يأتي دخان آخر كشرط من أشراط الساعة وعلامة من علاماتها بين يدي يوم القيامة.

وإلى هذا جنح الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان

---

(١) مسلم في طرق حديث (٢٩٠١).

مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذٍ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان.

وذكر من قالوا بذلك.

ثم قال:

وقال آخرون: الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام، قالوا: ولم يأت بعد، وهو آتٍ.

وذكر من قالوا بذلك أيضًا، ثم قال مختارًا قول ابن مسعود ومبينًا حجته في ذلك:

وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية؛ لأن الله جلَّ ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩﴾ ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ أمرًا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدًا للمشركين، فهو بأن يكون إذ كان وعيدًا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلًا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانًا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح.

أما الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ذهب إلى أن المراد بالدخان الدخان الذي يكون بين يدي الساعة وشرط من أشراطها (أي: علامة من علاماتها)، وجنح إلى قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن.

قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ أي: بين واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. وهكذا قوله: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾ أي: يتغشاهم ويَعُمهم، ولو كان أمرا خياليًّا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب، وآن أوانه ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي

ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ ﴾ أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾.

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضًا أنه قال في هذه الآية: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾﴾ وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «**اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف**» فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون - على هذا - قوله: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ﴾ أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله □ وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إِنَّا

كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إخبار بأن الله سيصرفه عنهم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوقع وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر.

وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ أن هذا كله يوم القيامة.

وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك.

بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: هذا فيه وجهان من وجوه التأويل بُنيا على تفسير الدخان ـ على ما سبق بيانه ـ فالذين ذهبوا إلى أن الدخان قد مضى في زمن رسول الله ﷺ

لهم تأويل حاصله أن هذا الدخان قد غشى الناس وعمهم بسبب الجوع الذي حلَّ بهم بدعاء النبي ﷺ عليهم، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢﴾، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ كي يدعو لهم فدعا لهم رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي من أي وجهٍ يأتيهم الاتعاظ وقد جاءهم الرسول المبين فأعرضوا عنه ووصفوه بأنه مجنون قد تعلَّم هذا القرآن من غيره، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ﴾ أي: سنرفع عنهم العذاب قليلًا ونرزقهم ونكشف عنهم الضرَّ، وأخبر تعالى أنهم أيضًا سيعودون إلى ضلالهم وكفرهم وتكذيبهم، وسيعود عليكم العذاب ثانية ويتكرر يوم نبطش بكم البطشة الكبرى، وذلك يوم بدر، فهذه وجهة العلماء القائلين بأن الدخان هو الذي حلَّ بالمشركين يوم بدر، وقد صاغه الطبري بقوله:

وإن كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا، فإذا كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين، فبين أن معناه: فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان. ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾: يقول: يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم. ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجع، وترك من الكلام «يقولون» استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها.

وقوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك، كما أخبر عنهم

جلَّ ثناؤه ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

ثم قال في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم، وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه، لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا، ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا، ويقولون: إنما هو مجنون عُلِّم هذا الكلام.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحالِّ بهم من الجهد، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني الضر النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم ﴿قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ يقول: إنكم أيها المشركون إذا كشفت عنكم ما بكم من ضر لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان، ولكنكم تعودون في ضلالتكم وغيكم، وما كنتم قبل أن يكشف عنكم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضر الحالّ بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدَكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلًا بالسيف.

وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر.

وأورد القول الآخر وحاصله أن البطشة الكبرى يوم القيامة.

أما العلماء القائلون بأن الدخان هو ما يكون بين يدي الساعة كالحافظ ابن كثير وغيره.

فقد فسَّر الحافظ ابن كثير الآيات على الوجه الذي اختاره، فقال:

وقوله: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾ [الطور: ١٣، ١٤]، أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وقوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ أي: يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ [الأنعام: ٢٧]. وكذا قوله: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤﴾

[إبراهيم: ٤٤]، وهكذا قال هاهنا: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾.

يقول: كيف لهم بالتذكر، وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والنذارة، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه، بل كذبوه وقالوا: معلم مجنون. وهذا كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٥١-٥٤].

وقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه يقوله تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المؤمنون: ٧٥]، وكقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] .

والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلًا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨]، ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضًا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخبارًا عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى

مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ)
[الأعراف: ٨٨، ٨٩]، وشعيب لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم.

وقال قتادة: (إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾) إلى عذاب الله.



س: ما المراد بالبطشة الكبرى؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان سبقت الإشارة إليهما:

أحدهما: أن ذلك يوم بدر يوم أن بُطش بأهل الشرك فقُتل منهم من قُتل وأسر منهم من أسر.

والقول الثاني: أن البطشة الكبرى يوم القيامة.

وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس قال: قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشةٍ أيضًا.



س: هل يجوز الدعاء للمشركين بكشف العذاب عنهم؟ وهل يُدعى لهم عمومًا؟

ج: إذا كان في ذلك مصلحةٌ لأهل الإسلام جاز ذلك -والله أعلم.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **له:** (يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾) [الزخرف: ٤٩-٥٠].

ففيه دليل على أنه دعا لهم.

وكذا دعاء الرسول ﷺ لكشف البلاء عن أهل مكة لما حلَّ بهم من جراء دعوته عليهم ما حلَّ ورأوا الدخان من شدة الجوع، على ما أوردته في قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾.

هذا، ويجوز الدعاء لهم بالهداية أيضًا.

قال ﷺ لما قيل له: إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: «**اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم**»(١).

وكذا دعاء النبي ﷺ لأم أبي هريرة، وكانت مشركة: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**»(٢).

ولكن لا يجوز الدعاء لهم بالمغفرة، قال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾) [التوبة: ١١٣-١١٤].

وقال ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي**»(٣).



---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٩٦)، ومسلم (مع النووي ١٦/٧٧).

(٢) مسلم (١٦/٥١ مع النووي).

(٣) مسلم مع النووي (٧/٤٥).

س: من أقبل على طاعة الله يسر الله لـه سبلها، ومن أعرض عن الطاعة وكذب وتولى لن تنفعه الذكرى، ولن تجدي معه الموعظة. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك في هذا المقام، قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾، فلما أعرضوا عن رسول الله ووصفوه بأنه معلم مجنون استبعدت هدايتهم واستبعدت جدوى الموعظة فيهم.

وفي التنزيل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وكذا في التنزيل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠].

وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج البخاري ومسلم[(١)] من طريق مسروق قال: قال عبد الله إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا

(١) البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨).

العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾ قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت . قال: «**لمضر إنك لجرىء**» . فاستسقى فسقوا، فنزلت ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية . فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ قال: يعني يوم بدر.



قال الله تعالى:

(﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ
أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي
فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا
إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ
﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ
﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى
عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ
﴿٣٣﴾) [الدخان: ١٧-٣٣]

س: وضح معنى ما يلي:

(فَتَنَّا –أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ –لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ –بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ –عُذۡتُ –تَرۡجُمُونِ –فَٱعۡتَزِلُونِ –فَأَسۡرِ بِعِبَادِي –مُّتَّبَعُونَ –رَهۡوًاۖ –جَنَّٰتٖ –وَعُيُونٖ –وَمَقَامٖ كَرِيمٖ –فَٰكِهِينَ –مُنظَرِينَ –ٱلۡمُهِينِ –ٱلۡمُسۡرِفِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَتَنَّا)	ابتلينا - اختبرنا
(أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ)	ادفعوا إليَّ بني إسرائيل
(لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ)	لا تستكبروا عن طاعته وعبادته - لا تفتروا على الله
(بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ)	بحجة واضحة بيِّنة تدل على صدقي ورسالتي
(عُذۡتُ)	التجأت واستنجدت واستجرت
(تَرۡجُمُونِ)	ترجموني بالحجارة - تقذفوني وتشتموني وتصفونني بما ليس فيَّ
(فَٱعۡتَزِلُونِ)	لا تتعرضوا لي بأذى ولا مكروه
(فَأَسۡرِ بِعِبَادِي)	فاخرج بهم ليلًا (اخرج ببني إسرائيل) ليلًا
(مُّتَّبَعُونَ)	سيتبعكم عدوكم
(رَهۡوًاۖ)	ساكنًا - سهلًا - على حالته وهيئته
(جَنَّٰتٖ)	حدائق وبساتين
(وَعُيُونٖ)	منابع للماء
(وَمَقَامٖ كَرِيمٖ)	مقامات الملوك والأمراء، والمنابر - وصدور المجالس - المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة

﴿فَٰكِهِينَ﴾	مُنعمين - متفكهين - ناعمين
﴿مُنظَرِينَ﴾	مُمهلين - مؤخرين عن العقوبة
﴿ٱلْمُهِينِ﴾	المُذل المُخزي
﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	المتجاوزين للحد في العصيان



س: وضح معنى قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد ابتلينا واختبرنا قبل مشركي قريش قوم فرعون وجاءهم رسول كريم من عندنا وهو نبي الله موسى عليه السلام، فقال لهم: ادفعوا إليَّ بني إسرائيل الذين هم عشيرتي وقبيلتي الذين يعبدون الله عز وجل، ادفعوهم إلينا يا آل فرعون وخلوا بيني وبينهم حتى أنصرف بهم وأترك لكم بلادكم كما في الآية الأخرى: (﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾) [الشعراء: ١٧]، فالمراد بـ(﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾) بنو إسرائيل، ثم قال لهم موسى عليه السلام: (﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨﴾) رسول من عند الله أمينٌ فيما أنقله لكم عن الله عز وجل.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: (﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾) يعني تعالى ذكره: ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط (﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧﴾) يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه.

وقال أيضًا:

وقولـه: ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ يقـول تعـالى ذكـره: وجـاء قـوم فرعـون رسـول مـن الله كـريم عليـه بـأن ادفعـوا إلـي، ومعنـى﴿أَدُّوٓاْ﴾: ادفعـوا إلـي فأرسـلوا معـي واتبعـون، وهـو نحـو قولـه: ﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧﴾ **[الشعراء: ١٧]**، فـ﴿أَنۡ﴾ فـي قولـه: ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ نصـب، وعبـاد الله نصـب بقوله: ﴿أَدُّوٓاْ﴾ وقد تأوله قوم: أن أدوا إلـي يـا عبـاد الله، فعلـى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وهم قبط مصر، ﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ١٧﴾ يعني: موسى كليمه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾، كقولـه: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ **[طه: ٤٧]** .

وقوله: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾ أي: مأمون على ما أبلغكموه.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وكان مما جاءهم به موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ طلبه منهم ألا يتعالوا على الله ولا يستكبروا عن طاعته وعبادته، فهذا قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾، أما قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩﴾، أي: قد جئـتكم بحجـة قاطعـة تشهد أني رسول من عند الله جَلَّ جَلَالُهُ، وهي الآيـات التـي أيَّـد الله بهـا موسـى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كالعصا التي تتحول إلى حية تسعى واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء...

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وجـاءهم رسـول كـريم، أن أدوا إلـي عبـاد الله، وبـأن

لا تعلوا على الله.

وعني بقوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم، فتكفروا به وتعصوه، فتخالفوا أمره ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٩﴾ يقول: إني آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا تستكبروا عن اتباع آياته، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠] .

﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٩﴾ أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعات.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بالاستكبار عن عبادته والعلو على عباد الله، ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝١٩﴾ أي: بحجة بينة ظاهرة وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات والأدلة القاهرات.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: وإني استنجدت بربي خالقي وخالقكم ولجأت إليه مستجيرًا به كي لا ترجموني

بالحجارة، وكي لا ترجموني قذفًا وسبابًا وشتمًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ قال ابن عباس، وأبو صالح: هو الرجم باللسان وهو الشتم.

وقال قتادة: الرجم بالحجارة.

أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم أن تصلوا إليَّ بسوء من قول أو فعل.

وذكر معانٍ أُخر للرجم منها الرجم بالحجارة، ومنها القتل.

وقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلَّ عليه ظاهر الكلام، وهو أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولًا باللسان، وفعلًا باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه، شتمًا كان ذلك باللسان، أو رجمًا بالحجارة باليد.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وإن لم تصدقوني بأني رسول من عند الله عَزَّوَجَلَّ فلا تؤذونني وتتعرضوا لي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾، أي: فلا تتعرضوا لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نبيه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون وقومه: وإن أنتم أيها القوم لم تصدقوني على ما جئتكم به من عند ربي، فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١﴾ أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لا علي ولا لي، فاكفوني شركم. فلم تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل.



س: وضح معنى قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما قال لقومه أدُّوا إلي عباد الله، وقال لهم: ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾، وقال لهم: ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١﴾، رفضوا كل هذا، وعاندوا غاية العناد وتمادوا غاية التمادي في الغيِّ والضلال والتكذيب والأذى، فدعا عليهم قائلًا: رب إن هؤلاء قوم مجرمون، مجترمون للآثام والجنايات فضلًا عن الكفر والتكذيب والتعالي على الله عَزَّ وَجَلَّ، فأوحى الله إليه أن أسر بعبادي ليلًا، أي: اخرج أنت ومن معك من بني إسرائيل من بلاد

مصر ـ ليلًا فإن فرعون وجنده يعدون العدة لكم وسيتبعونكم لقتلكم ولتشريدكم، فإذا وصلت أنت ومن معك إلى البحر فاضربه بعصاك فسينفلق ويكون بعده طريق فاسلكه وامش فيه، فإذا جاوزته فاتركه ساكنًا على الحالة التي دخلت عليه فيها، فإن الله ﷻ سيغرق فرعون وجنده.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]. وهكذا قال هاهنا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه؛ ولهذا قال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: ٧٧].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه إذ كذبوه ولم يؤمنوا به، ولم يؤد إليه عباد الله، وهموا بقتله بأن هؤلاء -يعني فرعون- وقومه ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يعني: أنهم مشركون بالله كافرون.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأجابه ربه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي، وهم بنو إسرائيل، وإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صدقوك وآمنوا بك،

واتبعوك دون الذين كذبوك منهم، وأبوا قبول ما جئتهم به من النصيحة منك، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذٍ بني إسرائيل. وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ لأن معنى ذلك: سر بهم بليل قبل الصباح.

وقوله: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم في آثاركم.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، فإذا جاوزت يا نبي الله أنت ومن معك البحر فاتركه على حالته حين مررتم عليه يابسًا فإن فرعون ومن معه قد حكم الله عليهم بالغرق وقضى به عليهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾ يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذ كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرى موسى بعبادي ليلا وقطع بهم البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد رد البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: اتركه رهوًا.

وأورد بإسناد يصح عن قتادة قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال: لما خرج آخر بني إسرائيل أراد نبي الله ﷺ أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه هاهنـا: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾ وذلـك أن موسـى، عليه السلام، لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم. فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنًا، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشى.

قال ابن عباس: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ كهيئته وامضِهْ. وقال مجاهد: ﴿رَهۡوًاۖ﴾ طريقًا يبسًا كهيئته، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يرجع آخرهم.



س: وضح معنى قولـه تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، كم خلَّف هؤلاء الأقوام الذين أغرقهم الله عز وجل، وهم فرعون وقومه - كم خلَّفوا بعدهم من حدائق وبساتين، وعيون تتفجر منها الأنهار، وكذا كم تركوا من الزروع والثمار وكريم المنازل والمجالس، ونعمٍ عظيمة كانوا منعمين فيها، فهكذا أنعمنا عليهم، وهكذا أورثناها قومًا بعدهم وهم بنو إسرائيل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، وهي الجنات، وعيون، يعني: ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم وزروع قائمة في مزارعهم ﴿وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦﴾ يقول: وموضع كانوا يقومونه شريف كريم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم، فقال

بعضهم: وصفه بذلك لشرفه، وذلك أنه مقام الملوك والأمراء، قالوا: وإنما أريد به المنابر.

وقال: وقال آخرون: وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته.

وقال: وقوله ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين.

وقوله: (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨) يقول تعالى ذكره: هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرت لكم أمرهم، الذين كذبوا رسولنا موسى ﷺ.

وقوله: (وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨) يقول تعالى ذكره: وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قومًا آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عني بالقوم الآخرين بنو إسرائيل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) وهي البساتين (وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ) والمراد بها الأنهار والآبار، (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦) وهي المساكن الكريمة الأنيقة والأماكن الحسنة.

وقال: (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧) أي: عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: ٥٩]، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ

كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال هاهنا: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ وهم بنو إسرائيل، كما تقدم.



س: في الآيات بيانٌ لأصل من أصول التفسير. وضحه.

ج: الأصل هو تفسير القرآن بالقرآن.

وإيضاحه: أن الله قال: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾، وقال في آية أُخرى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩]، فالقوم الآخرون هم بنو إسرائيل.



س: هل تبكي السماء والأرض على أحدٍ؟

ج: نعم تبكي بدليل المفهوم المخالف من قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، وقد أخرج الطبري بسند صحيح إلى سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه؛ وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم

خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: إنما قيل: (فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ) لأن المؤمن إذا مات، بكت عليه السماء والارض أربعين صباحًا، ولم تبكيا على فرعون وقومه؛ لأنه لم يكن لهم عمل يصعد إلى الله صالح فتبكي عليهم السماء، ولا مسجد في الأرض فتبكي عليهم الأرض.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثرًا أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال، وقد سأله رجل هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إنه ليس عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء. وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض، ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾.



س: هل من علامة يُعرف بها أن السموات قد بكت على شخص أو لم تبك؟

ج: ليست هناك علامة ظاهرة على ذلك، وقد ذكر بعض العلماء أن بكاء السماء هو احمرارها وليس على ذلك دليل.

وأحب أن أورد هنا قول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد قال:

وذكروا أيضًا في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عَبِيط، وأنه كسفت الشمس، واحمر الأفق، وسقطت حجارة. وفي كل

ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف الشيعة وكذبهم، ليعظموا الأمر -ولا شك أنه عظيم-ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من -قتل الحسين رضي الله عنه -ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصورًا مظلومًا، ولم يكن شيء من ذلك. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك. وهذا رسول الله □ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي □ خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم، فصلى بهم رسول الله □ صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن الله سبحانه وتعالى يُظهر فضله الذي تفضَّل به على بني إسرائيل بإنجائهم من العذاب المُذل المخزي الذي كان يمارسه معهم فرعون وقومه، فقد كان يذبح الأبناء ويستحيي النساء، ولقد كان متجاوزًا للحد في الظلم والطغيان.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ يقول تعالى ذكره:

(١) البخاري (١٠٤٣)، ومسلم (٩١٥).

ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون، فقوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ مكررة على قوله: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠﴾ مبدلة من الأولى. ويعني بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ إنه كان جبارًا مستعليًا مستكبرًا على ربه، ﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ يعني: من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جلَّ ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره، واستكبار على ربه جلَّ ثناؤه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة.

وقوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ أي: مستكبرًا جبارًا عنيدًا، وكقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

وقوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦﴾ [المؤمنون: ٤٦]، سرفًا في أمره، سخيف الرأي على نفسه.



س: هل بنو إسرائيل فضلوا على أمة محمد ﷺ؟

ج: لا، بل أمة محمد ﷺ أفضل لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. [آل عمران: ١١٠]



س: إذن كيف يوجَّه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢﴾؟

ج: المراد، والله أعلم، على العالمين في زمانهم.

وبهذا قال جماهير العلماء.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره: ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ صحيح قال: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، ولكل زمان عالم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾) قال مجاهد: (ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ على من هم بين ظهريه. وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك. وكان يقال: إن لكل زمان عالما. وهذه كقوله تعالى: (قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤] أي: أهل زمانه، وكقوله لمريم: (وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾) [آل عمران: ٤٢] أي: في زمانها؛ فإن خديجة أفضل منها، وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، أو مساوية لها في الفضل، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : (وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ) يعني بني إسرائيل (عَلَىٰ عِلْمٍ) أي على علم منا بهم لكثرة الأنبياء منهم (عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠]، وهذا قول قتادة وغيره وقيل : على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء وهذا

خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى و الزمخشري وغيرهما ويكون قوله : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد بني إسرائيل والله أعلم : وقيل : يرجع هذا الاختيار إلى تخليصهم من الغرق وإيراثهم الأرض بعد فرعون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وآتينا بني إسرائيل من الحجج والبراهين وكذا معه تصريف الأمور ما بين رخاء وشدة، وعسر ويسر، فضلًا عن سائر المعجزات التي أمدَّ الله بها نبيهم ما فيه اختبار عظيم لهم، فإن الشخص قد يبتلى بالسراء كما يبتلى بالضراء إذ الله قال: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾.

[الأنبياء: ٣٥]

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به.

واختلف أهل التأويل في ذلك البلاء، فقال بعضهم: ابتلاهم بنعمه عندهم.

وقال: وقال آخرون: بل ابتلاهم بالرخاء والشدة.

ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى

بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلًا من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جلَّ ثناؤه إنه اختبرهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: من المعجزات لموسى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ قال قتادة : الآيات إنجاؤهم من فرعون وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم وإنزال المن والسلوى ويكون هذا الخطاب متوجها إلى بني إسرائيل وقيل : إنها العصا واليد ويشبه أن يكون قول الفراء : ويكون الخطاب متوجها إلى قوم فرعون وقول ثالث : إنه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به قاله عبد الرحمن بن زيد، ويكون الخطاب متوجها إلى الفريقين معا من قوم فرعون وبني إسرائيل وفي قوله: ﴿بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ أربعة أوجه نعمة ظاهرة؛ قاله الحسن وقتادة. كما قال الله تعالى : ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ **[الأنفال : ١٧]**، وقال زهير :

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

الثاني : عذاب شديد، قاله الفراء.

الثالث : اختبار يتميز به المؤمن من الكافر؛ قاله عبد الرحمن بن زيد.
وعنه أيضًا : ابتلاؤهم بالرخاء والشدة ثم قرأ : ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ **[الأنبياء : ٣٥]**.

(٣٩٣) أحمر أسود



قال الله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾
فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾
إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ
﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

[الدخان: ٣٤-

٥٠]

س: وضح معنى ما يلي:

(بِمُنشَرِينَ - يَوْمَ ٱلْفَصْلِ - مِيقَـٰتُهُمْ - مَوْلًى عَن مَّوْلًى - يُنصَرُونَ - شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ - ٱلْأَثِيمِ - كَٱلْمُهْلِ - ٱلْحَمِيمِ - فَٱعْتِلُوهُ - سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ - تَمْتَرُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(بِمُنشَرِينَ)	بمبعوثين - بخارجين من القبور
(يَوْمَ ٱلْفَصْلِ)	يوم القيامة (يفصل الله فيه بين العباد)
(مِيقَـٰتُهُمْ)	وقت اجتماعهم بعد بعثهم من قبورهم
(مَوْلًى عَن مَّوْلًى)	قريب عن قريب، ابن عم عن ابن عمه، صديق عن صديقه
(يُنصَرُونَ)	لا ينصر بعضهم بعضًا
(شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ)	شجرة تنبت في وسط النار (وصفت في آيات أُخر)
(ٱلْأَثِيمِ)	الفاجر - مرتكب الآثام العظيمة
(كَٱلْمُهْلِ)	كدردى الزيت - الزيت المغلي - الرصاص المنصهر أو الفضة والذهب إذا صُهرا وتحولا إلى سائل
(ٱلْحَمِيمِ)	الماء الذي سخِّن فبلغ أعلى درجات غليانه
(فَٱعْتِلُوهُ)	فادفعوه وسوقوه بشدةٍ وبقوةٍ
(سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ)	وسط الجحيم - وسط النار
(تَمْتَرُونَ)	تشكُّون



س: وضح معنى قوله: (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، إن هؤلاء المشركين من أهل مكة ومن حولها، ومن هو على شاكلتهم ليقولون - إذا ذكَّرتهم بالبعث - ما هي إلا الموتة التي سنموتها ولن نبعث بعدها فلسنا بخارجين من قبورنا، فإن كنتم يا أهل الإسلام صادقين في أننا سنبعث فابعثوا لنا الآباء الذين سلفوا ومضوا وماتوا، ابعثوهم لنا من قبورهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل مشركي قريش لنبي الله ﷺ: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ التي نموتها، وهي الموتة الأولى (وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيبًا منهم بالبعث والثواب والعقاب.

وقوله: (فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قالوا لمحمد عليه الصلاة والسلام: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا، وخوطب ﷺ هو وحده خطاب الجميع، كما قيل: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ **[الطلاق: ١]**، وكما قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ **[المؤمنون: ٩٩]**.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور. ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقًّا

(﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣٦﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : (﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤﴾ يعني كفار قريش.

(﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ ابتداء خبر مثل : (﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] (﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [المؤمنون : ٣٧] (﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾) أي بمبعوثين ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٣٦﴾) أنشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم والمنشورون المبعوثون قيل : إن قائل هذا من كفار قريش أبو جهل قال : يا محمد إن كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا : أحدهما قصي بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات لأن الإعادة إنما هي للجزاء لا للتكليف فكأنه قال : إن كنت صادقا في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف وهو كقول قائل : لو قال إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء فلم لا يرجع من مضى من الآباء حكاه الماوردي ثم قيل : (﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾) مخاطبة للنبي ﷺ وحده كقوله : ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩﴾ [المؤمنون: ٩٩] قاله الفراء وقيل : مخاطبة له ولأتباعه.



س: وضح معنى قولـه: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾. ومن تُبع؟ وهل هو نبي أم لا؟

ج: المعنـى، والله أعلـم، أهؤلاء المشـركون خيـر أم قوم تبـع الحميـري اليمانـي الذين أهلكهم الله ﷻ وأفناهم فقد كانوا أهل إجرام، والعياذ بالله.

أما عن تبع فلم أقف في شأنه على خبرٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ، وقال بعض العلماء: إنه كان رجلًا صالحًا، فالله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقـول تعـالى ذكـره لنبيـه محمـد ﷺ: أهـؤلاء المشـركون يـا محمـد مـن قومك خير، أم قوم تبع، يعني تبعًا الحميري.

وقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يقـول تعـالى ذكـره: أهـؤلاء المشـركون مـن قريش خيـر أم قوم تبـع والذين من قبلهم من الأمم الكـافرة بربهـا، يقول: فلـيس هـؤلاء بخيـر مـن أولئـك، فنصـفح عـنهم، ولا نهلكهـم، وهـم بـالله كافرون، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفارًا.

وقولـه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يقـول: إن قـوم تبـع والـذين مـن قـبلهم مـن الأمم الذين أهلكناهم إنما أهلكنـاهم لإجـرامهم، وكفـرهم بـربهم. وقيـل: إنـهم كانوا مجرمين، فكسرت ألف «إن» على وجه الابتداء، وفيها معنى الشـرط استغناء بدلالة الكلام على معناها.

وأورد بإسـنادٍ حسن عن قتـادة: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٍ﴾ ذكـر لنـا أن تبعًـا كـان رجلًـا مـن حميـر، سـار بـالجيوش حتـى حيـر الحيـرة، ثـم أتـى سـمرقند فهدمها. وذكر لنا أنه كان إذا كتب كتب باسم الذي تسمى وملك برًّا وبحـرًا وصـحًّا وريحًّا. وذكر لنا أن كعبًا كان يقول: نعت نعـت الرجل الصـالح ذم

الله قومه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول[(١)]: لا تسبوا تبعًا، فإنه كان رجلًا صالحًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى متهددًا لهم، ومتوعدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث وكقوم تبع -وهم سبأ-حيث أهلكهم الله وخَرَّب بلادهم، وشردهم في البلاد، وفرقهم شذر مذر، كما تقدم ذلك في سورة سبأ، وهي مُصَدَّرة بإنكار المشركين للمعاد. وكذلك هاهنا شبههم بأولئك، وقد كانوا عربًا من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان، وقد كانت حمير -وهم سبأ-كلما ملك فيهم رجل سموه تُبَّعًا، كما يقال: كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافرا، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس. ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه، واتسعت مملكته وبلاده، وكثرت رعاياه وهو الذي مَصَّر الحيرة فاتفق أنه مَرَّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار، وجعلوا يَقْرُونه بالليل، فاستحيا منهم وكف عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة؛ فإنها مُهَاجَرُ نبي يكون في آخر الزمان، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه

---

(١) هذا لا يثبت من هذا الوجه عن عائشة رضي الله عنها فقتادة لا تُعرف له رواية صحيحة عن عائشة رضي الله عنها.

أيضًا، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناية إبراهيم الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظمها وطاف بها، وكساها الملاء والوصائل والحبير. ثم كر راجعًا إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود معه، وكان إذ ذاك دين موسى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتهود معه عامة أهل اليمن. وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه «السيرة».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عبثًا ولا لعبًا ولا لهوًا ولا باطلًا وإنما خلقناهما لحكم أردناها ولحقٍ قررناه أي لإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته خلقنا الإنس والجن لعبادة الله، ثم امتحانهم بالسمع والطاعة والأمر والنهي، ثم بعد نجازي المحسن المطيع بإحسانه وطاعته، ونعاقب العاصي المتمرد بعصيانه وتمرده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع والأرضين وما بينهما من الخلق لعبا. وقوله: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: ما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به.

وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا، ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع

على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم: ٣١].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثوابًا لتكذيبهم بالمعاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص: ٢٧]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إن يوم القيامة هو وقت اجتماعهم جميعًا، أولهم وآخرهم، مسلمهم وكافرهم، ويومها يُفصل بين العباد ولا ينفع قريبٌ قريبه بشيء، لا ينفع ابن العم ابن عمه، ولا الصاحب صاحبه، ولا

ينصر واحدٌ منهم غيره، ولا يستطيعون نصر أنفسهم ولا ينصرهم غيرهم.

أما قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ فمن العلماء من قال: إلا من رحم الله من أهل الإيمان وجعله شفيعًا فإنه يشفع فيمن رحمهم الله أيضًا وأراد بهم الخير ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب، ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ بعباده وبكل شيء يريد أن يرحمه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر يجزي به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة ﴿مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾: يقول: ميقات اجتماعهم أجمعين.

وقوله: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـٔٗا﴾ يقول: لا يدفع ابن عم عن ابن عمه، ولا صاحب عن صاحبه شيئًا من عقوبة الله التي حلت بهم من الله ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ يقول: ولا ينصر بعضهم بعضًا، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ اختلف أهل العربية في موضع ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: إلا من رحم الله، فجعله بدلا من الاسم المضمر في ينصرون، وإن شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره، يريد به: إلا من رحم الله فيغني عنه. وقال بعض نحويي الكوفة قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ قال: المؤمنون يشفع بعضهم في بعض، فإن شئت فاجعل ﴿مَن﴾ في موضع رفع، كأنك قلت: لا يقوم أحد إلا فلان، وإن شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام، يريد: اللهم إلا من رحم الله.

وقال آخرون منهم: معناه لا يغني مولى عن مولى شيئا، إلا من أذن الله له أن يشفع؛ قال: لا يكون بدلًا مما في ينصرون، لأن إلا محقق، والأول منفي، والبدل لا يكون إلا بمعنى الأول. قال: وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفًا، لأنه لا يستأنف بالاستثناء.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يكون في موضع رفع بمعنى: يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عند ربه.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ يقول جلَّ ثناؤه واصفًا نفسه: إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين.

وقوله: ﴿مِيقَـٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم.

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـًٔا﴾ أي: لا ينفع قريب قريبًا، كقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وكقوله: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ [المعارج: ١٠، ١١] أي: لا يسأل أخًا له عن حاله وهو يراه عيانًا.

وقوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي: لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من الخارج.

ثم قال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: لا ينفع يومئذ إلا من رحمه الله، ﷻ،

لخلقه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢﴾ أي: هو عزيز ذو رحمة واسعة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ هو يوم القيامة وسمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الممتحنة: ٣] ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤﴾ [الروم: ١٤]، فـ﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ ميقات الكل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ۝١٧﴾ [النبأ: ١٧] أي الوقت المجعول لتمييز المسيء من المحسن والفصل بينهما فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، أن هذه الشجرة شجرة الزقوم التي وصفت بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥] هي الطعام الذي يأكله الفاجر الكافر مرتكب الآثام، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٥٣﴾ [الواقعة: ٥١-٥٣]، وتأثير هذا الطعام في بطونهم كتأثير الزيت المغلي الذي يغلي في البطون كالماء الحار الشديد الذي يغلي، ثمَّ يقول الله ﷻ لملائكته خذوه فادفعوه بشدة إلى وسط الجحيم وليس فقط يدفع في وسط النار بل صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣﴾ التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاما لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام.

وقال:

وقوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾ يقول تعالى ذكره: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدت حميته في شدة السواد.

وقال أيضًا:

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ يقول: يغلي ذلك في بطون هؤلاء الأشقياء كغلي الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره، وقيل: حميم وهو محموم، لأنه مصروف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قتيل من مقتول.

وقال أيضًا:

يقول تعالى ذكره: ﴿خُذُوهُ﴾ يعني هذا الأثيم بربه، الذي أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فادفعوه وسوقوه، يقال منه: عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالدفع والجذب؛ ومنه قول الفرزدق:

ليس الكرام بناحليك أباهم ... حتى ترد إلى عطية تعتل

أي تساق دفعًا وسحبًا.

وقال:

وقوله: ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾ : إلى وسط الجحيم. ومعنى الكلام: يقال يوم القيامة: خذوا هذا الأثيم فسوقوه دفعًا في ظهره، وسحبًا إلى وسط النار.

وقال:

وقوله: ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨﴾ يقول تعالى ذكره: ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، يعني: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته، وهو الماء الذي قال الله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ **[الحج: ٢٠]**، وقد بينت صفته هنالك.



س: كيف قيل: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ **[الدخان: ٤٣، ٤٤]، وقد قال تعالى في آية أخرى:** ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ **[الغاشية: ٦]، وقال:** ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ **[الحاقة: ٣٦]، فكيف الجمع؟**

ج: وجه الجمع أن يقال: إن هناك فئة من أهل النار تقتصر في طعامها على الزقوم، وطائفة أخرى يقتصر طعامها على الضريع، وفئة ثالثة طعامها من غسلين.

أو يقال: إنهم يمكثون زمنًا لا يأكلون فيه إلا الزقوم، ويمكثون زمنًا آخر لا يأكلون فيه إلا الضريع، وزمنًا طعامهم من غسلين، والله أعلم.



س: كيف قيل له: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ وهو يُهان ويدفع بشدة إلى النار؟

ج: المراد، والله أعلم، ذُق يا من كان يزعم في الدنيا أنه عزيز كريم، ويا من كان يُنادى في الدنيا بالعزيز الكريم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذل بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إن قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية، لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة، إذ عذب بما عذب به في النار: ذق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدعي من العز والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزتك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ.



س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، إن هذا العذاب هو الذي كنتم تتشككون فيه في

الدنيا وتنكرون وقوعه فها هو قد حلّ بكم ونزل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: يقال له: إن هذا العذاب الذي تعذب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تشكون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾، كقوله: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥﴾ **[الطور: ١٣-١٥]**. ولهذا قال هاهنا: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: يقول لك الملك ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك وقيل : هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص أي قال له : إنك أنت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ **[هود : ٨٧]** يعنون السفيه الجاهل في أحد التأويلات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير. ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ٥٠﴾ أي تقول لهم الملائكة : إن هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا.



قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ
﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٩]

س: وضح معنى ما يلي:

(مَقَامٍ أَمِينٍ - سُندُسٍ - وَإِسْتَبْرَقٍ - مُّتَقَـٰبِلِينَ - يَدْعُونَ فِيهَا - ءَامِنِينَ - يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ - يَتَذَكَّرُونَ - فَٱرْتَقِبْ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَقَامٍ أَمِينٍ)	مجلس ومكان يجلسون فيه ويقيمون فيه آمنين فيه من الخوف والحزن وغير ذلك من الأوصاب والهموم وخشية الشرور
(سُندُسٍ)	الحرير الرقيق
(وَإِسْتَبْرَقٍ)	الحرير الغليظ
(مُّتَقَـٰبِلِينَ)	يقابل بعضهم بعضًا، وجوههم متقابلة
(يَدْعُونَ فِيهَا)	يطلبون في الجنة ما يريدون (فيتحقق لهم طلبهم)
(ءَامِنِينَ)	آمنين من الانقطاع، لا يخشون عدم إجابة طلبهم
(يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ)	سهلناه - سهلنا عليك قراءته
(يَتَذَكَّرُونَ)	يتعظون - يعتبرون
(فَٱرْتَقِبْ)	فانتظر



س: وضح معنى قوله: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، إن المتقين الذين اتقوا الشرك، وكذا

اتقوا الكبائر، مقامهم يوم القيامة مقام أمين، يأمنون فيه على أنفسهم من الشرور والمصائب والعذاب وسائر الأوصاب.

إنهم في حدائق وبساتين، وكذا عيون متفجرة.

إنهم يلبسون الحرير ما رقَّ منه (وهو السندس)، وما غلظ (وهو الإستبرق).

كذا وجوههم متقابلة لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر بل إلى وجهه.

وإضافة إلى ما ذُكر، فقد زوجناهم بحور عين، النسوة الحسناوات ذوات العين الحوراء شديدة البياض في شدة سواد وحسن اتساع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه في موضع إقامة، آمنين في ذلك الموضع مما كان يخاف منه في مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ٥٢﴾ الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات.

وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ﴾ يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنات من سندس، وهو ما رق من الديباج وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج.

وقال:

وقولـه: (مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾) يعنـي أنهـم فـي الجنـة يقابـل بعضـهم بعضًـا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض.

وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقال:

يقول تعالى ذكره: كما أعطينـا هؤلاء المتقين فـي الآخرة من الكرامـة بإدخالناهم الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمنـاهم بـأن زوجنـاهم أيضـا فيهـا حـورا مـن النسـاء، وهـن النقيـات البيـاض، واحدتهن: حوراء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء -ولهذا سُمّي القرآن مثـاني-فقـال: (إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: لله فـي الـدنيا (فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾﴾ أي: فـي الآخـرة وهـو الجنـة، قد أمنـوا فيهـا مـن المـوت والخـروج، ومـن كـل هـم وحـزن وجـزع وتعـب ونصـب، ومـن الشـيطان وكيـده، وسـائر الآفـات والمصائب.

(فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾) وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم.

وقولـه تعـالى: (يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ) وهـو: رفيـع الحريـر، كالقمصـان ونحوها (وَإِسۡتَبۡرَقٖ) وهو ما فيـه بريق ولمعـان وذلك كالريـاش، ومـا يلبس على أعالي القماش، (مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾) أي: على السرر لا يجلس أحد منهم

وظهره إلى غيره.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ **[الرحمن: ٥٦]** ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ **[الرحمن: ٥٨]** ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ **[الرحمن: ٦٠]**.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم»:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾.

والمقام: موضع الإقامة والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد والبلد الأمين الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك وأمن الموت فلا يخافون فيها موتًا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

جمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضًا وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم لجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

«والحور» جمع حوراء. وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة، البيضاء شديدة سواد العين. وقال زيد بن أسلم: الحوراء التي يحار فيها الطرف. و«عين» حسان الأعين. وقال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن: الحوراء شديدة بياض العين، شديدة سواد العين.

واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس: الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة: الحور البيض. وقال مقاتل: الحور البيض الوجوه. وقال مجاهد: الحور العين: التي يحار فيهن الطرف، باديا مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن، كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، وهذا من الاتفاق. وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحور: البياض، والتحوير التبييض. والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها. فهو يتضمن الأمرين. وفي الصحاح للجوهري «الحور» شدة بياض العين في شدة سوادها وامرأة حوراء بينة الحور. وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر، وقال الأصمعي: ما أدري

ما الحور في العين؟

قلت: خالف أبو عمرو أهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر، ويقال: عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد.

و«العين» جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح أن العين هن اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة قال مقاتل العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول و ضيق العين في المرأة من العيوب[(١)].

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجا كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس: قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال: والعرب لا تقول: تزوجت بها و إنما تقول: تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام: تميم تقول: تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائي أيضا وقال الأزهري: تقول العرب: زوجته امرأة

---

(١) حادي الأرواح ج١ ص٣٤٤-٣٤٦.

وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة.

قوله تعالى: (وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾) أي قرناهم وقال الفراء: هي لغة في أزدشنوءة قال الواحدي وقول أبي عبيدة في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجا لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فردا فزوجته بآخر كما يقال: شفقته بآخر و إنما تمنع الباء عند من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج.

قلت: ولا يمتنع أن يراد الأمران معًا فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد: أنكحناهم الحور ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، يسألون في الجنة ويطلبون كل ما أرادوا فيأتيهم ما أرادوا وهم آمنون من انقطاعه، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: (يَدۡعُونَ فِيهَا)... الآية، يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتهوه، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه، ومن غائلة أذاه ومكروهه، يقول: ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغب أذاها مع نفادها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقولـه: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥﴾، أي: مهما طلبوا من أنـواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر لهم كلما أرادوا.



س: وضـــح معنـــى قولـــه تعـــالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أنهم لا يموتون في الجنة بل يحيون فيها أبدًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ يقول تعالى ذكره لا يذوقون هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ هذا الاستثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**»(١).

وأورد كذلك حديث: أبي سعيد وأبي هريرة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن**

(١)البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩، ٢٨٥٠) بنحوه.



تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تَبْأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا»[١].

س: وضح معنى قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وصرف الله عن هؤلاء المتقين عذاب النار وسلَّمهم منه ونجاهم تفضلًا منه ورحمة، ذلك هو الربح العظيم ثم إن الله وقاهم وصرف عنهم عذاب النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلًا يا محمد من ربك عليهم، وإحسانًا منه إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يقهم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات، هو الفوز العظيم: يقول: هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم، واتقائهم إياه، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض، واجتناب المحارم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) مسلم (٢٨٣٧).

وقوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾ أي: مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجاهم من المرهوب؛ ولهذا قال: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧﴾ أي: إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحدًا لن يُدخله عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل**»(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وإنما أنزلنا عليك هذا القرآن بلسانك العربي وسهلناه عليك وسهلنا عليك قراءته حتى يفهموا عنك المراد، ومن ثم تتأتى لهم الذكرى ويجدي فيهم الوعظ إذا أراد الله ذلك لهم ولكن ومع كل هذا، فإنهم يكذبونك ويعارضونك فانتظر حلول العذاب بهم وانتقام الله منهم، وانتظر يومًا يقضى فيه بين العباد وهو يوم القيامة إنهم منتظرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ☐: فإنما سهلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره وحججه، ويتعظوا بعظاته، ويتفكروا في آياته إذا أنت تتلوه

---

(١) البخاري (٦٤٦٣) وفي غير موضع، وقد تقدم، وهو عند مسلم كذلك (٢٨١٦) وله عدة طرق.

عليهم، فينيبوا إلى طاعة ربهم، ويذعنوا للحق عند تبينهموه.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحًا بينًا جليًا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ أي: يتفهمون ويعملون. ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله مسليا له وواعدًا له بالنصر، ومتوعدًا لمن كذبه بالعطب والهلاك: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ أي: انتظر ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ أي: فسيعلمون لمن يكون النصر والظفر وعُلُو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥١ ، ٥٢] .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني القرآن أي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه : ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ أي يتعظون وينزجرون

ونظيره ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر : ١٧] فختم السورة بالحث على اتباع القرآن وإن لم يكن مذكورا كما قال في مفتتح السورة : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١] على ما تقدم.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: انتظر ما وعدتك من النصر عليهم إنهم منتظرون لك الموت حكاه النقاش وقيل : انتظر الفتح من ربك إنهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل : انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم فإنهم ينتظرون بك ريب الحدثان والمعنى متقارب وقيل : ارتقب ما وعدتك من الثواب فإنهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل : ارتقب يوم القيامة فإنه يوم الفصل وإن لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لأن عاقبتهم ذلك، والله تعالى أعلم.



سورة الجاثية

قال الله تعالى:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤
وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ
مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ
بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧
يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ
٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩
مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ
عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾ [الجاثية: ١-١١]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَبُثُّ - يُوقِنُونَ - وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ - أَفَّاكٍ - أَثِيمٍ - ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا - مُّهِينٌ - رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَبُثُّ﴾	ينشر - يُفرِّق
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون
﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾	تنويع الرياح (باردة - حارة - رحمة - عذاب - شمالية - جنوبية - تنزل في أرض وتترك أخرى...)
﴿أَفَّاكٍ﴾	كذاب
﴿أَثِيمٍ﴾	مرتكب للآثام
﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾	سخر منها واستهزأ بها
﴿مُّهِينٌ﴾	مُذلٌ مخزي
﴿رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾	عذابٌ مؤلم موجع



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

ج: أما قوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ فقد تقدم الكلام عليها بما حاصله أنها حروف مقطعة أمرها موكولٌ إلى الله.

وقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ فمعناه هذا القرآن تنزيل أنزله الله ﷻ العزيز الذي لا يُغلب بل هو غالبٌ على أمره منتقم من أعدائه. ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

في كل شيء كتدبير أمر الخلق، وفيما شرع من الشرع، وفي كل شيء.

ثم إن الله سبحانه وتعالى يوجّه الأنظار إلى آياته الدالة على قدرته ووحدانيته في السماء والأرض فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ أي: لدلالات وحجج على وحدانية الله ﷻ، تلك الآيات التي منها الشمسُ والقمرُ والنجوم السيارة والتي منها نزول الغيث والسحاب المسخر، والتي منها الجبال الرواسي والنباتات ذات الألوان البهيجة وعموم ما فيها من الآيات والحجج.

وكذا يوجه النظر إلى خلق الإنسان وما فيه من وجوه الإعجاز فيقول تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ وكذا في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وكون هذا يطول أحيانًا ويقصر أحيانًا، وهذا بظلمته، وذاك بضيائه في كل ذلك آيات، ودلالات على قدرة الله ووحدانيته وكذا في المطر النازل من السماء وإحياء الأرض به بعد موتها وما يخرج بسببه من النباتات، وتنويع الرياح مرةً حارة، وأخرى باردة، ومرة ترسل رحمة، ومرة تُرسل عذابًا، ومرة تأتي شمالية، ومرة جنوبية إلى غير ذلك، كل ذلك فيه آيات ودلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، ولكن لمن تعقلها وتدبرها وتأملها، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فإن معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ في تدبيره أمر خلقه.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن في السموات السبع اللاتي منهن نزول الغيث، والأرض التي منها خروج الخلق أيها الناس ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ يقول: لأدلة وحججًا للمصدقين

بالحجج إذا تبينوها ورأوها.

وقال أيضًا:

في تأويل قوله تعالى : ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وفي خلق الله إياكم أيها الناس، وخلقه ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ يعني: حججًا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرون بها، ويعلمون صحتها.

وقال أيضًا:

في تأويل قوله تعالى : ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أيها الناس، وتعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحيائه الأرض بعد موتها: يقول: فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع.

وقوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالا مرة، وجنوبا أخرى، وصبا أحيانا، ودبورا أخرى لمنافعكم.

وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرة، وبالعذاب أخرى.

وقال أيضًا:

وقوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: في ذلك أدلة وحجج لله

على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقًا؛ لأن به يحصل الرزق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء.

وقوله: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: جنوبًا وشمالًا، ودبورًا وصبًا، بحرية وبرية، ليلية ونهارية. ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء للأرواح، ومنها ما هو عقيم.

وقال أولًا: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾، ثم ﴿يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ ثم ﴿يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ وهو ترقٍّ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى. وهذه الآيات شبيهة بآية «البقرة» وهي قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ **[البقرة: ١٦٤]**.



س: وضح معنى قولـه تعالى: (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، تلك الآيات والحجج التي تتلى عليك هي آيات الله ﷻ وحججه نقصها عليك يا رسول الله ونخبرك بها بالحق والصدق، لا باطل فيها ولا كذب، وكذا نخبرك بها متضمنةً الحق، فبأي حديث بعد حديث الله يؤمنون، وبأي حجج بعد حجج الله يؤمنون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحق: يقول: نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقربهم إلى الله زلفى، فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون: يقول تعالى ذكره للمشركين به: فبأي حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذي يتلوه عليكم، وبعد حججه عليكم وأدلته التي دلكم بها على وحدانيته من أنه لا رب لكم سواه، تصدقون، إن كنتم كذبتم لحديثه وآياته. وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ ﴿**تؤمنون**﴾ على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين، وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين.

وأما على قراءة من قرأه: ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ بالياء، فإن معناه: فبأي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبه هؤلاء المشركين عليها، وذكرهم بها، يؤمن هؤلاء المشركون، وهي قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة، ولكلتا القراءتين وجه صحيح، وتأويل مفهوم،

فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا، وإن كنت أميل إلى قراءته بالياء إذ كانت في سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر، وذلك قوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ و ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: هذه آيات الله - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبينات - ﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾، أي: متضمنة الحق من الحق، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها؛ فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!



س: التذكير ينبغي أن يكون تذكيرًا بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، فهذا الذي ينبغي أن يُغلَّب، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ **[الجاثية: ٦]**.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ **[ق: ٤٥]**.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤﴾ **[القمر: ٤]**.



س: تضمنت مطالع هذه السورة الكريمة عددًا من براهين البعث، وضح ذلك.

ج: أورد ذلك الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

والأول من البراهين المذكورة هو خلق السماوات والأرض المذكور هنا في سورة الجاثية هذه: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ لأن خلقه جلَّ وعلا للسماوات والأرض، من أعظم البراهين على بعث الناس بعد

الموت لأن من خلق الأعظم الأكبر، لا شك في قدرته على خلق الأضعف الأصغر.

والآيات الدالة على هذا كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٥٧]، أي ومن قدر على خلق الأكبر فلا شك أنه قادر على خلق الأصغر، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس:٨١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء:٩٩]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات:٢٧-٣٣].

ونظير آية النازعات هذه قوله تعالى في أول الصافات: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ﴾ [الصافات:١١]، لأن قوله: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ﴾ يشير به إلى خلق السماوات والأرض، وما ذكر معهما المذكور في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾.
[الصافات:٥-١٠]

وأما الثاني من البراهين المذكورة: فهو خلقه تعالى للناس المرة الأولى، لأن من ابتدع خلقهم على غير مثال سابق، لا شك في قدرته على إعادة خلقهم، مرة أخرى كما لا يخفى.

والاستدلال بهذا البرهان على البعث كثير جدًّا في كتاب الله كقوله

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج:٥]، إلى آخر الآيات، وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [يس:٧٨-٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ [مريم:٦٦-٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [الروم:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ [الإسراء:٥١]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥ ﴾ [قٓ:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ ﴾ [الواقعة:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧ ﴾ [النجم:٤٥-٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠ ﴾ [القيامة:٣٦-٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ [التين:١-٧]، يعني أي شيء يحملك على التكذيب بالدين أي بالبعث والجزاء، وقد علمت أني خلقتك الخلق الأول في أحسن تقويم، وأنت تعلم أنه لا يخفى على عاقل أن من ابتدع الإيجاد الأول لا شك في قدرته، على إعادته مرة أخرى إلى غير ذلك من الآيات.

وأما البرهان الثالث منها: وهو إحياء الأرض بعد موتها المذكور في

قوله تعالى في سورة الجاثية هذه: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية:٥]، فإنه يكثر الاستدلال به أيضا على البعث في القرآن العظيم، لأن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم، لأن الجميع أحياء بعد موت.

فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥-٧]، وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

فقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي نبعثهم من قبورهم أحياء كما أخرجنا تلك الثمرات بعد عدمها، وأحيينا بإخراجها ذلك البلد الميت، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾. [الروم: ١٩]، يعني تخرجون من قبوركم أحياء بعد الموت، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات.



س: وضح معنى الآيات الكريمات: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧...﴾ إلى قوله: ﴿رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، عذاب شديد ووعيد أكيد، وواد في جهنم يسيل إلى صديد أهل النار لكل كذاب يكذب على الله، ويكذب بآيات الله، ومرتكب للآثام والمحرمات، ذاك الذي شأنه أنه إذا سمع آيات الله، وإذا تُليت عليه وذكّر بها يرفضها ويكذب بها ويصر على كفره بها وجحوده لها وإنكاره ويمر بها وكأنها لم تتل عليه، فبشر هذا الأفاك الأثيم بعذابٍ مؤلمٍ موجعٍ يناله يوم القيامة، وإذا بلغته آية أو جاءه العلم بها سخر منها واستهزأ بها واتخذها مجالًا للسخرية والجحود والإنكار، فله على هذا الاستهزاء وعلى تلك السخرية من الآيات يوم القيامة عذاب مُذلّ مهين مخزي، تنتظره جهنم (فكلمة: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ﴾ قال البعض: معناه أمامهم وتنتظرهم)، ولن تغني عنهم أصنامهم التي عبدوها من دون الله ولن تغني عنهم أموالهم التي اكتسبوها ولا أولادهم الذين هم كسبٌ لهم، لن يغني عنهم كل هذا عند الله ﷻ بشيء، بل وقد أعدَّ لهم يوم القيامة العذاب العظيم.

ثمَّ يثني ربنا سبحانه وتعالى ويمدح كتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، وجديرٌ به أن يُمدح وجدير به أن يُثنى عليه، فيقول تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿هُدٗىۖ﴾ هدايات إلى طريق الله ﷻ وإلى جنته ومرضاه فمن اتبعه اهتدى، ومن حاد عنه وكفر به وجحده له عذاب أليم مؤلم موجع يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الوادي السائل من صديد أهل جهنم، لكل كذاب ذي إثم بربه، مفتر عليه ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ يقول: يسمع آيات كتاب الله تقرأ

عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ على ربه أن يذعن لأمره ونهيه ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يقول: كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ يقول: فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب من الله له.

﴿أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ : يعني: موجع في نار جهنم يوم القيامة.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا عَلِمَ﴾ هذا الأفاك الأثيم ﴿مِنْ﴾ آيات الله ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ يقول: اتخذ تلك الآيات التي علمها هزوًا، يسخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] إذ دعا بتمر وزبد فقال: تزقموا من هذا، ما يعدكم محمد إلا شهدًا، وما أشبه ذلك من أفعالهم.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكبارًا، ويتخذون آيات الله التي علموها هزوًا، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته، وإنما قال تعالى ذكره ﴿أُولَٰئِكَ﴾ فجمع. وقد جرى الكلام قبل ذلك ردًّا للكلام إلى معنى الكل في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله، يعني: من بين أيديهم. وقد بينا العلة التي من أجلها قيل لما أمامك، هو وراءك، فيما مضى بما أغنى عن إعادته؛ يقول: من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها، ولا يغنيهم ما كسبوا شيئًا: يقول: ولا يغني عنهم من عذاب جهنم إذا هم عذبوا به ما كسبوا في الدنيا من مال وولد شيئًا.

وقوله: ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ﴾ يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من دون الله، ورؤساؤهم، وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله، واتخذوهم نصراء في الدنيا، تغني عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئًا. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠﴾ يقول: ولهم من الله يومئذ عذاب في جهنم عظيم.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد هدى: يقول: بيان ودليل على الحق، يهدي إلى صراط مستقيم، من اتبعه وعمل بما فيه، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها، ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧﴾ أي: أفاك في قوله كذاب، حلاف مهين أثيم في فعله وقيله كافر بآيات الله؛ ولهذا قال: ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي:

تقرأ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ أي: على كفره وجحوده استكبارًا وعنادًا ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: كأنه ما سمعها، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ أي: فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي: إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾ أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئًا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾.

ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يعني: القرآن، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾ وهو المؤلم الموجع.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الشواهد العربية في سورة إبراهيم في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم:١٥-١٦]، وبينا هناك أن أصح الوجهين أن وراء بمعنى: أمام.

فمعنى ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: أمامه جهنم يصلاها يوم القيامة كما قال

تعــالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهـف:٧٩]، أي: أمــامهم ملك.



قال الله تعالى:

(﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ
أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا
جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ
فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ
أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ
سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ
كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ١٢-٢٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْفُلْكُ -وَلِتَبْتَغُوا۟-يَغْفِرُوا۟ -أَيَّامَ ٱللَّهِ -بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ -ٱلْكِتَٰبَ -وَٱلْحُكْمَ -بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ - بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ -يَقْضِى -شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ -بَصَٰٓئِرُ -ٱجْتَرَحُوا۟﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(ٱلْفُلْكُ)	السفن العظيمة
(لِتَبْتَغُوا۟)	لتلتمسوا - لتطلبوا رزقه
(يَغْفِرُوا۟)	يصفحوا ويتجاوزوا
(أَيَّامَ ٱللَّهِ)	الأيام التي أنزل فيها بأسه بعباده - أيام النقم التي ينتقم الله فيها من الظالمين
(بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)	أولاد يعقوب عليه السلام وذريته من بعدهم
(ٱلْكِتَٰبَ)	التوراة والإنجيل والزبور
(ٱلْحُكْمَ)	جعلنا الحكم فيهم فكانت تسوسهم أنبياؤهم، وقيل: الحكم الفهم في الدين
(بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ)	حجج واضحات يستدلون بها على وحدانية الله وعلى صدق المرسلين
(بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ)	حسدًا وظلمًا من بعضهم لبعض
(يَقْضِى)	يحكم
(شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ)	طريقة وسنة ومنهاجًا
(بَصَٰٓئِرُ)	جمع بصيرة، يبصرون بها الحق من الباطل
(ٱجْتَرَحُوا۟)	اكتسبوا - ما فعلوا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

ج: يُذكِّر الله ﷻ عباده بمننه عليهم وتسخيره البحر لهم، تسير فيه سفنهم العظيمة بتيسير الله لهم، وذلك كي تنقلهم من بلدةٍ إلى بلدةٍ يلتمسون فيه رزق الله ﷻ، وذلك كي يقدم العباد شكرًا لله ﷻ على ما منَّ به عليهم وأنعم، وكذا سخر لهم ما في السموات من شمسٍ وقمر ونجوم سيارة، وكذا السحب، وكذا سخر لهم ما في الأرض من جبال وأنهار وبحار وعموم ما ينتفع به فيها، إن في ذلك لدلالات على وحدانية الله ﷻ لقوم يتفكرون في وحدانية الله وقدرته ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ٱللَّهُ)أيها القوم، (ٱلَّذِى) لا تنبغي الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بينها لكم في هذه الآيات، وهو أنه (سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِۦ) لمعايشكم وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها، ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ) من شمس وقمر ونجوم (وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ) من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ). يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا

لا غيره؛ لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكًا بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهية، فإنه لا إله لكم سواه.

وقال:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ يقول: لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلته، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكروا فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾، وهي السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: في المتاجر والمكاسب، ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ أي: على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية.

ثم قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه؛ ولهذا قال: ﴿جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣﴾ **[النحل: ٥٣]**.

وروى ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسَخَّرَ

لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ) كل شيء هو من الله، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه، فذلك جميعًا منه، ولا ينازعه فيه المنازعون، واستيقن أنه كذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لمن اتبعوك وصدقوك يتجاوزوا ويصفحوا عن أهل الكفر الذين لا يبالون بعذاب الله ولا يتعظون بما حلَّ بأسلافهم ولا يخشون الأيام التي ينزل الله فيها بأسه بالظالمين، قل لأهل العلم يتجاوزوا عنهم ويصفحوا، فإن الله مجازيهم بما كسبوه وما اقترفوه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أي: يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم. وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم

لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد. هكذا روي عن ابن عباس، وقتادة.

وقال مجاهد: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ لا ينالون نعم الله.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي: إذا صفحوا عنهم في الدنيا، فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة؛ ولهذا قال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ أي: تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها.

س: هل هذه الآية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ منسوخة؟

ج: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنها منسوخة.

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة في قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ قال: نسختها ما في الأنفال ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ **[الأنفال: ٥٧]**، وفي براءة: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ **[التوبة: ٣٦]** أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، من عمل أعمالًا صالحةً فذلك عائدٌ على نفسه ولن ينتفع الله منه بشيء، ومن أساء في عمله فإثم ذلك عائدٌ عليه ثم

إن الله ﷻ المرجع والمآب.

وهذا كما في الحديث القدسي[(١)]: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا».

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وانزجر لنهيه، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ يقول: ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهيه، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضر أحدًا سوى نفسه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم، فيجازى المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحًا، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئًا.



س: كيف فُضل بني إسرائيل على العالمين، وقد قال تعالى في شأن

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

أمة محمد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

ج: لأهل العلم جوابان على ذلك:

أحدهما: أنهم فُضِّلوا على العالمين في زمانهم.

الثاني: أنهم فضلوا على العالمين كلهم بكثرة الأنبياء فيهم وكثرة المعجزات التي رأوها، والله أعلم.



س: وضح معنى الآيات الكريمات: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ولقد مننا على بني إسرائيل بإنزال كتبٍ على أنبيائهم كالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، وكذا الزبور الذي آتاه الله داود عليه السلام، وكذا الإنجيل الذي آتاه الله عيسى عليه السلام، وكذا مننا عليهم بالفهم وأيضًا سياسة الناس وقيادتهم، فقد كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم، وكذا مننا عليهم بكثرة الأنبياء فيهم، ورزقناهم من الطيبات كالمن والسلوى وغير ذلك، وفضلناهم على العالمين في زمانهم، وآتيناهم حججًا وأدلة وبراهين للاستدلال بها على وحدانية الخالق سبحانه وصدق المرسلين، فلما جاءهم الحق، والعلم، دبَّ بينهم الاختلاف، وما كان ينبغي أن يُحدث العلم اختلافًا، ولكن حملهم على هذا الخلاف حسد بعضهم لبعض من أجل الرياسات، وظلم بعضهم لبعض طمعًا فيما في يديه.

ثم إن الله ﷻ توعدهم بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل، ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ يعني: الفهم بالكتاب، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ يقول: وجعلنا منهم أنبياءً ورسلًا إلى الخلق، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا، وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشام.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾.

يقول تعالى ذكره: وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ طلبًا للرياسات، وتركًا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغيًا بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، فيفلج المحق حينئذٍ على المبطل بفصل الحكم بينهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

ﭐلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ) أي: من المآكل والمشارب، (وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾) أي: في زمانهم.

(وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ) أي: حججًا وبراهين وأدلة قاطعات، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغيًا منهم على بعضهم بعضًا، (إِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل. وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، ثم جعلناك يا رسول الله من بعد ما آتينا بني إسرائيل الذي آتيناهم، جعلناك يا رسول الله على سنةٍ ومنهاجٍ وفرائض وحدود وأوامر ونواهي، فالزم تلك الشريعة التي شرعناها لك ولا تتبع أهواء أهل الجهل الذين لا يقرون لله بالوحدانية، بل ويعبدون معه آلهة أخرى، فإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئًا، وإن الظالمين بعضهم أنصار لبعض وأولياء لبعض في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا.

أما أهل التقى، فالله ﷻ يتولاهم ويحفظهم وينصرهم ويسددهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فَاتَّبِعْهَا) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به.

وقوله: (إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئًا، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذوك منه.

وقوله: (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعوانهم على الإيمان بالله وأهل طاعته (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾) يقول تعالى ذكره: والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جلَّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه ولي من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك.

وقال ابن كثير رحمه الله:

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا) أي: اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو، وأعرض عن المشركين، وقال هاهنا: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أي:

وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضًا، فإنهم لا يزيدونهم إلا خسارًا ودمارًا وهلاكًا، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله بصائر يبصر بها أهلُ الإيمان الحقَ من الباطل، والغيَّ من الرشاد، والصوابَ من الخطأ، والصدقَ من الكذب، فمن فقد هذا القرآن فقد تلك البصائر وفقد التمييز.

قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ﴾ **[الأنعام: ١٠٤].**

وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ **[المائدة: ١٥-١٦].**

وكذا فهذا القرآن هداية يهتدي بها أهل اليقين ومن أراد الله أن يرحمهم، أولئك الموقنون المصدقون.

أورد الطبري أثرًا عن ابن زيد بسندٍ صحيح عنه في قوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ قال: القرآن. قال: هذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي

ﭐلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾) [الحج: ٤٦]، وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها.

وقال:

وقولـه: (وَهُدَى) يقـول: ورشـاد (وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾) بحقيقـة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخص جلَّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة؛ لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمى وله حزنًا.



س: الهداية بهذا الكتاب العزيز إنما هي لأهل الإيمان، فهم المنتفعون بها. دلّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾) [الإسراء: ٨٢].

وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالى: (هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾).

[الجاثية: ٢٠]

وقوله تعالى: (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾) [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

والله أعلم.



س: وضح معنى قولـه تعـالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾.

ج: المعنـى، والله أعلم، أفظـن أهل الشـرك والـذين فعلـوا السـوء واستمروا على العصيان أن نسوِّي بينهم وبين أهل الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، ساء ما ظنوا بنا؛ بل سنجازي المحسن بإحسانه ونجازي المسيء بما عمل إن شئنا.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ **[السجدة: ١٨]**.

وقال سبحانه: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ **[ص: ٢٨]**.

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥﴾ **[القلم: ٣٥]**... إلى غير ذلك من الآيات التي أفادت أن الله ﷻ لا يسوِّي بين المسلم والكافر والطائع والعاصي، والله أعلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

يقول تعالى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، كما قال: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ **[الحشر: ٢٠]**، وقال هاهنا: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: عملوها وكسبوها ﴿أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة! ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ أي: ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نُساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ...﴾ الآية، لعمري لقد تفرق القوم في الدنيا، وتفرقوا عند الموت، فتباينوا في المصير.

وقال في قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ يقول تعالى ذكره: بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: تكلم الطبري عليها فأجاد إذ قال:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ للعدل والحق، لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله، من أنه يجعل من اجترح السيئات، فعصاه وخالف أمره، كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، في المحيا والممات، إذ

كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف، يقول جلَّ ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكنا خلقناهما للحق والعدل. ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل.

وقوله: (وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول تعالى ذكره: وليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، ولكن لنجزي كلا بما كسبت يداه، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.



قال الله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ
بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ
يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ
إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا
يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

[الجاثية: ٢٣-٣٧]

س: وضح معنى ما يلي:

(إِلَٰهَهُۥ – هَوَىٰهُ – غِشَٰوَةٗ – ٱلدَّهۡرُۚ – حُجَّتَهُمۡ – لَا رَيۡبَ فِيهِ –ٱلۡمُبۡطِلُونَ – جَاثِيَةٗۚ –كِتَٰبِهَا – نَسۡتَنسِخُ –بِمُسۡتَيۡقِنِينَ – وَبَدَا لَهُمۡ – سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ – وَحَاقَ بِهِم – نَنسَىٰكُمۡ – هُزُوٗا – وَغَرَّتۡكُمُ– يُسۡتَعۡتَبُونَ – ٱلۡكِبۡرِيَآءُ).

ج:

الكلمة	معناها
(إِلَٰهَهُۥ)	معبوده
(هَوَىٰهُ)	ما تهواه نفسه، وما تحبه وتشتهيه
(غِشَٰوَةٗ)	غطاء
(ٱلدَّهۡرُۚ)	الأيام والليالي والسنون وطول العمر - الزمان
(حُجَّتَهُمۡ)	ردُّهم - مستندهم
(لَا رَيۡبَ فِيهِ)	لا شك في وقوعه
(ٱلۡمُبۡطِلُونَ)	أصحاب القول الباطل الذين زعموا أن لله ﷻ شريكًا، والذين زعموا أنه لا بعث، والمكذبون بآيات الله
(جَاثِيَةٗۚ)	باركة على ركبها
(كِتَٰبِهَا)	كتاب أعمالها الذي كتبته الملائكة الحفظة
(نَسۡتَنسِخُ)	نكتب (نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم)
(بِمُسۡتَيۡقِنِينَ)	بمتحققين - بمتأكدين
(وَبَدَا لَهُمۡ)	ظهر لهم وتبين
(سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ)	الأعمال السيئة التي عملوها

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾	نزل بهم وحلَّ
﴿نَنسَىٰكُمْ﴾	نترككم في العذاب - نعاملكم معاملة من نسيكم
﴿هُزُوًا﴾	سخرية واستهزاءً
﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾	خدعتكم - غرتكم - شغلتكم
﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾	يسترضون - يُعاتبون - يُطلب منهم أن يدافعوا عن أنفسهم - يردون إلى الدنيا
﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾	السلطان والمجد والعظمة والعزة



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده هو الهوى الذي تهواه نفسه وتشتهيه؟! فعبد كل ما تهواه نفسه، فإذا وجد حجرًا أبيضًا واشتهته نفسه عبده، وإن وجد شجرة هي أحسن عبدها، وإذا هوى صنمًا عبده، فالحاصل أنه يعبد ما يريد وما يحب وما يشتهي، هذا قول فريق من أهل العلم.

وقال آخرون: المعنى أفرأيت من اتخذ دينه بهواه فيحلل لنفسه ما يحلل ويحرم ما يريد، فيأتمر بأمر نفسه.

وقد ذكر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ القولين فقال:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: أفرأيت من اتخذ دينه بهواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم، ولا يحلل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسُه من شيء.

ثم قال:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهية من كل شيء؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ**:**

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: إنما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنًا فعله، ومهما رآه قبيحًا تركه.



س: هل كل ما تهواه النفوس يكون حرامًا؟

ج: لا، بل ما هوته النفس وكان موافقًا لكتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ فهو حسن، وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[1].



س: ما معنى قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وأضله الله على علمٍ من الله ﷻ أنه لا يستحق الهداية، وأنه لن يهتدي. هذا المعنى الأول.

والمعنى الثاني: وأضله الله بعد أن بلغته الأدلة وأقيمت عليه الحجة.

---

(١) البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

(٤٥٧) أحمر أسود

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءته كل آية.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) يحتمل قولين:

أحدها: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك. والآخر: وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً).

ج: المعنى، والله أعلم، وطبع على سمعه وقلبه بطابع فلا يصل إلى سمعه شيءٌ من الحق الذي يُهتدى به ولا يعقل قلبه ما ينتفع به، وكذلك جعل على بصره غشاوة تحول بينه وبين رؤية الحق وتمييزه من الباطل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ) يقول تعالى ذكره: وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى.

وقوله: (وَقَلْبِهِۦ) يقول: وطبع أيضًا على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، ولا يعي به حقًّا.

وقوله: (وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً) يقول: وجعل على بصره غشاوة أن

يبصر به حجج الله، فيستدل بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ أي: فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئًا يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ كقوله: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾. [الأعراف: ١٨٦]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التفسير القيم»:

قول الله تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾.

الغشاوة هي الغطاء وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب فإن ما في القلب من الخير والشر يظهر على العين فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه وأنت إذا أبغضت رجلًا بغضًا شديدًا أبغضت كلامه ومجالسته تجد على عينك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فتلك أثر البغض والإعراض عنه، وغلظت الغشاوة على الكفار عقوبة لهم على إعراضهم ونفورهم عن الرسول وجعل الغشاوة عليها يشعر بالإحاطة على ما تحته كالغمامة، ولما عشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك الغشاء غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، فمن الذي يهدي هذا الذي أضله الله، كما قال تعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ أي: أفلا تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـه: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ يقـول تعـالى ذكـره: فمـن يوفقـه لإصـابة الحـق، وإبصـار محجـة الرشـد بعد إضـلال الله إيـاه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ أيهـا الناس، فتعلموا أن من فعل الله بـه مـا وصـفنا، فلن يهتدي أبدًا، ولـن يجد لنفسه وليًّا مرشدًا.



س: كيف قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ وهم لا يقرون بالبعث؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: نموت نحن ويحيا أبناؤنا.

الثاني: أن الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى: نحيا ونموت.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ نموت نحن وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنـائهم بعدهم حياة لهم؛ لأنهم منهم وبعضـهم، فكـأنهم بحيـاتهم أحيـاء، وذلـك نظيـر قول الناس: ما مات من خلف ابنًا مثل فلان؛ لأنه بحياة ذكـره بـه كأنـه حـي غير ميت، وقد يحتمل وجهًا آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت علـى وجـه تقـديم الحيـاة قبـل الممـات، كمـا يقـال: قمـت وقعـدت، بمعنـى: قعـدت وقمت؛ والعـرب تفعل ذلك فـي الـواو خاصـة إذا أرادوا الخبـر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتـأخر حـدوثًا علـى المتقدم حدوثـه منهمـا أحيانًـا، فهذا من ذلك، لأنـه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات، فقدم ذكر الممـات قبل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى

أمواتًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: يتوهمون ويتخيلون.



س: وضح معنى قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

ج: معناه، والله أعلم، ما يهلكنا ويميتنا إلا الأيام والسنون، والتقدم في الأعمال.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿وَقَالُوا۟﴾ -أي: منكرو البعث- ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس ومن مات فليس براجع إلى الله ولا مجازى بعمله.

وقولهم هذا صادر عن غير علم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.

إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٥﴾ وهذا جراءة منهم على الله حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق.



س: اذكر بعض الأدلة على إنكار الكفار للبعث.

ج: قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان»:

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من إنكار الكفار للبعث بعد الموت، جاء موضحًا في آيات كثيرة كقوله تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾ [الدخان: ٣٥]، وقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥-٣٧]، وقوله تعالى عنهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [قٓ:٣]، وقوله تعالى عنهم: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾ [النازعات: ١٠-١٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ

رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) [يس:٧٨]، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

أما معناه فقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله، عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر. فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبوا الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نُهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال.

هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذًا من هذا الحديث.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وما لهؤلاء القائلين بأنهم لا تفنيهم إلا الأيام والليالي والسنون من علمٍ بذلك ولا من يقينٍ به إلا يتقولون بما لا علم لهم به ويتبعون ظنونًا بلا براهين ولا بينات.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، بما يقولون من ذلك من علم: يعني من يقين علم، لأنهم يقولون ذلك تخرصًا بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته (إِنْ هُمْ إِلَّا

يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾) يقول جلَّ ثناؤه: ما هم إلا في ظن من ذلك، وشك يخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾).

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا تتلى على أهل الشرك آيات الله المنزلة في كتابه على لسان رسوله ﷺ والتي فيها الإخبار بأن الناس سيبعثون ويخرجون من قبورهم للحساب أنكروا ذلك وما كان لهم من حجة ولا من دليل على هذا الانكار إلا قولهم للمرسلين: ائتوا بآبائنا الذين ماتوا، فأحيوهم لنا إن كنتم صادقين في قولكم: إنَّا سنبعث.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا، بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم، فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: واضحات جليات، تنفي الشك عن قلب أهل التصديق بالله في ذلك ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ يقول تعالى ذكره: لم يكن لهم حجة على رسولنا الذي يتلو ذلك عليهم إلا قولهم له: ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء، وانشرهم لنا إن كنت صادقًا فيما تتلو علينا وتخبرنا، حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا، ومحيينا من بعد فنائنا.



س: ما صحة الحديث القدسي الذي فيه: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر..»؟ وما متنه؟ وما معناه؟

ج: أما الحديث فهو ثابت صحيح، ومن ألفاظه - حيث أن له ألفاظًا متقاربة - ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**».

ومن ألفاظه في الصحيح أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر! فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما**».

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًّا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المكذبين بالآيات: الله عز وجل يحييكم في هذه الحياة الدنيا إلى ما يشاء ثم يميتكم عند الأجل الذي أجّلكم إليه ثم يجمعكم يوم القيامة - أولكم وآخركم،

---

(١) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

في ذلك اليوم الذي لا شك ولا ريب في وقوعه، ولكن أكثر الناس قلَّ علمهم بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث، القائلين لك: ائتنا بآبائنا إن كنت صادقًا: الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم فيها إذا شاء، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعًا أولكم وآخركم، وصغيركم وكبيركم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: ليوم القيامة، يعني أنه يجمعكم جميعًا أحياء ليوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول: لا شك فيه، يقول: فلا تشكوا في ذلك، فإن الأمر كما وصفت لكم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يقول: ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث، لا يعلمون حقيقة ذلك، وأن الله محييهم من بعد مماتهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ **[البقرة: ٢٨]** أي: الذي قدر على البداءة قادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى.. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ **[الروم ٢٧]**، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ﴾ **[التغابن: ٩]**، ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ **[المرسلات: ١٢، ١٣]**، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ **[هود: ١٠٤]**، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا

شك فيه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ أي: فلهذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ٦ ، ٧] أي: يرون وقوعه بعيدًا، والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين آياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن ثم دفع ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ خبر كان والاسم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم بقوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني بعد كونكم نطفًا أمواتًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كما أحياكم في الدنيا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ أن الله يعيدهم كما بدأهم.

الزمخشري : فإن قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة ؟ قلت : لأنهم أدلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه في أسلوب قوله :

تحيّة بينهم ضَرْبٌ وجيعٌ

كأنه قيل : ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة والمراد نفي أن تكون لهم حجة ألبتة. فإن قلت : كيف وقع قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جواب ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٥﴾ قلت : لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرُّون به من أن الله عز و جل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به أن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق وهو جمعهم يوم القيامة ومن كان قادرًا

على ذلك كان قادرًا على الإتيان بآبائهم وكان أهون شيء عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، والسموات والأرض ملك لله ﷻ يفعل فيهما ما يشاء، ويقضي فيهما بالذي يريد، ويوم القيامة عندها يخسر أهل الباطل الذين حاولوا في دنياهم إبطال الحق وإطفاء نوره، والذين تكلموا بالباطل في حق الله ﷻ وزعموا أن له شريكًا في الملك، والذين أنكروا البعث وجادلوا بالباطل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات السبع والأرض، دون ما تدعون له شريكًا، وتعبدونه من دونه، والذي تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد في ملكه وسلطانه جار عليه حكمه، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا، أم كيف تعبدونه، وتتركون عبادة مالككم، ومالك ما تعبدونه من دونه، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي ينشر الله فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾: يقول: يغبن فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم لله شريكًا، وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقون، ويبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين.

فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة، ذلك هو الخسران المبين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى : ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿وَيَوْمَ﴾ الأول منصــوب بـــ﴿يَخْسَرُ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكريــر للتأكيد أو بدل وقيل : إن التقدير وله الملك يوم تقوم الساعة والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يَخْسَرُ﴾ ومفعول ﴿يَخْسَرُ﴾ محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة.



س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وترى يا رسول الله يوم القيامة كل أهل ملةٍ من الملل جثاة على ركبهم كلٌّ ينادى عليه لاستلام كتاب أعماله الذي كتبته الملائكة الحفظة، ويُقال لهم: اليوم تجازون على أعمالكم التي عملتموها في دنياكم، فهذا الكتاب الذي أمرنا ملائكتنا بكتابته وأودعت فيه أعمالكم ها هو ينطق عليكم بالحق، يخبركم بالذي عملتموه كما قال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ **[المؤمنون: ٦٢]**.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فمعناه: إنا كنا نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم التي عملتموها في دنياكم، وكذا بكتابة أقوالكم كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ **[الزخرف: ٨٠]**، وكما قال: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ **[النساء: ٨١]**، وكما قال: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا
﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا) يقول: كل أهل ملة ودين تدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها.

وقوله: (ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾) يقول تعالى ذكره: كل أمة تدعى إلى كتابها، يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان الإحسان، وبالإساءة جزاءها.

(٤٧١) أحمر أسود

وقال الطبري أيضًا:

يقول تعالى ذكره: لكل أمة دعيت في القيامة إلى كتابها الذي أملت على حفظتها في الدنيا ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ فلا تجزعوا من ثوابناكم على ذلك، فإنكم ينطق عليكم إن أنكرتموه بالحق فاقرءوه ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ يقول: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم، فتثبتها في الكتب وتكتبها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ**:**

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ﴾ أي: على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل، ويقول: نفسي، نفسي، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى أن عيسى ليقول: لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني.

وقوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ يعني: كتاب أعمالها، كقوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ **[الزمر: ٦٩]**؛ ولهذا قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾ أي: تجازون بأعمالكم خيرها وشرها، كقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ **[القيامة: ١٣ -١٥]**.

ثم قال: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، كقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ **[الكهف: ٤٩]**.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ أي: إنا كنا نأمر الحفظة أن

تكتب أعمالكم عليكم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تيسير الكريم الرحمن»:

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى كتاب أعمالها وما سطر عليها من خير وشر وأن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ **[الجاثية: ١٥]**.

ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية ويدل على هذا قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل.



س: ما المراد بقوله: ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾؟

ج: قال عددٌ من أهل العلم: (في جنته)، ويشهد له الحديث القدسي الذي فيه أنه عَزَّ وَجَلَّ قال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بكِ من أشاء**» - والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُم فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ...﴾ **الآيات.**

ج: في الآيات بيانٌ لحال المؤمنين الذين استقاموا على الشريعة وعملوا بأوامر الله واجتنبوا مناهيه ومساخطه، وعبدوه وحده لا شريك له، فهؤلاء يدخلهم ربهم في جنته ذلك هو الفوز المبين الذي أبان وأظهر أن أصحابه قد فازوا.

وأما أهل الكفر فيقال لهم - إذا اعتذروا -: أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن الإيمان بها ولم تصدقوها وكنتم أهل إجرام؟

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ يقول تعالى ذكره: فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئًا، وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ يعني في جنته برحمته.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذٍ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة، قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات، وهي الخالصة الموافقة للشرع. ﴿فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾، وهي الجنة. كما ثبت في الصحيح أن الله قال للجنة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**».

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ أي: البين الواضح، ثم قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ

﴿تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا: أما قُرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها، وأعرضتم عند سماعها؟ ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٣١﴾ أي: في أفعالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قولـه تعـالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي: الجنـة، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: فيقال لهم ذلك وهو استفهام توبيخ ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ عن قبولها ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٣١﴾ أي مشركين تكسبون المعاصي يقال: فلان جريمة أهله إذا كان كاسبهم فالمجرم من أكسب نفسه المعاصي وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥﴾ [القلم: ٣٥] فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب بالكفر إذًا.



س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ۝٣٢﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وإذا قيل للكفار المنكرين للبعث آمنوا، فإن وعد الله حق وآت لا محالة، وكذا الساعة آتية لا محالة، أنكرتم ذلك وقلتم ما ندري عن يوم القيامة الذي تحدثونا بوقوعه شيئًا، وما نحن بمتحققين من وقوعه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذ: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ الذي وعد عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهم ﴿حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ﴾ التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة،

والعقاب على المعصية، آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يقول: لا شك فيها، يعني في الساعة، والهاء في قوله: ﴿فِيهَا﴾ من ذكر الساعة. ومعنى الكلام: والساعة لا ريب في قيامها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ تكذيبًا منكم بوعد الله جلَّ ثناؤه، وردًّا لخبره، وإنكارًا لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم.

وقوله: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ يقول: وقلتم: ما نظن أن الساعة آتية إلا ظنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ أنها جائية، ولا أنها كائنة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: إذا قال لكم المؤمنون ذلك، ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: لا نعرفها، ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، أي مرجوحًا؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ أي: بمتحققين.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٣﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، وظهر وتبين العصيان والكذب سيئ أعمالهم أي الأعمال السيئة التي عملوها قد رأوها في أخراهم في صحائف أعمالهم، ونزل بهم وأحلَّ وأحاط به جزاء استهزائهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله

سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يقول: وحاق بهم من عذاب الله حينئذٍ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إن الله محلُّه بمن كذب به على سيئات ما في الدنيا عملوا من الأعمال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: من العذاب والنكال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي ظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي نزل بهم وأحاط ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾ من عذاب الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، أن الله ﷻ يقول لهؤلاء الكفار المستهزئين بالآيات الساخرين منها المكذبين بالبعث يقول لهم: فاليوم أترككم في العذاب كما تركتم العمل ليومكم هذا، وكما أنكرتم يومكم هذا، ومنزلكم الذي تصيرون إليه وتأوون هو النار، أعاذنا الله والمسلمين منها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿ كَمَا

﴿نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: فلم تعملوا له؛ لأنكم لم تصدقوا به، ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «**ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتَرْبَع؟ فيقول: بلى، يا رب. فيقول: أفظننت أنك مُلاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني**»(١).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، ذلك الجزاء الذي جازيناكم به من الحكم عليكم بالنار تدخلونها وتصلونها؛ لأنكم استهزأتم بآيات الله واتخذتموها محلًا للسخرية بها ومجالًا لذلك، وخدعتكم دنياكم وشغلتكم وحذفتكم عن طاعة الله واتباع رسله فاليوم - يوم القيامة، وبعد أن أدخلتم النار لا يخرج منها أهلها ولا يطلب منهم إبداء وجهة نظرهم بالعتاب، ولا يسترضون ولا يردون إلى الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا الذي حل بكم من عذاب الله اليوم ﴿بِأَنَّكُمُ﴾ في الدنيا ﴿اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، وهي حججه وأدلته وآي كتابه التي

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٨) بنحوه.

أنزلها على رسوله ﷺ ﴿هُزُوًا﴾ يعني سخرية تسخرون منها ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ يقول: وخدعتكم زينة الحياة الدنيا. فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله، يقول تعالى ذكره: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يقول: ولا هم يردون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريًّا، تسخرون وتستهزؤون بها، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ أي: خدعتكم فاطمأننتم إليها، فأصبحتم من الخاسرين؛ ولهذا قال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ أي: من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: لا يطلب منهم العتبى، بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب.



س: وضح معنى قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: يحمد ربنا ﷻ نفسه ويصف نفسه بما هو له أهل، فيقول سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ وقد يتضمن هذا الخبر أمرًا، فيكون المعنى: قولوا: فلله الحمد. ﴿رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما. ﴿رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ كذا رب الخلق أجمعين خالقهم ورازقهم ومتفضلٌ عليهم بعموم نعمه، وله المجد والعظمة والسلطان في السموات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغلب والذي يُمضي أمره في خلقه، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ في

شرعه، وفيما يأمر به وينهى عنه، الحكيم في كل شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾ على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه ربًّا، وتشركون به معه ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ يقول: مالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق، وله الكبرياء في السموات والأرض يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في نقمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء - والله أعلم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: المالك لهما وما فيهما؛ ولهذا قال: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾.

ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ قال مجاهد: يعني السلطان. أي: هو العظيم الممجد، الذي كل شيء خاضع لديه، فقير إليه. وقد ورد في الحديث الصحيح: «**يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري**». ورواه مسلم[١] من حديث الأعمش،

---

(١) مسلم (٢٦٢٠) بلفظ: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**».

عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ بنحوه.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يغالب ولا يمانع، ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس لا إله إلا هو.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»:

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة، أن له الكبرياء في السموات والأرض؛ يعني أنه المختص بالعظمة، والكمال والجلال والسلطان، في السموات والأرض، لأنه هو معبود أهل السموات والأرض، الذي يلزمهم تكبيره وتعظيمه، وتمجيده، والخضوع والذل له.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبينًا في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ **[الزخرف:٨٤-٨٥]**.

فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ معناه أنه هو وحده الذي يعظم ويعبد في السموات والأرض ويكبر ويخضع له ويذل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾. **[الروم:٢٧]**

فقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ معناه أن له الوصف الأكمل، الذي هو أعظم الأوصاف، وأكملها وأجلها في السموات والأرض.

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد (١) عن النبي ﷺ: «أن الله يقول: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما أسكنته

---

(١) تقدم قريبًا، وهو صحيح.

ناري».

تم بحمد الله.